تجلّيات الدهر العربي

د. مسعود بوبو

ليس للدهر صورة واحدة في الذهن العربي، ولا تسعف المعاجم العربية بما يؤمِّله المنقِّب فيها ملتمساً معنى الدهر، وإنما تُماطل إذ تقدِّم دلالته في احتمالات ووجوه مختلفة تدخله في المتخيَّل، وفي المعقول واللامعقول، وتسلكه في المؤتلف والمختلف والمتداخل والمشترك اللفظي من كلام العرب.. تبديه شيئاً لا يُدْرَك ولا يمسك به، ولا يتشكل فتحدّه الأبعاد والأقيسة... أجل، إن النصوص القديمة والحديثة تمكّنك من تخيّله، ولكن وفق هوى مبدعيها، أو وفق عُقَدهم، أو موروثاتهم..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد يكون من الممتع والمفيد أن يتتبّع المرء «تجليات» هذا الدهر، أو يترصّده وهو يغيّر زيّه من نصٍّ إلى آخر، أو من مرأى إلى آخر، على نحو لا تجد له نظيراً عند غير العرب. ونتوقّى ادّعاء الإحاطة بشعاب هذا الموضوع، فذلك أمر غير مقدور عليه، وإنما بني هذا البحث على استقراء ناقص اقتصر على ما توافر بين أيدينا من المصادر والنصوص.

الدهر لغة:

الدهر في اللغة العربية مفهوم زمني ذو بعدين، أو وجهين، الأول: يعني مدة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه، أو هو مدة بقاء الدنيا إلى

انقضائها، وعند بعضهم هو الأمد الممدود من الأزلية إلى الأبدية. أو هو مضيّ الليل والنهار[١]، من غير تحديد بتوقيت أو دورة أو عدد مّا من السنين أو القرون، أي بغير صفة دقيقة مقنّنة، مع أنه لا حيلة لنا في تعريفه سوى الاعتماد على الوصف، أو التجربة والشعور الشخصيين.

أما البعد الثاني أو الوجه الثاني فيعني «الزمان» قلَّ أو كَثُر؛ أي إن الدهر بدا لهم زماناً طويلاً حدّدوه بقرن أو بألف سنة، فكان محدوداً لا مطلقاً.

وأحياناً رأوه رديف الزمان، فقد جاء في «تهذيب اللغة» للأزهري، وفي «لسان العرب» لابن منظور: «قال شمر: الزمان والدهر واحد»[٢]، وألمح بعض اللغويين إلى أن مجيء الدهر بمعنى الزمان في بعض كلام العرب يكون على الاتساع الذي يقصد به «بعض الدهر». قال الأزهري: «الدهر عند العرب يقع على بعض الدهر الأطول، ويقع على مدة الدنيا كلها»[٢].

ويؤيد هذا ما جاء في «اللسان» تعقيباً على قول شمر «إن الزمان والدهر واحد»، من قول خالد بن يزيد: «أخطأ شمر، الزمان زمان الرُّطب والفاكهة وزمان الحر والبرد. قال: ويكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر، قال: والدهر لا ينقطع»[٣].

وجاء في اللسان: «وقد سمعت غير واحد من العرب يقول: أقمنا على ماء كذا وكذا دهراً، ودارنا التي حللنا بها دهراً، وإذا كان هذا هكذا جاز أن يقال الزمان والدهر واحد في معنى دون معنى»[٤].

يضاف إلى هذا قول أبي منصور الأزهري: «الدهر عند العرب يقع على وقت الزمان من الأزمنة، وعلى جميع الدهر وبعضه»(٤). ولعله من هنا سمي الحَرْس والسَّبْت، وهما تسميتان تتجهان إلى الدلالة على وقت من الدهر أو برهة منه(٤). وفي اللسان أيضاً:

«والزمان يقع على الفصل من فصول السنة، وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه وعلى الحين»(٤). والحين (في اللسان): الدهر. وقيل: وقت من الدهر مبهم يصلح لجميع الأزمان كلها، طالت أو قصرت(٤). كأن الأزهري وابن منظور أرادا أن يقولا: إننا في الاستعمال لا نقول كان ذلك في دهر فلان، أو على دهر فلان، أو حين فلان، إنما نقول: كان ذلك في زمن فلان، وزَمَن فلان، وعلى زمنه، أو في حياته. «وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال لعجوز تحفّى (احتفل) بها في السؤال وقال: كانت تأتينا أزمان خديجة؛ أراد حياتها»(٤).

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا يبدو أن ما يجمع بين الدهر والزمن كلمة «العمر» أو «معظمه» على ما يستخلص من النصوص ومن الاستعمال الذي هو في العُرْف أدْوَرُ على الألسنة وأشيع بين الناس، وقد يظهر هذا أكثر وضوحاً في إطار الحديث الفردي، كما في قول أبي عبيد الله وزير المهدي(٥):

لله دهر أضعنا فيه أنفسنا ... بالجهل لو أنه بعد النُّهي عادا
أفسدت ديني بإصلاحي خلافتكم ... وكان إصلاحها في الدين إفسادا

وقال المزرّد(٦):

ما أنا الدهر بناس ذكرها ... ما غدت ورقاء تدعو ساق حُرْ

وقول شاعر آخر(٧):

لا تطلبِ الحُسْنَ إن الحسن آفتهُ أن لا يزال طوال الدهر مطلوبا

ويقول الأخنس بن شهاب(٨):

وقد عشتُ دهراً والغواة صحابتي أولئك خلصائي الذين أصاحبُ

ومن مثل ذلك قول أمية بن أبي الصلت(٩):

كلُّ عيش وإن تطاول دهراً صائرٌ مرَّةً إلى أن يزولا

وقول جميل بن معمر(١٠):

إذا جئتها يوماً من الدهر زائراً تعرّض منفوض اليدين صدود

(منفوض اليدين: مرتجفهما)، وقيل: (منقوص اليدين، أي بخيل بالمعروف، يعني زوجها).

وأفنيت عمري بانتظاري وعدها وأبليت فيها الدهر وهو جديد

وقول بشار بن برد(١١):

قد زُرْتنا مرة في الدهر واحدة ثنّي ولا تجعليها بيضة الديكِ

وقول جميل بن معمر(١٢):

فما سرتُ من ميْلٍ ولا سرتُ ليلةً من الدهر إلا اعتادني منك طائف

وقالت ترفّق في مقالة ناصح عسى الدهر يوماً بعد نأي يساعف

وقوله(١٣):

وما ذكرتكِ النفس يابثنَ مرة من الدهر إلا كادت النفس تَتْلَف

وكتب أبو العيناء إلى أبي الوليد بن أبي داود: مسّنا وأهلنا الضر، وبضاعتنا المودة والشكر، فإن تُعْطِ أكن كما قال الشاعر(١٤):

أنا الشهاب الذي يحمي ذماركمُ لا يحمد الدهرَ إلا ضوؤه يَقِدُ

وقال ابن ميادة في الحنين إلى الوطن(١٥):

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً بحرّة ليلى حيث ربّتني أهلي
وهل أسمعنَّ الدهر أصوات هجمةٍ تطالع من هجل بعيد إلى هجل

(الهجمة: القطعة من الإبل. والهَجْل: المطمئنّ من الأرض).

وقال شاعر:

وأحلى الهوى ما شكَّ في الوصل ربُّه وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتّقي

وجاء في «محاضرات» الراغب الأصفهاني: «وعاش دريد بن الصمة دهراً طويلاً حتى سقط حاجباه على عينيه»(١٦).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال عمرو بن معدِ يكرب:

تراها الدهر مُقْتِرةً كِباءً وتقدح صفحة فيها نقيع

(مقترةً: من القُتار، وهو ريح البَخُور، واقترت: تبخّرت. والكِبَاء: العود، تقدح: تغرف ما في القدر أو الصحفة. والنقيع: ما ينقع من الماء)(١٧).

ومن مثل ذلك قول ابن الرومي(١٨):

ولي وطن آليت ألاّ أبيعه وألاّ أرى غيري له الدهر مالكا

وقول المتنبي(١٩):

لكل امرئ من دهره ما تعوّدا   وعادةُ سيف الدولة الطعن في العدا

وبقليل من التأمل في هذه الشواهد نجد أن الشعراء توسلوا بلفظة الدهر للتعبير عما عرض لهم أو ألم بهم. أو لخصوا في بعضها تجاربهم في حيواتهم وأعمارهم، حتى لو أن أحداً وضع مكان الدهر كلمة «العمر» لما وجد كبير اختلاف في فهم المراد وإدراك المقصد. وبموازنة الدهر (بمفهومه الزمني الصرف) بالعمر يتبدى لنا الزمان أمداً له أول وآخر. والدهر زمان لا أول له ولا آخر على هذه الصورة. وأما صورته التي حملوها لفظتي الأول والآخر فهي على المجاز والخيال، لا على الحقيقة اللغوية الوضعية التي قيدتها المعجمات، أو نصت عليها صراحة. وربما ارتضيت هذه الصورة ذات البدء والنهاية إذا خلعت على العمر وبدت من لوازمه، كقول جميل بن معمر العذري[٢٠]:

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مضى لي زمان لو أخير بينه   وبين حياتي خالدا آخر الدهر

لقلت: ذروني ساعة وبثينة   على غفلة الواشين ثم اقطعوا عمري

فجميل تصور للدهر «آخراً»، وغيره تصور له «سالفاً» كما في قول مالك الهمداني[٢١]:

أهيم بها ما لم أقض منها لبانة   وكنت بها في سالف الدهر موزعا

أي كان بها مولعاً. وكما في قول المرقش الأصغر[٢٢]:

أضحت قفارا وقد كان بها   في سالف الدهر أرباب الهجوم

والهجوم: قطع الإبل. يعني كان مغرى بها).

وقول جميل بن معمر(٢٣):

فإن لم تكن تقطع قوى الود بيننا ولم تنس ما أسلفت في سالف الدهر

وممن ذكر عبارة «آخر الدهر» في شعرهم دريد بن الصمة، قال(٢٤):

فأما ترينا لا تزال دماؤنا لدى واتر يسعى بها آخر الدهر

وقال كثير عزة(٢٥):

وإن كان لاسعدى أطالت سكونه ولا أهل سعدى آخر الدهر نازلُهْ

وقول العباس بن الأحنف(٢٦):

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تُقْبِلُ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن المنتظر، بعد هذا، أن يكون للدهر أوّل أو ابتداء، وفي ذلك يقول الفرزدق:

تعالوا، فعدّوا تعلم الناس أينا لصاحبه في أول الدهر تابعُ

ويقول حِصْن بن حذيفة بن بدر الفزاري وقد حضرته الوفاة(٢٧):

والدهر آخره شبه لأوّله قومٌ كقوم وأيام لأيامِ

ويجمل أحدهم طرفي الدهر ومداه في كرّ الأيام والليالي وحركة الكون، يقول(٢٨):

ألم تر أن الدهر يوم وليلة يكرّان من سبْتٍ عليك إلى سَبْتِ

فقل لجديد الدهر لابدّ من بلى وقل لاجتماع الشمل لابد من شتِ

وإذا أردنا أن نصطلح على معنى الدهر، بعد هذا، يمكن أن نقول إن

الدهر «تتابعيّ» يتأبّى على التقييد بنقطة بدء أو انتهاء. ويفرقون هنا بين مدلولي الدهر والزمن في اللغة الإنكليزية بتسمية الدهر، أو الأبدية Eternity، وبتسمية الزمن Time. وقد ذكر «التتابع» في تصورهم للدهر بألفاظ أخرى مشابهة من مثل «مرور» و«تعاقب» و«مضي».. قال ابن جني من ذلك[٢٩]: «اعلم أن الزمان مرور الليل والنهار، نحو اليوم، والليلة، والساعة، والشهر، والسنة. قال الشاعرالهذلي:

هل الدهر إلا ليلة ونهارها   وإلا طلوع الشمس ثم غيارُها؟

(غيارها: غورها).

ومن مثل ذلك قول سَلْم الخاسر[٣٠]:

حزن كطول الدهر باق إذا مضتْ   أوائلُه عادت إلينا الأواخر

وقول آخر[٣١]:

هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضي   بما كان فيها من بلاء ومن خفضِ

وقال سيبويه[٣٢]:

«والأماكن لها جثة، وإنما الدهر مضي الليل والنهار، فهو إلى الفعل أقرب» وقيل لأحد المعمرين: صف الدنيا وأوجز. قال[٣٣]: سنيّات رخاء وسنيّات بلاء، يولد مولود ويهلك هالك، ولولا المولود لباد الخلق، ولولا الهالك لضاقت الأرض ثم أنشد:

وما الدهر إلا صدر يوم وليلة   ويولدُ مولود ويُفْقَدُ فاقد

وساع لرزق ليس يدرك قوته   ومهدٍ إليه رزقه وهو قاعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال حارثة بن بدر التميمي[٣٤]:

وما الدهر إلا مثل أمس الذي مضى ومثل الغد الجائي وكلٌّ سيذهب

وإذا كان للدهر أول وآخر وتعاقب في دورة الأفلاك ومضيّ وعودة، فلا يبعد أن يكون له مقدرة، وأن يكون «إلى الفعل أقرب»، ولعل اللغويين العرب، بناء على هذا التصور، وجدوا أن من معاني الدهر في اللغة أيضاً:

– الغَلَبَة، والقهر، والنازلة والمنون.. وقد أصَّل هذا المعنى ابن فارس الرازي (ت٣٩٥هـ) في معجمه «مقاييس اللغة» فقال: «الدال والهاء والراء واحد (أي: أصل واحد) وهو الغلبة والقهر، وسمّي الدهر دهراً لأنه يأتي على كل شيء ويغلبه»[٣٥].

وهنا يمكن القول إن الدهر تجلّى للعربي «محيطاً» أو دهراً دائرياً Cyclic في مقابل صورته التتابعية، أو نموذجه الخطي Linear[٣٦]. وبدا وكأنه يحيط بالإنسان بعد أن كان يجري أمامه أو من خلفه ويتركه مستكيناً حبيس ذاته إلى أن يفنى هو، ويظل الدهر يجري بغير فناء.. أو بدا «كالليل الذي هو مدركي» على حد تعبير النابغة الذبياني، يطوّق الإنسانَ ويسد عليه المنافذ والمفارق والمخارج، يحاصره ثم يقيده كالأخيذ الأسير لا حول له ولا قوة.

وهذا المفهوم للدهر أو الأصل الحسي لجملة المعاني التي تجلّى بها في المعجمات، هو الطاغي في النصوص الشعرية والنثرية في التراث العربي. ومما يعزز هذا التصور إضفاء تسميات متشابهة على الدهر هي

أقرب إلى وصفه والتعريف به من كونها مرادفات لمعناه. فقد قالوا من ذلك:

«الدهر: النازلة تنزل بالقوم. تقول: دَهَرَهم أمر، أي نزلت بهم نازلة»[٣٧]. «والنازلة: الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس، نسأل الله العافية»[٣٧].

ومما يشبه القصر في البلاغة تحديد ماهية الدهر بالمصيبة أو النازلة، كما في قول زياد بن زيد[٣٨]:

وما الدهر والأيام إلا كما تَرَى رزيَّةُ مال أو فراق حبيبِ

ومن أقوالهم التي صورت الدهر كالنازلة[٣٩]:

لِنْ إذا ما نِلْتَ عزّاً فأخو العز يلين

فإذا نابك دهرٌ فكما كنت تكون

أي تظل في عز يوفّره لك من لنت لهم.

ومن معاني الغلبة التي قرنت مع أصل معنى الدهر قول صاحب اللسان[٤٠]: «وفي حديث أبي طالب: لولا أن قريشاً تقول: دَهَرَه الجزع لفعلتُ يقال: دهر فلاناً أمر إذا أصابه مكروه ودَهَرَهُم أمر نزل بهم مكروه، ودَهَرَ بهم أمر: نزل بهم».

ومن الدهر أُخذ معنى التقحّم والدفع والصلابة. قال في اللسان: «ودَهْوَرَ كلامه: قحّم بعضه في إثر بعض. ودَهْوَرَ الحائط» دفعه فسقط.. والدَّهْوَري من الرجال: الصلب الضرب»[٤٠].

- ومن أسماء الدهر: الأَزْلَمُ والجَذَع لجدَّته، أو لأنه لا يفنى. وهذه التسمية لا تخلو من البطش والإهلاك، وعلى ذلك قول الأخطل:

يا بِشْرُ لو لم أكن منكم بمنزلة ألقى عليَّ يديه الأَزْلَمُ الجَذَعُ

أي لولاكم لأهلكني الدهر[٤١]. وقول لقيط بن يعمر الإيادي[٤٢]:

يا قوم بيضَتَكُم لا تفضَحُنَّ بها إني أخاف عليها الأزلم الجذعا

يقول: احفظوا عقر داركم. والأزلم الجَذَع: الدهر لأنه لا يهرم أبداً.

- ومن أسمائه: المَنُوْن، أي الموت، لأنه يَمُنَّ كل شيء، يضعفه وينقصه ويقطعه، وقيل: المَنُوْن: الدهر... وفي «التهذيب»: «من ذكر المنون أراد به الدهر»[٤٣]. وأضاف صاحب اللسان: «قال ابن بَرِّي: المَنُوْن: الدهر، وهو اسم مفرد، وعليه قوله تعالى: ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُوْنِ﴾[٤٤]، أي حوادث الدهر، ومنه قول أبي ذؤيب:

أمِنَ المَنُونِ ورَيْبِهِ تَتوجَّع

قال: أي الدهر وريبه، ويدل على صحة ذلك قوله:

والدهر ليس بمُعْتِبٍ من يَجْزَع

فأما من قال: وريبها، فإنه أنّث على معنى الدهور[٤٤]. ومثله ما أنشده عبد الرحمن عن عمه الأصمعي:

غلامُ وغًى تقحمها فأبلى فخان بلاءه الدهر الخؤونُ

فإنّ على الفتى الإقدام فيها وليس عليه ما جَنَتِ المنون

قال: المَنُون يريد بها الدهور بدليل ما قيل في البيت السابق[٤٤].

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

- ومن أسماء الدهر: أبو زيد، وأبو البشر، وأبو سعد، وأبو العجب، لإتيانه بما لم تجر عادة بمشاهدته. وجاء في اللسان من ذلك: «وجمع العَجَب: أعجاب، قال[٤٥]:

يا عجباً للدهر ذي الأعجاب الأحْدَبِ البُرْغُوث ذي الأنياب

استعار له الأنياب ليبقي دلالة البطش والافتراس ملازمة له.

وقال أبو النشناش النهشلي الصعلوك[٤٦]:

وداويةٍ يهماءَ يُخْشَى بها الردى سرتْ بأبي النشناش فيها ركائبه

ليدركَ ثاراً أو ليدرك مغنماً جزيلاً، وهذا الدهر جمٌّ عجائبه

وهذا المفهوم العام الذي يصف الدهر بالقوة والغلبة والبطش هو الذي سنتسع في عرضه قليلاً، بعد أن نشير إلى أن للدهر معاني أخرى نسبت إليه على المجاز و«الانزياح» كما يعبر بعض النقاد المحدثين. من هذه المعاني التي نقف عليها في المعاجم: الغاية والهمّ والعادة.. كقول العرب «وما دهري بكذا، أي ما همّي وغايتي قال: وفي حديث أم سليم: ما ذاك دَهْرُكِ. يقال: ما ذاك دهري، وما دهري بكذا أي: همي وإرادتي. قال متمم بن نويرة[٤٧]:

لعمري! وما دهري بتأبين هالك ولا جزعاً مما أصاب فأوجعا

وماذاك بدهري أي عادتي» [٤٠]:

ومنه قول سوّار بن المضرِّب:

أحب عُمان من حبي سليمى وما طبِّي بحب قرى عُمان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أي لا عادتي ولا اهتمامي أو شأني.

ووجه المجاز هنا أنهم أخذوا ما في مدلول الدهر من الاستمرار والديمومة والديدن فاستعاروا هذه المعاني لمسلكهم في الحياة ودأبهم وعاداتهم. وللعرب من مثل ذلك أقوال مشابهة، فقد قالوا مثلاً. وعهدي به قريب، وعهدي بفلان وهو شاب.. قال أبو خراش الهذلي:

«فليس كعهد الدار يا أم مالك ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

أي ليس الأمر كما عهدت، ولكن جاء الإسلام فهدم ذلك، وأراد بالسلاسل الإسلام، وأنه أحاط برقابنا فلا نستطيع أن نعمل شيئاً مكروهاً»[٤٨]. ومن ذلك قولنا: هذا غير معهود، أو غير مألوف، وما هذا من طبع فلان، أي من سجيته ونحيزته.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

– ومن معاني الدهر وأسمائه: المسند. جاء في اللسان: «والمسند: الدهر. ابن الأعرابي: يقال: لا آتيه يد الدهر ويد المسند، أي: لا آتيه أبداً»[٤٩]. ومن أسمائه: لبد. قال وهب بن منبه لمعاوية: اللبد في لغة العرب: الدهر[٤٩]. وفي المثل: طال الأبد على لبد.

– ومن معانيه: عوض، قال ابن جني: «العوض من لفظ (عوض) وهو الدهر.. والتقاؤهما أن الدهر إنما هو مرور الليل والنهار وتصرم أجزائهما، فكلما مضى جزء منه خلفه جزء آخر يكون عوضاً منه..» [٥٠].

وهذه التسمية تبدو كاللقب الذي يرتبط منشؤه بطبيعة العمل، ودلالته على التعاقب أو التناوب، على ما يفيد أصل الوضع في الجذر

اللغوي «عوض».

– بقي أن نقف على مفهوم الدهر من وجهة نظر المسلمين، أو نتتبع هذا المفهوم برؤية إسلامية. وأول ما يذكر في هذا الصدد الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوْا مَا هِي إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ومَا يُهْلِكُنَا إلاَّ الدَّهْرُ، ومَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إنْ هُمْ إلاَّ يَظُنُّوْن﴾ (٥١).

قال القرطبي(٥٢): «هذا إنكار منهم للآخرة وتكذيب للبعث وإبطال للجزاء.. وفي قوله تعالى: ﴿وما يُهْلِكنا إلاَّ الدَّهْرُ﴾ قال مجاهد: يعني السنين والأيام. وقال قتادة: إلا العمر، والمعنى واحد.. وقال ابن عيينة: كان أهل الجاهلية يقولون: الدهر هو الذي يهلكنا وهو الذي يحيينا ويميتنا، فنزلت هذه الآية..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال عكرمة: أي وما يهلكنا إلاّ الله. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: (كان أهل الجاهلية يقولون: ما يهلكنا إلا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فيسبون الدهر). قال تعالى: «يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلّب الليل والنهار».. وفي الموطأ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر. وقد استدل بهذا الحديث من قال: «إن الدهر من أسماء الله».

وقال الفخر الرازي(٥٣):

«يريدون أن الموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الأفلاك، ولا حاجة إلى إثبات الخالق المختار، فهذه طائفة جمعوا بين

إنكار الإله وإنكار البعث والقيامة، وليس لهم مستند من عقل أو نقل، ولذلك أنكروا وجود الله من غير حجة ولا بينة، وما هم إلا قوم يتوهمون ويتخيلون، يتكلمون بالظن من غير يقين. وهذا قول الدهرية من الكفّار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد والقيامة».

اختلف القوم إذن في معنى الدهر، وانقسموا قسمين على طرفي نقيض، مثلما هم منقسمون في المعتقد: هؤلاء مسلمون، وأولئك مشركون من «الدَّهْرية والكفار»، وجاء الرد والإيضاح في قول النبي ﷺ: «لا تسبّوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر»، وفي قوله ﷺ: «يقول تعالى: يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلّب ليله ونهاره»(٥٤).

ويصنّف عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) هذه الفكرة في جملة المجاز فيقول معلقاً على بيت ذي الإصبع العدواني(٥٥):

أهلكنا الدهر والنهار معاً والدهر يعدو مصمّماً جَذَعا

فيقول: «كان طريق الحكم عليه بالمجاز أن تعلم اعتقادهم التوحيد، إما بمعرفة أحوالهم السابقة، أو بأن تجد في كلامهم من بَعْدِ إطلاق هذا النحو ما يكشف عن قصد المجاز فيه». وهو يقصد إن ثبت اعتقاد المخاطبين بالدين الإسلامي فإن نسبة هذه الأفعال إلى الدهر على سبيل المجاز.

وجاء في اللسان: «قال أبو عبيد: قوله فإن الله هو الدهر مما لا ينبغي لأحد من أهل الإسلام أن يجهل وجهه، وذلك أن المُعَطِّلة يحتجون

به على المسلمين. قال: ورأيت بعض من يتّهم بالزندقة والدَّهْرية يحتج بهذا الحديث ويقول: ألا تراه يقول فإن الله هو الدهر؟ قال: فقلت وهل كان أحد يسب الله في آباد الدهر؟ وقد قال الأعشى في الجاهلية:

استأثر الله بالوفاء وبالْـ ـحَمْد وولّى الملامة الرجلا

قال: وتأويله عندي أن العرب كان شأنها أن تذم الدهر وتسبّه عند الحوادث والنوازل تنزل بهم من موت أو هرم فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر وحوادثه، وأبادهم الدهر، فيجعلون الدهر الذي يفعل ذلك فيذمونه»(٥٦).

ويتضح من مجمل هذه الأقوال أن صورة الدهر تغيّرت عما كانت عليه قبل الإسلام، وكأن تطور الحياة الاجتماعية والعقلية للعرب اعْتَوَر المفهوم القديم للدهر ورأى تغييره تمشياً مع القيم الإسلامية مثلما كان الأمر في تغيير كثير من المفهومات والمعتقدات الخرافية و«الميثولوجيّة» المغلوطة، أو التي كانت مزيجاً من الوهم والجهل والاعتقاد. وإن ذلك التوضيح التربوي والأخلاقي من الرسول الكريم في حديثيه الشريفين كان توجيهاً نحو الفهم وحفزاً على التأمل في مدلول «الدهر» وما ينسب إليه مجازاً أو توهّماً بغير وجه حق أو دليل يرتضى.

وعلى هذه الصورة تقوّى أو ترسخ مفهوم الدهر عند المسلمين وانشعب الموقف منه عند عامة الناس «بين ثلاث شعاب: شعبة تراه مخلوقاً كغيره من المخلوقات لا حول له ولا قوة إلا بسبب من الله. وشعبة ثانية تشاطر عرب الجاهلية آراءهم وتنسب إلى الدهر الفاعلية

والخلق دون الله، ولكنها تزيد عليهم في أنها خرجت بالأمر من إطار الوعي الساذج إلى محاولة البرهنة والاستدلال. وشعبة أخيرة تظنه اسماً من أسماء الله الحسنى.. ويبدو من هذا التقسيم أن القضية التي اختلف فيها إنما هي الفاعلية؛ فمن سلبه إياها رآه مخلوقاً، ومن ألصقها به جعله إلهاً»(٥٧).

وكان من مظاهر التأثر بالرؤية الإسلامية للدهر ما عبّر عنه بعضهم في معرض ذكرهم له واستشرافهم أو استبطانهم لما وراءه من قوة تخضعه لمشيئتها، فقد روي أن سالم بن عبد الله بن عمر كان كثيراً ما يذكر الدهر، فزجره أبوه وقال: إياك يا بني وذكر الدهر! وأنشد(٥٨):

فما الدهر بالجاني لشيء لحَيْنه ولا جالبَ البلوى فلا تشتم الدهرا
ولكن متى ما يبعث الله باعثاً على مَعْشرٍ يجعل مياسِرَهم عُسرا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال أبو علي الثقفي(٥٨):

يا عاتبَ الدهر إذا نابه لا تلُمِ الدهر على غدره
الدهر مأمور، له آمرٌ وينتهي الدهر إلى أمره

وملخص هذا التصور الإسلامي الدعوة إلى محايدة الدهر كفّاً عن خصومته إذ ليس في مقدوره إحداث النوائب، ولا من صفاته الوفاء أو الغدر، فإن شئتم قبول شيء من مثل هذا فاعلموا أنه يجري بأمر الله، لا بقرار الدهر.

تلك هي معاني الدهر في اللغة العربية. وإذا كان تصوّر العرب له، مادياً أو ذهنياً، قد اتسع بالمعنى اللغوي ليبدو وصفاً لذلك الشيء المجسَّم

أو المتخيَّل، فإن هذا التصوّر لم يُبِنَ بمعزل عن اللغة، أو بقطيعة صارمة تباعد بينه وبين الأصل، إنما أبقى رابطاً خفياً يربط الدهر الموصوف وأوصافه المستجدة بأصل الوضع اللغوي، إذ ما من مفهوم يتنامى ويتبدل وتطرأ عليه الطوارئ اجتماعياً من غير مصاحبة اللغة له وإعادة النظر والتعديل في «ماهيته» وتجلياته، تفعل ذلك بظلالها وبألفاظها التي تعيد إنباته في مرونة وطواعية. وهذا هو جوهر فلسفة مفهوم الدهر هنا، إذا أخذنا بالتعريف الذي يقول إن الفلسفة هي الجهد المبذول لمعرفة ما يجري الحديث عنه.

ومما يجدر الاستطراد إليه أن نفراً من المتكلمة وأصحاب المعجمات المتخصصة الاصطلاحية، وبعض الفلاسفة نظروا إلى الدهر في ماهيته نظرات متأثرة بما وقفوا عليه من أحاديث وآراء مترجمة، أو من آراء كانت وليدة التأمل الخاص والتجربة الشخصية مازجين بين مفهومي الدهر والزمن. ومن المعروف في الثقافات الإنسانية أن الزمن كان من الموضوعات التي شغلت المفكرين منذ القدم، من أرسطو، وزينون، وهرقليطس، وبارمنيدس، وأفلاطون.. وصولاً إلى جون لوك، وبرغسون، وجورج بوليه، وجان بياجيه، وهيدجر.. فضلاً عن الروائيين الذين شغلتهم أيضاً فكرة الزمن واستقلّت بقدر من إبداعهم الروائي كفرجينيا وولف، وجيمس جويس، ومارسيل بروست الذي اتخذ من الزمن بطلاً لروايته «البحث عن الزمن المفقود» (٥٩). ومن غير المتوقع أن يكون أهل المنطق والفلسفة وعلماء الكلام من أجدادنا العرب والمسلمين في مبعدة عن التأثر

بهذا التراث الإنساني بعد ذلك النشاط الواسع والمبكّر في ميدان الترجمة، من بغداد إلى الأندلس. ومن البديهي أن يفندوا في جزئياته ويضيفوا إليها أو يعدّلوا في صوغها ومعطياتها وشرحها. ولعله من هنا نشأ النظر إلى الدهر مقروناً مع الزمن من جهة، ومع الخبرة والرؤية الشخصية من جهة أخرى. أو نشأ النظر إليه دالاً على الديمومة والثبات، في حين دلّ الزمن عندهم على الوجود والتتابع وكأنه تيار مستمر وحدُّه مدّة أقل كما سبق القول: زمن فلان، وزمن الرُّطَب.

وتداخل في هذا الإطار مفهوم الدهر ومفهومات أخرى، مثل: الأبد، والأمد، والسَّرمد.. فلم يكن من السهل تخليص كل منها من الآخر. قال صاحب «التعريفات» في بعض ذلك:

«الدهر: هو الآن الدائم الذي هو امتداد الحضرة الإلهية، وهو باطن الزمان وبه يتّحد الأزل والأبد»(٦٠).

وقال: «السَّرْمَد ما لا أول له ولا آخر»(٦١).

فبدا كتعريف الدهر في معاجم أخرى، ولكنه أكثر وضوحاً وبياناً عندما لخص تصوّره للدهر وما يتصف به من القدم والدوام حين قال: «الأزلي: ما لا يكون مسبوقاً بالعدم. اعلم أن الموجود أقسام ثلاثة لا رابع لها، فإنه إمّا أزلي أبدي وهو الله سبحانه وتعالى، أو لا أزلي ولا أبدي وهو الدنيا، أو أبدي غير أزلي وهو الآخرة، وعكسه محال، فإن ثبت قِدَمُه امتنع عدمه»(٦٢).

صفوة القول إن الدهر في التصوّر الذهني التجريدي، أو الدهر الفلسفي ضربٌ من البحث عن متخيَّل، أو بحث عما يمكن أن يصلح، للحد والاصطلاح والإفهام، أو هو بحث عن تجلٍّ آخر يوفّق بين الآونة (جمع آن)، والآماد، والديمومة، والغلبة، والقدسية، والعادة.. أو ينتصر لأحد هذه التصورات. فأين الإنسان من هذا؟ أيصطفّ كالأشجار على الضفاف والدهر يجري؟ أم هو جزيرة والدهر يُحْدِق به؟! أم أن الدهر مجموعة من الإدراكات المختلفة المتباينة، أو الإسقاطات الصُّورية العُقَدية التي أرّقت يقين الذات وتركت في طفولتها أو صباها ندوباً وتصدّعات؟!.

فلنستفتِ النصوص لعلها تضيء لنا بعض ما أظلم أو غوّر من معاني الدهر، مع الإشارة إلى أن ما سنتخيَّر من شواهد هنا ينعقد على تتبّع «تجليات» الدهر، أو على عرض ملامح صورته هيكلاً، وخصماً، وذا وظيفة ومواصفات وفعل.. إلى ما هنالك مما يضفيه عليه الإنسان المبدع من سمات تثير الدهشة، وتوقع في الحيرة والاضطراب.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

- الدهر في هيئة إنسان:

كان من مظاهر إنسانيته تصوُّره أباً بكنية. جاء في لسان العرب: «ولا آتيك أَلْوَةَ أبي هبيرة؛ أبو هبيرة هذا هو: سعد بن زيد مناة بن تميم، وقال ثعلب: لا آتيك أَلْوة بن هبيرة، نصب ألوة نصب الظروف، وهذا من اتساعهم لأنهم أقاموا اسم الرجل مُقام الدهر»(٦٣).

وجاء في «مقامات» الحريري(٦٤):

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى ... عن الرشد في أنحائه ومقاصده

تعاميت حتى قيل إني أخو عَمَى ... ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

ومن أبرز الصور الشعرية التي رسمها شاعر يشبه الدهر بالإنسان قول أحد الشعراء(٦٥):

إني رأيتك سيدي في مجلس ... قعد الملوك بحافتيه وقاموا

فكأنك الدهر الصؤول عليهم ... وكأنهم من حولك الأيامُ

وممن شبهوا الدهر بالإنسان الشاعر شَمْعَلة بن فائد التغلبي في قوله(٦٦):

وإن أمير المؤمنين وفعله ... لكالدهر، لا عارٌ بما فعل الدهر

وشبيه بهذا قول سَلْم الخاسر للمهدي وكان قد توعّده(٦٧):

وأنت كالدهر مبثوثاً حبائله ... والدهر لا ملجأ منه ولا هربُ

ولو ملكتُ عِنانَ الريح أصرفه ... في كل ناحية ما فاتك الطلبُ

وخلع العرب على الدهر بعضاً من صفات الإنسان ولوازمه أو خصائصه فنسبوا إليه التناسل والتكاثر والولادة والأبوة (كما ذكر قبل قليل)؟ ولعل من أبرز التعابير التي تضمنت بعض هذا قولهم: «بنات الدهر» أي بلاياه وحوادثه. قال عمرو بن قميئة(٦٨):

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ... فكيف بمن يُرْمى وليس برامِ

فلو أنها نَبْلٌ إذاً لاتّقيتها ... ولكنني أُرمى بغير سهامِ

وقال قيس بن الخطيم(٦٩):

تناوَلُه بنات الدهر حتى ... تُثلّمَه كما انثلم الإناءُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال الممزق العبدي[٧٠]:

هل للفتى من بنات الدهر من واقِ ... أم هل له من حمام الموت من راقِ؟

قد رجّلوني وما رُجِّلت من شَعَثٍ ... وألبسوني ثياباً غير أخلاقِ

والدهر عندهم يضحك ويبتسم، كما في قول أبي تمام[٧١]:

ويضحك الدهر منهم عن غطارفة ... كأن أيامهم من أُنْسها جُمَعُ

وفي قول أبي الطيب المتنبي[٧٢]:

لقد حَسُنَت بك الأوقات حتى ... كأنك في فم الدهر ابتسام

والدهر يأكل، كما يرى تميم بن مقبل[٧٣]:

فأخْلِفْ وأتْلِفْ إنما المال عارةٌ ... وكُلْه مع الدهر الذي هو آكله

ولا يُغْفِل المرء الاستعارة هنا أو يغفل عنها، وإنما يجعل مدار القول على اللفظ وتوجيه الذهن إليه.

والدهر يلعب، ولكن لعبه قاتل كما أورد صاحب اللسان في قول الشاعر[٧٤]:

ثم أضحوا لعب الدهر بهم ... وكذاك الدهر يودي بالرجالْ

جعل إهلاكه إياهم لعباً.

وأنشد ابن بري لأبي دواد يعاتب امرأته في سماحته بماله[٧٥]:

والدهر يلعب بالفتى ... والدهر أروغ من ثعالة

وقال يزيد بن مفرّغ الحميري[٧٦]:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لو بغيري من معشر لعب الدهـ ـرُ لما ذمّ نصرتـي واحتيـالي

والدهر «يسطو» وله، «كالإنسان» كفّ وشعر أشيب، ويمكن أن يكون أمرد، ويصوّر ذلك قول ابن سناء الملك مفتخراً(٧٧):

ولكنني لا أرهب الدهر إن سطا ولا أحذر الموت الزؤام إذا عدا
ولو مدّ نحوي حادث الدهر كفّه لحدّثتُ نفسي أن أمدَّ له يدا
وقدماً بغيري أصبح الدهـر أشيباً وبي وبفضلي أصبح الدهر أمردا

وللدهر أطراف وجوارح، على ما يرى الراعي النميري في قوله(٧٨):

هم كاهل الدهر الذي يتّقى بـه ومَنْكِبُه إن كان للدهر مَنْكِبُ

أو كقول الآخر:

هم ساعد الدهر الذي يتّقـى بـه وما خير كفٍّ لا تنوء بساعد

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

وللدهر يدان كما في قول أحد الحكماء: «يسار الدهـر فـي الأخـذ أسرع من يمينه في البذل. لا يعطي بهذه إلا ارتجع بتلك»(٧٩).

أو يد واحدة كما في قول أبي فراس الحمداني(٨٠):

ومـا هـو إلا أن جـرت بفراقنـا يد الدهر حتى قيل: من هو حارث؟

وهذا من كلام العرب وتعابيرهم المشهورة، يقال: لا أفعله يـدَ الدهـر أي أبداً، ولا آتيه يَدَ الدهر أي الدَّهْرَ، أو الدهر كله(٨١).

والدهر عند أبي فراس الحمداني كالخياط أو الرفّاء، يقول(٨٢):

ولا وأبي ما يفتُق الدهـر جانبـاً فيرتقـه إلا بـأمر مسـدّدِ

والدهر يَطْبُل ويَزْمُر، وشاهد ذلك أنّ ضيفاً نزل بأعرابية فقدمت له خبزاً يابساً ولبناً حامضاً، فذمّها وقال[٨٣]:

ألم ترَ أن المرء من ضيق عيشه ... يلام على أخلاقه وهو مُعْذَرُ
وما ذاك من لؤم ولا من ضراعةٍ ... ولكنه إن يَطْبُلِ الدهرُ يزمُر

والدهر يكسو ويُلْبس كما عبَّر المرّار بن منقذ في هذه الأبيات، قال[٨٤]:

عجبٌ خولةُ إذ تنكرني ... أم رأت خولةُ شيخاً قد كَبِرَ
وكساه الدهر سِبّاً ناصعاً ... وتحنّى الظهر منه فأُطِرْ
قد لبستُ الدهر من أفنانه ... كل فنٍّ حَسَنٍ منه حَبِرْ

كأن الدهر خليفة أو أمير خلع عليه ثوباً أبيض تمهيداً لرحلة ما بعد الكبر، أو كأن الشاعر اتخذ من الدهر أثواباً مشى فيها الحُسْن والتزيين والتلوين ! ...

وللدهر عمر كالإنسان، وهو مثله يكتهل، على حد تعبير الشاعر في قوله[٨٥]:

قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهـ ... ـرُ وأثواب عمره جُدُدُ

والدهر صاحب كتاب كتبه بخطه، كما في قول الشاعر[٨٦]:

تلاحظني المنية من قريب ... وتلحظني ملاحظة الرقيبِ
وتنشر لي كتاباً فيه طيٌّ ... بخط الدهر أسطره مشيبي

وهو طالب بثأر كالجاهليين في نظر سعيد بن حميد، قال[٨٧]:

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فما أعرف الأيام إلا ذميمة ولا الدهر إلا وهو بالثأر طالب

وتثقل الخنساء صورة الدهر بأسلحة الفتك والافتراس حتى ليبدو مزيجاً من صورة الوحش الضاري والشيطان والإنسان وهو يصيب ببطشه الجن والإنس. تقول(٨٨):

تعرقني الدهر نهسا وحزا وأوجعني الدهر قرعا وغمزا

ثم تقول(٨٩):

فلم أر مثله رزءا لجن ولم أر مثله رزءا لأنس

نهش لحمها بأسنانه الحادة فعرى لحمها عن عظمها عضاً وقطعاً بغير ما هوادة.

والدهر يرى ويعض كما يتخيله أبو فراس الحمداني في قوله(٩٠):

وهل نافعي أن عضني الدهر مفرداً إذا كان لي قوم طوال السواعدِ

ولكن هذا «العض» يبدو أقل إيجاعاً وأخف وطأة على جميل بثينة إذ يقول(٩١):

ولست كمن إن سيم ضيماً أطاعه ولا كامرئ إن عضه الدهر ينكل

ومن لا يذكر الشاهد المشهور على الطباق في كتب البلاغة مقروناً مع عضّ الدهر في قول الشاعر:

عضّنا الدهر بنابِهِ ليت ما حلَّ بنا به

وقد يدفع الدهر الإنسانَ في طريق المهالك، ويجور بغير ما إنصاف، يقول من ذلك صاحب المقامات(٩٢):

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وألجأني الدهر حتى ولجت بلطف احتيالي على الليث عيصَهْ
ولو أنصف الدهر في حكمه لما ملّك الحكمَ أهل النقيصهْ

ويلح الدهر أحياناً مبالغاً في محاصرة الإنسان، ويُنْحي بكلكله كما في قول أعرابي لعمر بن هبيرة الفزاري(٩٣):

أصلحك الله قلّ ما بيدي فما أطيق العيال إذ كثروا
ألحّ دهر أنحى بكلكله فأرسلوني إليك وانتظروا
رجوك للدهر أن تكون لهم غيثَ سحاب إن خانهم مطرُ

والدهر يلاحق ابن آدم بالإتلاف والإفناء، كما في قول ابن أبي فنن(٩٤):

أرى الدهر يخلقني كلما لبست من الدهر ثوباً جديدا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد يجرّد الشاعر الدهر من صفات الإنسان وأفعاله وجوارحه ويلصق به مزية الضرر العام بالبشر كقول يزيد بن مفرّغ الحميري(٩٥):

يا بُرْدُ ما مسّنا دهر أضرّ بنا من قبل هذا ولا بعنا له ولدا

وهو ذو عَرَامة (شراسة وأذى) كما قال ابن مفرّغٍ نفسه(٩٥):

كانوا صديقاً قبل ذا فألمَّ دهر ذو عَرَامه

والدهر كاللص يترقب غفلة الناس ليختلس أغلى ما عندهم. وتستوقف هذه اللصوصية أحد الدارسين المحدثين فيرى فيها ضرباً من العلاقات الاجتماعية التي يبدو الدهر طرفاً غير محايد فيها، يقول(٩٦):

«فحين يتأمل ديك الجن يرصد علاقته بالناس، ويخرج علينا بصورة

تتفلت فيها الأطراف من أشكالها الظاهرية وعلاقاتها اليومية، وتتلاقى في علاقات جديدة تنبع من مخيلة الشاعر فيستعين بصورة اللص في حياتنا العادية، ويسمو على حقيقته في الصورة الفنية فيقول:

يرقد الناس آمنين وريبُ الد ... هر يرعاهم بمقلة لصّ

والدهر خبيث كما يتراءى لثابت بن هارون الرَّقي حين قال يرثي أبا الطيب المتنبي(٩٧):

والدهر أخبث والليالي أنكدُ ... من أن تعيش لأهلها يا أحمد

والدهر غدّار لا يؤتمن. وهذه الصورة له تعاورها الشعراء فصاغوها في قوالب مختلف لتؤدي معنى واحداً. من ذلك قول الخليفة المعتضد لما حضرته الوفاة(٩٨):

ولا تأْمَنَنَّ الدهر إنّي أمِنْتُه ... فلم يُبْقِ لي خِلّاً ولم يرْعَ لي حقا

ومن مثل ذلك ما نقل الزمخشري في أساس البلاغة عن أحد الشعراء، قال(٩٩):

لا يأمَنَنَّ قويٌّ نقض مِرَّته ... إني أرى الدهر ذا نقض وإمرار

(المِرَّة: الشدة وقوة الفتل والإحكام، وإنّ الدهر لينقض ذلك فهو أقوى).

وقال زياد بن زيد من مثل هذا(١٠٠):

وإنَّ امرءاً قد جرّب الدهر لم يخف ... تقلُّب عصريه لِغير لبيب

فلا تيأسنَّ الدهر من حبّ كاشح ... ولا تأمننَّ الدهرَ صرمَ حبيب

ولما اعتل سيبويه ووضع رأسه في حجر أخيه فبكى هذا، قال[١٠١]:

أخيين كنا فرّق الدهر بيننا إلى الأمد الأقصى ومن يأمنِ الدهرا؟

وعلى ذلك قول أحدهم: «الدهر لا يُؤْمَن يومُه، ويُخاف غدُه. يُرضع ثديه وتجرح يده»[١٠٢]. وقال البحتري[١٠٣]:

تراه في الأمن في درع مضاعفة لا يأمَنُ الدهر أن يُدْعى على عجلِ

وعن خيانة الدهر والأصادق يقول أبو فراس الحمداني[١٠٤]:

يا دهر خنتَ مع الأصادق خُلّتي وغدرت بي في جملة الإخوان

والدهر كالصياد المخاتل يرمي الناس بسهامه ونَبْله فيصيب منها مقتلاً، ونقف على مثل هذه الصورة عند أبي فراس الحمداني في قوله[١٠٥]:

أقِلْني! أقلني عثرة الدهر إنه رماني بسهم صائب النصل مُقْصِدِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعند عمرو بن قميئة في قوله[١٠٦]:

فوّق الدهر إلينا نَبْلَه عَللاً يقصدنا بعد نَهَلْ

فهو رامينا ولا نُبصره مثل رامٍ رامَ صيداً فختلْ

وعند أبي الطيب المتنبي في قوله[١٠٧]:

رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال

وعند القاضي أبي الفضل اللوكري في قوله[١٠٨]:

الدهر يلعب بالفتى لعب الصوالج بالكره

الدهر قنّاص وما الـ إنسان إلا قنبره

وقبل هؤلاء عبر زهير بن أبي سلمى عن هذه الفكرة بقوله[١٠٩]:

فاستأثر الدهر الغداة بهم والدهر يرميني وما أرمي
يا دهر قد أكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت في العظم
وسلبتنا ما ليس معقبه يا دهر ما أنصفت في الحكم

واصطياد الدهر بني البشر لا يخلو من مجابهة ومراماة أحياناً، كما في قول يزيد بن مفرغ الحميري[١١٠]:

عالجت أياما أشبن ذوائبي ورميت دهراً عارماً ورماني

ومن سمات الإنسان في الدهر أنه يمكن أن يؤمر، ويكلف عملاً، ويوظف لأغراض يتخيلها القوم، من ذلك على سبيل التمثيل قول سبط ابن التعاويذي يمدح الخليفة المستضيء (٥٦٦– ٥٧٥هـ)[١١١]:

ولولاك ما صحت عقيدة مؤمن تقي ولم يقبل دعاء ولا نذر
مر الدهر يفعل ما تشاء فإنه بأمرك يجري في تصرفه الدهر

ومن مثله مشوبا بالفخر قول المتنبي[١١٢]:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

وقول آخر[١١٣]:

وقال: اغتنم من دهرنا غفلاته فعقدُ وداد الدهر غير وثيق
وإني من لذاتِ دهري لقانع بحلو حديث أم بمرٍّ عتيق

والدهر يروع الإنسان الآمن القرير حتى ليكاد ذلك الإنسان يحسد الوحش غير المروع في مثل قول أبي صخر الهذلي[١١٤]:

مد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الدهر

ويتبدى الدهر للإنسان كالغول يأخذه من حيث لا يدري فيهلكه، يقول أمية بن أبي الصلت في ذلك(١١٥):

فاجعل الموت نصب عينيك واحذرْ غولة الدهر إن للدهر غَولا

وعن غول الدهر يقول حِطّان بن المُعَلّى(١١٦):

أنزلني الدهر على حكمه من شاهق عالٍ إلى خفضِ

وغالني الدهر بوفر الغنى فليس لي مال سوى عرضي

والدهر مُبْكٍ كما يفهم من قول المرقش الأصغر(١١٧):

تبكي على الدهر والدهر الذي أبكاك، فالدمع كالشَّنِّ الهزيم

(والشَنّ: القربة الخَلَق الصغيرة يكون الماء فيها أبرد من غيرها. والهزيم: صوت الرعد).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وينيخ على نفس الإنسان كما جاء في هذا الشعر المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

إني أقول لنفسي وهي ضيقة وقد أناخ عليها الدهر بالعجب

صبراً على شدة الأيام إنّ لها عُقبى، وما الصبر إلاّ عند ذي الحسب

ويثلم العرض على ما جاء في الشاهد الآتي(١١٨):

وإنّ امرءاً لم يثلم الدهر عرضه على طول تعنيف لموضع مُدَّخر

والدهر مهدِّم العروش والبيوت كما في قول يزيد بن مفرِّغ الحميري(١١٩):

هـدم الدهـر عرشـنا فتداعـى فَبَلينـا إذ كـل شـيء بـالِ

والدهر يفجع كما يعبر لبيد بن ربيعة في قوله[١٢٠]:

فلا جـزع إن فـرق الدهـر بيننـا فكل فتى يوما بـه الدهـر فـاجع

والدهر ذو لون يوحي للإنسان بالرهبة والفرق، علـى وفـق مـا يـرى بشار بن برد في قوله:

خليلي ما بال الدجـى ليـس يبـرح ومـا بـال ضـوء الصبح لا يتوضـح

أضـلّ الصبـاح المستنيـر طريقـه أم الدهـر ليـل كلـه ليـس يبـرح

ويقول الدكتور شوقي ضيف معلقاً على هـذه الصـورة: «وهوخيـال زاخر بالحركة، وفيه تعميم، فقد تحول الدهر ليلاً مظلماً لا آخر له»[١٢١].

والدهر يغمز العظم على ما جاء في اللسان[١٢٢]:

ومن يلق خيرا يغمز الدهر عظمـه علـى ضَعَفٍ من حالـه وفتـور

وقد يُرْجى للعون والمساعفة كما في قول جميل بن معمر[١٢٣]:

وقالت: ترفّق فـي مقالـة نـاصح عسى الدهر يوماً بعد نأي يساعف

أو قد يتخذ خليلاً في علاقة إنسانية كالأحياء، على ما جاء في قـول الخنساء[١٢٤]:

لـو انّ الدهـر متّخـذٌ خليـلاً لكـان خليلـه صخـرَ بـن عمـرو

والدهر قد يحنو كما يبدو في قول أمية بن أبي الصلت [١٢٥]:

وراكعهم يعنو له الدهر خاشـعا يـردد آلاء الإلـه ويحمـد

أفاعيل الدهر:

تحت هذا المفهوم العام حول فِعال الدهر وأفاعيله وضع المبدعون العرب، قدماء ومحدثين، في الشعر والنثر مجموعة من الكلمات وظفوها للتعبير عما يلم بهم من كوارث ونكبات وبلواء، وعما يعرض لهم من محن ومعاناة ومآس، حتى شاعت في كتاباتهم وصورهم الشعرية بتسميات باتت مقرونة مع الدهر وكأنها من لوازمه، من مثل: صروف الدهر، وقوارعه، وحدثانه، ونائباته، وخطوبه، وجرائره، ومكارهه، وأحواله، وأرزاؤه، وتقلّبه.. إلى ما يشبه ذلك أو يرادفه من الألفاظ. ونورد منها هنا أمثلة قليلة آملين أن تقدّم فكرة مقبولة، أو انطباعاً وافياً عن تجلّي الدهر للعربي.. انطباعاً كان بعضه وليد الضيق والغيظ الحقين والمرارة، وكان بعضه الآخر وليد التأمّل والعبرة والاتعاظ، فمن ذلك قول أبي تمام [١٢٦]:

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن كان بين صروف الدهر من رحم   موصولة أو زمام غير منقضب

(ويروى: بين مرور الدهر، وهو أجود).

فبين أيامك اللاتي ظفرت بها   وبين أيام بدر أقرب النسب

وقول المتنبي [١٢٧]:

لما رأيت صروف الدهر تغدرُ بي   وفَيْنَ لي ووفت صمُّ الأنابيب

وقول أبي فراس الحمداني [١٢٨]:

لا رعى الله يا خليليَّ دهراً   فرقتنا صروفه تفريقا

ومن الحديث عن صروف الدهر ما أورده المبرّد في «الكامل»: قال: «نزل النعمان بن المنذر ومعه عدي بن زيد في ظل شجرة مونقة ليلهو النعمان هناك. فقال له عدي بن زيد: أيها الملك! أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: وما الذي تقول؟ قال: تقول:

من رآنا فليحدِّثْ نفسه ... أنه موفٍ على قرن زوالْ
وصروف الدهر لا يبقى لها ... ولما نأتي به صمُّ الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا ... يمزجون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليها فُدُمٌ ... وجياد الخيل تردي في الجلال
ثم أضحوا عصف الدهر بهم ... وكذاك الدهر حالاً بعد حال

قال: فتنغّص النعمان»[١٢٩].

ومن ذلك قول أحد الشعراء[١٣٠]:

والدهر في صروفه ذو عَجَبٍ ... يدني بها كلَّ جديد للبلى

وقال أبو نصر العتبي[١٣١]:

لما سئلت عن المشيب أجبتهم ... قول امرئ في وده لم يمذقِ
طَحَنَ الزمان بريبه وصروفه ... عمري فصار طحينه في مفرقي

وقال شمس المعالي قابوس بن وشمكير[١٣٢]:

قل للذي بصروف الدهر عيَّرنا ... هل حارب الدهر إلا من له خطر

وقالت الخنساء في أخيها صخر[١٣٣]:

فلم أر مثله رزءاً لجنٍّ ... ولم أرَ مثله رزءاً لأنس

أشدَّ على صروف الدهر أيْداً وأفصل في الخطوب بغير لبس

وعبّروا أحياناً بالمفرد «صرف» عن الصورة نفسها. قال الشيخ السيد أبو الحسن مسافر بن الحسن يمدح[١٣٤]:

ظفرت بما تشاء من الأماني وأغمد عنك صرف الدهر ظِفْره

ويقول متمم بن نويرة جامعاً بين النكبة والرزء المنسوبين إلى الدهر[١٣٥]:

ولست إذا ما الدهر أحدث نكبة ورزءاً بزوّار القرائب أخضعا
ولا فرحاً إن كنت يوماً بغبطة ولا جزعاً إن ناب دهر فأضلعا

(وأضلع: أمال الشيء وحناه).

ويقول الشيخ مسافر بن الحسن في «حادثات» الدهر[١٣٦]:

إليك المشتكى لا منك ربي وأنت لحادثات الدهر حسبي

ويقول أبو ذؤيب الهذلي في «حَدَثانه» من أبيات متباعدة في قصيدة واحدة[١٣٧]:

والدهر لا يبقى على حدثانه جون السراة له جدائد أربع

(وجون السراة: عنى حماراً، والسراة: أعلى الظهر. والجون: الأسود إلى حمرة، والجدائد: الأُتُن اللواتي خفّت ألبانهنّ، واحدتهن جدود).

والدهر لا يبقى على حدثانه شَبَبٌ أفزّته الكلاب مروَّع

(الشبب: المسنّ من الثيران. أفزّته: طردته وأفزعته).

والدهر لا يبقى على حدثانه مُسْتَشعرٌ حَلَقَ الحديد مقنَّعُ

(مستشعر: متّخذ شعاراً، أي ثوباً يلي البدن. حلق الحديد: الدروع مقنّع: لابس المغفر).

ويقول جميل بن معمر[١٣٨]:

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمةً على حدثان الدهر مني ومن جُملِ

وقالت امرأة الأحنف بن قيس في رثائه وذكرت «جرائر الدهر»[١٣٩].

لله درُّك أي حشو ثرى أصبحت من عُرْفٍ ومن نُكْرِ
إن كان دهر فيك جرَّ لنا حَدَثا به وَهَنَتْ قوى الصبرِ
فلكم يدٍ أسديتها ويدٍ كانت تردُّ جرائر الدهر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وللدهر «قوارع» عند لبيد العامري في قوله[١٤٠]:

فلا جزع إن فرّق الدهر بيننا فكل امرئ يوماً به الدهر فاجع
أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى وأي كريم لم تصبْه القوارع

وللدهر «حانيات» تحدِّب ظهر الإنسان وتحنيه كما يرى أبو الطمحان القيني في قوله[١٤١]:

حنتني حانيات الدهر حتى كأني خاتل أدنو لصيد

وحَوَال الدهر: تغيُّرُه وصرفه. التهذيب: ويقال: إن هذا لمن حُوْلة الدهر وحُوَلاء الدهر وحَوَلان الدهر وحِوَل الدهر، وأنشد[١٤٢]:

ومن حِوَلِ الأيام والدهر أنه حَصِينٌ يحيّا بالسلام ويحجب

وقال قطري بن الفجاءة لزوجه أم حكيم وذكر نائبات الدهر[١٤٣]:

لعمرك إني يوم ألطم وجهها على نائبات الدهر جدٌّ لئيم

ومثل هذا قول ضابئ البُرْجمي[١٤٤]:

فلا خير فيمن لا يوطّن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

وقول آخر[١٤٥]:

ومن يبتليه الدهر منه بعثرة سيكبو لها والنائبات تردد
فلم تسلم الدنيا وإن ظن أهلها بصحتها والدهر قد يتجدّد

ويقول محمد بن كعب الغنوي[١٤٦]:

أخي كان يكفيني وكان يعينني على نائبات الدهر حين تنوب

وفي «ريب الدهر» يقول عبد قيس بن خفاف[١٤٧]:

أوصيك إيصاء امرئ لك ناصح طَبِنٍ بريب الدهر غير مغفَّل

وفي ذكر «خطوب» الدهر أنشد بعضهم يرثي الأصمعي فقال[١٤٨]:

لا دَرَّ درُّ خطوب الدهر إذ فجعت بالأصمعي لقد أبقت لنا أسفا
عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى ما عشت منه ومن آثاره خلفا

وقال أبو تمام [١٤٩]:

لقد ساسنا هذا الزمان سياسةً سدى لم يسسها قط عبد مجدَّعُ
تروح علينا كل يوم وتغتدي خطوب كأنّ الدهر منهنّ يُصْرَعُ

وللدهر عند الخنساء «إحْلاء وإمرار» في قولها ترثي أخاها صخراً[١٥٠]:

فما عجول لدى بوٍّ تطيف به قد ساعدتها على التحنان أظْآرُ
أودى به الدهر عنها فهي مُرْزِمةٌ لها حنينان إصغار وإكبار
يوماً بأوجع مني يوم فارقني صخرٌ، وللدهر إحلاءٌ وإمرار

وللدهر عوائق وطرائق في ما هو عليه من تقلّبه كما في قول الراعي النميري(١٥١):

يا عجباً للدهر شتّى طرائقُهْ وللمرء يبلوه بما شاء خالقُهْ

والدهر قُلّب سريع التغيُّر مثلما عبر محمد بن عباد بن حبيب بن المهلّبي، قال(١٥٢):

إذا عثرة نابت صديقَك فاغْتنمْ مرمتها فالدهر بالناس قُلّبُ
وبادرْ بمعروف إذا كنت قادراً زوالَ اقتدار أو غنىً عنك يذهب

وقال يزيد بن مفرّغ الحميري(١٥٣):

وولّى وماء العين يغسل وجهها كأن لم يكن، والدهر بالناس قُلّبُ

ويقولون على غرار ذلك: الدهر ذو غِيَر، يعنون أحواله المتغيِّرة. وورد في حديث الاستسقاء:

من يكفرِ الله يلقَ الغِيَرَ، أي تغيُّرَ الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد(١٥٤).

وإذا كان الدهر ذا غِيَر وقلّباً لا يستقرُّ على حال، فإنه لكذلك يفعل بالناس؛ يقلّبهم في سرر النعمة وخفض العيش من جهة، وفي النوائب والحرائق من جهة أخرى، يقول محمد بن وهيب في ذلك(١٥٥)

وما زلتُ مذ كنت في نعمةٍ يقلّبني الدهر في خفضه
وأنزل من ملك قادرٍ بمنزلة البعض من بعضه

ومن مثل هذا قول الهمذاني[١٥٦]: «قد جرّبني الدهر في زمنيْ رخائه وبوسه، ولقيني بوجهي بشره وعبوسه».. وأنشد:

وإن كان صرف الدهر قدماً أضرَّ بي وحمّلني من ريبه ما يُحمِّلُ
فقد جاء بالإحسان حيث أحلّني مَحَلَّةَ صدق ليس عنها مُحَوَّلُ

وللدهر تجليات وصور غريبة تدعو إلى التأمل، وتثير العجب، أو تلخّص أنماطاً من التجارب الإنسانية على مر العصور وتفاوت بديع الصنع وشطحات الخيال، من ذلك مثلاً قول قابوس بن وشمكير: «الدهر شرّ كله، مفصّله ومجمله، إن أضحك ساعة أبكى سنة، وإن أتى بسيِّئة جعلها سُنّة»[١٥٧].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذه المبالغة في تصويره على الضدية والتكلّف اللفظي تنمُّ على الموقف من الدهر، وعلى المعاداة والاتّهام وتَلَبُّس الشرّ..

ومن الاستعمالات النادرة في تصوير الدهر أن يكون له «صائح»، و«شهاب»؛ ذلك ينعب بالشؤم والبين والفراق، وهذا يصيب بسهمه الناري مَقَاتِل البشر. تقول الحُرَقَة، أو هند بنت النعمان بن المنذر لسعد بن أبي وقّاص لما قدم الحيرة: «إنّا كنا ملوك هذا المصر من قبلك، يجيء إلينا خراجه، ويطيعنا أهله زمان الدولة، فلما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت جمعنا، وكذلك الدهر يا سعد؛ إنه ليس من قوم بسرور وحَبْرَة إلا والدهر مُعقبُهم حسرة، ثم أنشأت تقول[١٥٨]:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا   إذا نحن فيهم سوقة نتنصّف
فأُفٍّ لدنيا لا يدوم نعيمها   تقلّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ

وقال الناجم(١٥٩):

هل موئل من شهاب الدهر ينجينا   أيٌّ وما تّقيه كامنٌ فينا

وللدهر أجنحة كالنسور والعقبان على ما يحكى من أنه قيل لقتيبة بن مسلم الباهلي لما بلغ حدّ الصين(١٦٠): «قد أوغلت في بلاد الترك، والحوادث بين أجنحة الدهر تُقبل وتُدبر، فقال: بثقتي بنصر الله توغّلت، وإذا انقضت المُدَّة لم تنفع العُدَّة، فقال الرجل: اسلك حيث شئتَ فهذا عزم لا يفلّه إلا الله».

– والدهر «متعدّد» وهذا من أغرب ما قيل فيه إذا ما تأمّلت معانيه في المعجمات العربية. وقد جاء من ذلك على لسان أبي فراس الحمداني قوله(١٦١):

ولم أدر أن الدهر في عدد العدا   وأن المنايا السود يرمين عن يد

أي أن اليد لا تخطئ الإصابة.

ومن ذلك قول المتنبي (١٦٢):

تدمي خدودهم الدموع وتنقضي   ساعات ليلهم وهن دهور

وقوله(١٦٣):

وقلة ناصر جوزيت عني   بشر منك يا شر الدهور

وقوله(١٦٤):

غدا الناس مثليهم به لا عدمته وأصبح دهري في ذراه دهورا

وهذا اللون من التصور يقوم على المبالغة والتنوع أو التفاوت في الضرر والأذى.

- والدهر شبيه بالأخ الشقيق في الملازمة والعلاقة، على وفق قول إبراهيم ابن العباس(١٦٥):

وكنت أخي كالدهر حتى إذا نبا نبوت، فلما عاد عدت مع الدهر

والدهر يؤثر في الحجارة الصلبة على حد قول غريقة بن مسافع (وقيل: البيت لمحمد بن كعب بن سعد الغنوي)(١٦٦):

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا كأنك يحميك الشراب طبيب

فقلت ولم أعي الجواب ولم ألح وللدهر في صم السلام نصيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وللدهر همة أو همم، ولكنها دون همة ممدوح المتنبي في قوله(١٦٧):

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

ويقول ابن حزم الأندلسي شاكياً الدهر متشائماً منه(١٦٨):

هل الدهر إلا ما رأينا وأدركنا؟ فجائعه تبقى ولذاته تفنى

إذا أمكنت فيه مسرة ساعة تولت كمر الطرف واستخلفت حزنا

ويقول يزيد بن معاوية من مثل ذلك في ما يشبه الحكمة التي تلخص حياة الإنسان(١٦٩):

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وربما جاء الدهر من مكمّلات الصورة الشعرية من غير أن يراد جوهره في

السياق العام، كقول أبي بكر الدهّان(١٧٠):

قد سرّني دهري وما ساءني   بفقد عينيَّ بلى أنعما
لوكنت ذا عين وعاينتهم   لكان أشهى ما إليَّ العمى

ويشبه هذا قول العباس بن المشوّق(١٧١):

واعجبٌ من الدهر وأوغاده   فإنهم قد فضحوا الدهرا
لا ذنب للدهر ولكنهم   يستحسنون الغدر والمكرا

وقريب من ذلك قول المتنبي(١٧٢):

يُغيِّر مني الدهر ما شاء غيرها   وأبلغ أقصى العمر وهي كَعابُ

(أي: وهي صبية نهد ثدياها).

ويقول أبو تمام الطائي(١٧٣):

يومي من الدهر مثل الدهر مُشتهرٌ   عزماً وحزماً وساعي منه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(والساع: جمع ساعة من الزمن).

وممّن امتدَّ بهم الأسى واستبدّ بهم الحزن حتى بدا في طول الدهر الشاعر سَلْم الخاسر، قال(١٧٤):

حزن كطول الدهر باقٍ إذا مضت   .أوائله عادت إلينا الأواخرُ

ومن الصور الطريفة التي لم تشع في الشعر العربي قول أبي منصور الثعالبي في شكوى الدهر(١٧٥):

حتى متى أنا يُدْمي العض أنْمُلَتي   غيظاً على زمن قد رام أزماني
في كل يوم أراني في نوائبه   كأنني أصبعي والدهر أسناني

لكأن الدهر أسنان الشاعر يعضّ بها على إصبعه كل يوم ندماً وحسرة؟!.

وحكم الدهر قبيح حين يحكم على الإنسان، أو يتحكّم في مصيره.

وعن هذا المعنى يعبّر أبو الفتح بي أبي حصين وقد اضطر إلى النزول ضيفاً[١٧٦]:

وأخٍ مسّه نزولي بقُرْحٍ مثل ما مسّني من الجوع قرحُ

بتّ ضيفاً له كما حكم الدهـ ـرُ وفي حكمه على الحرّ قبح

وقلّما يشيد الشعر بإنصاف الدهر، أو يتغنّى بحسنه ونعيمه. بل يُعزى إليه شموله الأنام جميعاً بالشر والأذى والظلم، حتى إنه يظلم النخبة من ذوي الفضل والرفعة، على ما يرى الحسين بن علي البغوي في قوله[١٧٧]:

إن كان يظلمني دهري فإنّ له سجيّةً ظلْمُ أهل الفضل والشرف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وثمة شكوى أخرى من سلب الدهر أغلى ما للإنسان، ومن إزعاجه إياه حتى الإتلاف والإفناء. يقول المتنبي في ذكر شيء من ذلك[١٧٨]:

لم يترك الدهر في قلبي ولا كبدي شيئاً تتيّمه عين ولا جيدُ

ويقول أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمداني[١٧٩]:

يا دهر إنك لا محالة مزعجي عن خطتي ولكل دهر شان

(مزعجه: أي مُقْلِعُه من مكانه). ولا يخفى تصوّر الهمداني وجود مجموعة من الدهور، على غرار ما تقدم من صور له عند المتنبي.

ويغالي ابن المعتزّ في شكوى الدهر والتبرّم بفِعاله حتى ليحسد من مات فاستراح منه، يقول[١٨٠]:

ألست ترى يا صاح ما أعجب الدهرا فذمًّا لـه لكن للخالق الشكرا
لقد حبّب الموت البقاء الذي أرى فيا حسداً مني لمن سكن القبرا

وقريب من ذلك قول عبد الله بن طاهر(١٨١):

ألم ترَ أن الدهر يهدم ما بنى ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سرَّ أن لا يرى ما يسوؤه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

وقول أبي الفتح البستي(١٨٢):

صبراً على الدهر الخؤون وريبه يا نفس كيلا نبتلي بكلابه
وإذا صبرت على إساءة ظالم لا تندمي فثوابه بك لا به

ومن قلائد ابن الرومي في هذا المعنى(١٨٣):

دهرٌ علا قدْرُ الوضيع به وترى الشريف يحطه شرفُهْ
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلاً، وتعلو فوقه جيفه

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

وللدهرِ «أسْرٌ» أي حبل يُربط به كما يربط الأسير أو الحيوان بإساره، ويعبر عن ذلك علي بن الجهم بقوله(١٨٤):

الدهر أنت بأسره قمرٌ ولذاك ليلته من الشهرِ

ويدخل الدهر في الملاحم والمعارك فيصوَّر محفوفاً بهالة من الغبار المبيضّ، ويستعير بعض الشعراء هذا المرأى لوصف الشيب، كقول ابن المعتز(١٨٥):

قالت كبرتَ وشبتَ قلت لها هذا غبار وقائع الدهر

وقريب منه قول الموسوي(١٨٦):

وما شبت من طول السنين وإنما غبار حروب الدهر غطّى سواديا

وشر الدهر وأذاه أضعاف خيره أو مسرته، فهو لا يُعفي أحداً من شره على ما يؤخذ من قول الأحوص الأنصاري(١٨٧):

الدهر إن سرَّ لا قِوَام له أحداثه تصدع الراسي من العلم
يستنزل الطير كرهاً من منازلها إلى المنية والآسادَ في الأجم
ويسلب الآمن المغترّ نعمته ويلحق الموت بالهَيّابة البَرَمِ

ولا يفلت أحد من قضاء الدهر وبطشه مثلما يرى وضاح اليمن مسايراً قول الأحوص في تصوير غطرسة الدهر، يقول(١٨٨):

يا دهرُ ما إن تزال معترضاً لآملٍ قبل منتهى الأمل
تنال كفّاكَ كلَّ مسهلةٍ وحوتَ بحرٍ ومعقلَ الوعل

كأن بيده مصائر المخلوقات طرّاً: البحر بما فيه والسهل والجبل بما تضمّنا؟!

ويقول غيره عن أذى الدهر(١٨٩):

لطيٌّ ثلاثٍ واصطبار على أذى من الدهر خيرٌ من سؤال لئيم

ويقول آخر(١٩٠):

ألا خلّني أمضي لشأني ولا أكنْ على الدهر كَلاً إن ذا لشديد

وأي شيء أشدّ مضاضة على الإنسان من الدهر مادام لا يحمل غير الضغينة والأذى؟! ولكن ماذا يملك الإنسان لمواجهة تلك القوة الغاشمة الطاغية إلا الصبر؟! كما يقول شاعر آخر(١٩١):

جُرْ ما بدا لك أيها الدهـر ... لك أن تجور وعندي الصبر

ومن الصور الطريفة المغايرة تصوّر الدهر قابلاً للانقسام كأي شيء مجسّم، أو كبيت من الشعر؟ يقول دريد بن الصمة[١٩٢]:

يُغار علينا واترين فيُشْتَفَى ... بنا إن أصبنا أو نغير على وِتْر

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا ... فلا ينقضي إلا ونحن على شَطر

وللدهر عرض، أو هو عريض صراحة كما في الخبر الآتي: «قيل لخالد بن صفوان (من فصحاء العرب المشهورين): مالك لا تُنْفقُ ومالُك عريض؟ قال: الدهر أعرض منه»[١٩٣]. وذمّ أعرابيّ رجلاً فقال: هو أكثر ذنوباً من الدهر.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- الدهر والرثاء:

بتأمل ما تقدّم من صور للدهر، وتعابير عن أفعاله بالناس، وصفات له وللوازمه يخلص المتأمل إلى أنه دهر «يَغُرُّ ويُمرّ، ويسوء من حيث يسرّ»، وأنه «لا تنتهي فيه المواهب حتى تتخللها المصائب، ولا تصفو فيه المشارب حتى تكدرها الشوائب»، و«حشو هذا الدهر أحزان وهموم، وصفوه من غير كدر معدوم». يبتلي الناس بالنوازل والخطوب والمحن فيهزّ مشاعرهم ويطبق على صدورهم حتى الاختناق.. وأشد ما يكون الفجع بين الناس يكون في الفقد، في فقد غال أو أخ حميم، أو مال عميم فهاهنا يجد المفجوع محرِّضاً على الشكوى من الدهر، والبكاء على من يحب.. أو لا يجد قبل الدهر من ينسب إليه الظلم وإنزال المصائب

والبلوى، ويصبح القول هنا ضرباً من التنفيس عن المفجوع، أو نوعاً من التفريغ النفسي باللجوء إلى القول والتذكر والترجيع، ويصبح الدهر وحده المسؤول عما جرى، أو يصبح وحده الظنين؟.

ولعل أقدم من كثر ذكر الدهر في مراثيهم الخنساء (تماضر بنت عمرو بن الشريد). ومما قالته من ذلك على سبيل التمثيل لا التعداد أو الإحصاء(١٩٤):

كل ابن أنثى بريب الدهر مرجوم وكل بيت طويل السمك مهدوم

(ويروى الشطر الأول: كل امرئ بأثافي الدهر مرجوم). وقالت(١٩٥):

أرى الدهر أفنى معشري وبني أبي فأمسيت عَبْرَى لا يجف بكائيا

وقالت(١٩٦):

تبكي خناسُ على صخر وحق لها إذ رابها الدهر إن الدهر ضرارُ

لابد من ميتة في صرفها غِيَرٌ والدهر في صرفه حَوْل وأطوار

[حَوْل: أي تحوُّل وتقلُّب وتصرف/ الأغاني ١٥: ٨٢]. وقالت(١٩٧):

لا أجزع الدهر على هالكٍ بعدك ما حنّت هوادي العِشارْ

إن يك هذا الدهر أودى به وصار مَسْحاً لمجاري القِطار

فكل حيٍّ صائرٌ للبلى وكل حَبْلٍ مرُّه لانبتارْ

ومن هذا اللون الرثائي قول سعدى بنت الشمردل(١٩٨):

هذا اليقين فكيف أنسى فقده إن راب دهرٌ أو نبا بيَ مَضْجَعُ

وقول حماد عجرد في رثاء محمد ابن أخي السفاح:

صرتَ للدهر خاشعاً مستكينا بعدما كنت قد قهرتَ الدهورا
ليتني متُّ حين موتك لا بلْ ليتني كنت قبلك المقبورا

وقال العكوَّك يرثي محمد بن حميد الطوسي[١٩٩]:

أللدهر تبكي أم على الدهر تجزعُ وما صاحب الأيام إلاّ مفجَّع
أصبنا بيوم في حميد لوانّه أصاب عروش الدهر ظلت تضعضع

وقال حريث بن جَبَلة العُذري، (وقيل: عِثْيَر بن لبيد العذري)[٢٠٠]:

وبينما المرءُ في الأحياء مغتبط إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير
حتى كأن لم يكن إلا توهّمه والدهر في كلّ حاليه دهاريرُ

(أي مختلفة تصاريفه ونوائبه).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا باب لا يغلق في بيت أو قبيل حتى يُفْتح في آخر، ولا في زمن حتى يُفتح في تاليه، كأن الرثاء تقليد شعري بكى فيه الشعراء قبل وقوفهم أو بكائهم على الأطلال، أو كان البكاءُ فيه ضرباً من رثاء الإنسان والأماكن، وسيبقى الرثاء تبيع الدهر ما حنّت النوق وشُيِّعت الجنائز.

ومما ارتبط بالدهر من ألوان الرثاء «رثاء الممالك والأقوام» الذي يصوِّر الدهر فيه كالإعصار أو الوباء، يعصف بكل ما فيه طريقه ويقوّضه ويَذرُه «قاعاً صفصفاً». ومن أمثلة ما قيل في هذا الموضوع نقتطف هذه الأبيات لأبي البقاء صالح بن شريف الرُّندي (نهاية ق٤هـ). قال من قصيدة طويلة[٢٠١]:

فجـائع الدهـر أنـواع منوّعـة ... وللزمـان مسـرّات وأحـزان
يـا غـافلاً ولـه في الدهـر موعظـة ... إن كنت فـي سنةٍ فـالدهر يقظـان
تلـك المصيبـة أنسـت مـا تقدمهـا ... وما لها، مـع طـول الدهـر، نسيان

ونظير هذا قول أبي الفتح البستي في نونيته[٢٠٢]:

يا عامراً لخـراب الدهـر مجتهـداً ... بالله هل لخراب الدهـر عمـران
وكن على الدهر معواناً لذي أمل ... يرجـو نـداك فـإن الحرّ معـوان
من استشار صروف الدهر قام لـه ... على حقيقة طبـع الدهـر برهـان

وعبارة «طبع الدهر» في قصيدة البستي تلخّص ما قيل من أوصـاف الدهـر وأفعاله في الأبيات الآنفة الذكر، كما تلخص نظرة العربي القديم إليه رمـزاً للجور والطغيان والإخافة، كأنه طاعون هذا الكون!.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويشاكل تصور البستي قول القاضي أبي بكر اللابسي[٢٠٣]:

تخيَّـلْ شـدّة الأيـام لينـا ... وكن بصروف دهـرك مستهينا
ألـم تَـرَ دورهـم تبكـي عليهـم ... وكـانت مَأْلفـاً للعِـزّ حينـا
وقفنـا معجبيـن بهـا إلـى أن ... وقفنـا عندهـا متعجِّبينـا

وقريب مما سبق قـول الخنسـاء فـي معـرض رثـاء أخيهـا صخـر وتأمّلهـا لقصص الماضين[٢٠٤]:

جليـدٍ حـازمٍ قِدْمـاً أتـاه ... صروف الدهـر بعد بني ثمود
وعـاداً قـد علاهـا الدهـر قسـراً ... وحِمْيَرَ والجنود مـع الجنـود

وفي موضع آخر تُحمل القول فـي رثـاء الأفـراد والممـالك والأمـم وصلـة

الدهر بكل ذلك، تقول[٢٠٥]:

لا شيء يبقى غير وجـه مليكنـا ولست أرى شيئاً على الدهر خالدا

كأنها أفادت من الآيتين الكريمتين: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فَانٍ وَيَبْقَى وَجْـهُ رَبِّـكَ ذو الجلال والإكرام﴾[٢٠٦].

وقريب من ذلك قول طرفة بن العبد[٢٠٧]:

أرى العيش كـنزاً ناقصاً كـلَّ ليلة وما تنقُـصِ الأيام والدهـر يَنفـدِ

لعمرك إن الموت مـا أخطأ الفتى لكـالطِوَل المُرْخَـى وثنيـاه بـاليدِ

ومن درر ما قيل في هذا السياق قول الأحوص الأنصاري[٢٠٨]:

من يَأمَنُ الدهر أو يرجو الخلود بـه بعد الذين مضوا فـي سـالف الأمـم

ليس امرؤٌ كان في عيش يُسَرُّ به يوماً بأخلدَ مـن عـادٍ ومـن إرَمِ

لابـدّ أن المنايا سـوف تدركـه ومـن يُعمَّر فلـن ينجـو من الهـرم

أيـن ابـن حـرب وقـوم لا أُحِسُّـهُمُ كانوا قريباً علينـا مـن بنـي الحَكَـمِ

بـادوا وآثـارهم فـي الأرض باقيـة تلكُمْ معـالمهم في النـاس لـم تَـرِمِ

(وابن حرب: أبو سفيان، من بني أمية، وكذلك الحكم بـن أبـي العـاص.. يعني الماضين). وهذا الشعور الدفين بالخوف يستبد بمن لديهـم حساسية مرهفة، ويظل هاجسهم الداخلي على مرّ العصور.. من الخنساء وطرفة بن العبد إلى نازك الملائكة التي «ترى في الزمن قوة جبارة مطـاردة والإنسـان يحـاول أن يهـرب منهـا، ولكنه لا يملـك أن ينجـو، أو لا يكـاد يملـك ذلك[٢٠٩]».

وبعد، فهل استطاعت الشواهد والنصوص، بدلالاتها المركزية والهامشية وبإيحاءاتها، أن تجلو مفهوم الدهر، أو تخفف من غموضه؟! وهل كان الدهر زمناً ذا حضور داخلي، أو كان قوة خارجية تتشرّب التجربة الإنسانية وتعيد قصها حتى تغتني تجلياتها بإضافات ترفدها بها مسيرة العقل، وسبحات الخيال، وتطور المفهومات الاجتماعية؟!

قد يكون الدهر في نظر المتحضّرين أو الفلاسفة أو العلماء مرتبطاً بالتاريخ وبحركته المتعاقبة وبالتغيير، أما في نظر الكتاب المبدعين العرب فالدهر زمن وكينونة، وأنصع ما يتجلّى في النصوص التراثية أنه حيٌّ، أو أن النصوص والصور الشعرية تخلع عليه صفة «الإحيائية»، فيبدو كالإنسان، أو كالحيوان الضاري المفترس، له أنياب وأظفار، يعض وينهش ويبطش، يطعن بالرمح ويبتر بالسيف، وحين يوقع بالإنسان يصير كالهاوية، أو كالمصيدة فيها الأحبولة والتهلكة، وحين يغدر بالبشر يتجسّم خصماً يخلو بهم ساخراً مخادعاً، أو يدير ظهره لهم فيتراءى خؤوناً لا يُؤْتمن. وحين يُدبر مبتعداً يخلّف ظلال مباهج ولّت، أو شمساً أَفَلَت فساد الظلام وعمّت البرودة.

ولكن الصور التي ترسم الدهر مستعينة بالجوارح والأبعاد والأفعال والألوان، أو مستعينة بالمظاهر الحسية، قد تتعرّى من كل هذا وتعمد إلى التجريد والذهنية، وعندئذٍ يلوح الدهر حالة عصية على الإدراك والتصور، أو يصبح تصوُّره مقصوراً على أصحاب النصوص، وعلى مفرزات معاناتهم الشخصية وإيقاع حياتهم الداخلية الخاصة.

الحواشي والإحالات:

١- انظر: تهذيب اللغة للأزهري، والصحاح للجوهري، والمخصص لابن سيده، ولسان العرب لابن منظور: مادة (دهر).

٢- اللسان: دهر، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢/٢٧٤ تحقيق لطفي عبد البديع – ط. القاهرة (١٩٦٣).

٣- تهذيب اللغة: دهر، وكشّاف التهانوي ٢/٢٧٤، واللسان: دهر، زمن.

٤- اللسان: دهر، زمن، حرس، سبت، حين.

٥- المصون في الأدب ١٠٣ للحسن بن عبد الله العسكري (ت٣٨٢هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط٢. القاهرة ١٩٨٢.

٦- المفضليات ٩٣ للمفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون. ط٥. دار المعارف بمصر ١٩٧٦.

٧- المختار من «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» للراغب الأصفهاني ص ٥١٨ سفر٣. (اختار النصوص وعلق عليها محمد أحمد درويش) منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٠.

٨- المفضليات ٢٠٤.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٩- الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/٤٦١، تحقيق أحمد محمد شاكر. دار المعارف بمصر ١٩٦٦.

١٠- ديوان جميل بن معمر العذري ٦٦ جمع وتحقيق د. حسين نصار. مكتبة مصر، ١٩٦٧ ط٢.

١١- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٣/ ٢٣٣.

١٢- ديوانه ١٢٦- ١٢٨.

١٣- الديوان نفسه ١٣١.

١٤- المصون في الأدب ١٨١.

١٥- نفسه ص ٢٠٠.

١٦- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤/٢٤.

١٧- الأصمعيات ١٧٣ للأصمعي تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. ط٤. دار المعارف بمصر ١٩٧٦.

١٨- المصون في الأدب ٢٠٠.

١٩- شرح ديوان المتنبي ج٢/٣. وضعه عبد الرحمن البرقوقي. دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ١٩٨٦.
٢٠- ديوانه ١٠٥.
٢١- الأصمعيات ٦٣.
٢٢- المفضليات ٢٤٨.
٢٣- ديوانه ١٠٤.
٢٤- شرح الخطيب التبريزي على ديوان أشعار الحماسة لأبي تمام. ج٢/ ١٦٠ طبعة القاهرة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م (في أربعة أجزاء).
٢٥- اللسان: سكن.
٢٦- المختار من محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني٣/٣٩٩.
٢٧- المصون في الأدب ١٤٠.
٢٨- اللطائف والظرائف لأبي منصور الثعالبي ص٢٣. دار المناهل. لبنان ١٩٩٢.
٢٩- اللمع في العربية ص ٤٩ تحقيق سميح أبو مغلي. دار مجدلاوي. عمان - الأردن ١٩٨٨.
٣٠- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤/ ٢٥٥.
٣١- نفسه ٤/ ١٣٠.
٣٢- سيبويه، الكتاب ١/ ١٣٦-١٣٧، طبعة بولاق، وانظر الصفحات ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٨، ٤١٨، ٤١٩ من ط. عبد السلام هارون ١٩٦٦.
٣٣- انظر: المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤/ ١٢٩.
٣٤- نفسه ٤/ ١٣٠.
٣٥- معجم «مقاييس اللغة»: دهر. تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط٢. مصر ١٩٦٩.
٣٦- انظر نشرة «أوراق مجمعية» ص٥. يصدرها المجمع العلمي العراقي. العدد (٧)، السنة الأولى. تشرين الأول ١٩٩٨.
٣٧- تهذيب اللغة، واللسان: نزل، دهر.
٣٨- انظر: نهاية الأرب للنويري ٣/٧٣. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. طبعة القاهرة ١٩٧٦. وموسوعة أمثال العرب ٦/٦١، إعداد: د. أميل بديع يعقوب. دار الجليل - بيروت ١٩٩٥.
٣٩- مجاني الأدب في حدائق العرب ٤/٧٣ للأب لويس شيخو. دار المشرق. بيروت ١٩٩٢.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤٠– اللسان: دهر.
٤١– اللسان: جذع.
٤٢– اللسان: بيض.
٤٣– التهذيب واللسان: منن.
٤٤– سورة الطور: ٣٠. واللسان: دهر.
٤٥– اللسان: عجب. والمختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤/ ١٢٢١، ٤/ ٤٥٠.
٤٦– الأصمعيات ١١٨.
٤٧– الأصمعيات ٢٤٠.
٤٨– اللسان: عهد.
٤٩– اللسان: سند. وكتاب «التيجان في ملوك حمير» ص٣٧٨. تحقيق مركز الدراسات والبحوث اليمنية. صنعاء ١٩٧٩ ط ثانية.
٥٠– الخصائص لابن جني ١/ ٢٦٥. تحقيق محمد علي النجار. دار الهدى للطباعة والنشر. بيروت ط٢.
٥١– سورة الجاثية: ٢٤.
٥٢– انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ١٧٠– ١٧١ط مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية. دار الكتاب العربي – القاهرة ١٩٦٧. وانظر أيسر التفاسير ٢/ ١٥٠٢ تأليف الدكتور أسعد حومد، مع ترجمة إلى الفرنسية. ط١، دمشق ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م. وصفوة التفاسير ٣/ ١٨٧ تأليف محمد علي الصابوني. الطبعة الرابعة. دار القرآن الكريم- بيروت ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م. والتفسير الكبير ٢٧/ ٢٧٥ لفخر الدين الرازي. المطبعة البهية بمصر.
٥٣– التفسير الكبير ٢٧/ ٢٧٥.
٥٤– أخرجه البخاري ومسلم.
٥٥– انظر: أسرار البلاغة ٣٨٩. قرأه وشرحه محمود محمد شاكر. ط١، القاهرة ١٩٩١. واللسان: صمم، جذع.
٥٦– اللسان: دهر. وانظر: أمالي الشريف المرتضى المسماة «غرر الفوائد ودرر القلائد» ص٤٥– ٤٦ ج١. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت ١٩٦٧.
٥٧– لؤي علي خليل: مدخل إلى معاني الدهر. ص ١٤٤ من مجلة- المعرفة –

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دمشق ١٩٩٨.

٥٨- انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٧١.

٥٩- ترجمة إلياس بديوي، في قسمين. منشورات وزارة الثقافة. دمشق ٧٧-١٩٧٨.

٦٠- التعريفات لعلي بن محمد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) ص ١١١، مكتبة لبنان - بيروت ١٩٧٨.

٦١- نفسه ١٢٣.

٦٢- التعريفات ١٧.

٦٣- اللسان: ألا.

٦٤- مقامات الحريري ص ٢١، ط: بيروت ١٩٨٠.

٦٥- مجاني الأدب ٤/ ١٨٧.

٦٦- انظر: المصون في الأدب ص ٦٨ - ٦٩، والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ص ٢٩٣. تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ط٣ - البابي الحلبي وشركاه. ونسب البيت في الأغاني إلى أعشى بني تغلب.

٦٧- انظر: المصون في الأدب ص ٦٧، وحاشيتي المحقق (٢) و(٣).

٦٨- انظر الشعر والشعر لابن قتيبة ١/ ٣٧٧.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦٩- ديوان قيس بن الخطيم ص ٩٩ تحقيق د. ناصر الدين الأسد. دار العروبة - القاهرة ١٩٦٢.

٧٠- المفضليات ٣٠٠.

٧١- الوساطة ص ٣٧.

٧٢- الوساطة ص ٣١٦.

٧٣- اللسان: خلف.

٧٤- اللسان: ملل، حول.

٧٥- ديوانه ١٨٩. جمعه وحققه د. عبد القدوس أبو صالح. مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧٥.

٧٦- انظر: مجاني الأدب ٤/ ٢٠٢.

٧٧- ديوانه ٢٢ وروايته فيه:

هم كاهل الدهر الذي نتقي به ... ومَنْكِبُهُ المرجوّ أكرم منْكِبِ

وقد جمع الديوان وقدم له وعلق عليه ناصر العاني. وراجعه وجمع شواهده عز الدين التنوخي. مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٦٤. وانظر معجم البلدان لياقوت الحموي ج٤/٢٧٢، ط٢. بيروت ١٩٩٥.
٧٨- مجاني الأدب ٤/٣٠.
٧٩- ديوانه ٤٢، شرح وتقديم عباس عبد الساتر. دار الكتب العلمية ط٣ – بيروت ١٩٩٣.
٨٠- اللسان: يدي.
٨١- ديوانه: ٥٢.
٨٢- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٣/٥٦.
٨٣- المفضليات ٨٢.
٨٤- البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزآبادي ص ٢٥٩. تحقيق محمد المصري. وزارة الثقافة – دمشق ١٩٧٢.
٨٥- مجاني الأدب ٤/٣٢.
٨٦- نفسه ٤/٤٧.
٨٧- ديوانه ٨١. دار صادر. بيروت (دت).
٨٨- نفسه ٨٤.
٨٩- ديوانه ٥٣.
٩٠- ديوان جميل ١٦٢.
٩١- مقامات الحريري ص ٢١. دار صادر. بيروت ١٩٨٠.
٩٢- الكامل للمبرد ١/١١٠ نشر مكتبة المعارف – بيروت (ب.ت).
٩٣- الشعراء السود ص ٢٠١ تأليف الدكتور عبده بدوي. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣.
٩٤- ديوانه ٩٧.
٩٥- نفسه ٢١١.
٩٦- ديوان ديك الجن لأنطوان الفوال ص ٩٠. دار الكتاب العربي ١٩٩٢ ط١.
٩٧- مجاني الأدب ٤/٥٨.
٩٨- نفسه ٤/٤٣.
٩٩- أساس البلاغة للزمخشري: مرر. تحقيق عبد الرحيم محمود. دار المعرفة، بيروت – لبنان ١٩٧٩.
١٠٠- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٣/ ٢١٦.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٠١– طبقات النحويين واللغويين للزبيدي الأندلسي ص ٧٢. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر ١٩٧٣.
١٠٢– مجاني الأدب ٣/ ٣١.
١٠٣– المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٣/ ٤٥٦.
١٠٤– ديوانه ١٧٥.
١٠٥– نفسه ٥٢.
١٠٦– المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤/ ١٢٤.
١٠٧– ديوان المتنبي ج١/ ٩ بشرح أبي البقاء العكبري. ضبطه وصححه: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي. دار المعرفة – بيروت (ب.ت).
١٠٨– خاص الخاص للثعالبي ص ١٢٢. مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٦.
١٠٩– أمالي الشريف المرتضى ١/ ٤٥– ٤٦.
١١٠– ديوانه ٢٣٣.
١١١– انظر: عصر الدول والإمارات للدكتور شوقي ضيف ص ٣٥٣. دار المعارف بمصر ١٩٨٠.
١١٢– شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ج٢/ ١٤ (م.س).
١١٣– انظر فوات الوفيات للكتبي ج٤/ ٣٣٢. تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر، بيروت – لبنان ١٩٧٤.
١١٤– المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٣/ ٢٩٨.
١١٥– ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٤٥١، تحقيق د. عبد الحفيظ السطلي. دمشق ١٩٧٤.
١١٦– شرح ديوان الحماسة ١/ ١٠١.
١١٧– المفضليات ٢٤٩.
١١٨– كتاب الآمل والمأمول المنسوب إلى الجاحظ، ص ٥٥. تحقيق رمضان ششن. دار الكتاب الجديد ١٩٨٣ ط٢.
١١٩– ديوانه ١٨٦.
١٢٠– الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٢٧٨.
١٢١– انظر: العصر العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف ص ١٥٤. دار المعارف بمصر، ط١.
١٢٢– اللسان: ضعف.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٢٣- ديوانه ١٢٨.
١٢٤- ديوانه ٤٦.
١٢٥- ديوانه ٣٧٠.
١٢٦- ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: المجلد الأول ص ٧٣، تحقيق محمد عبده عزّام. (ذخائر العرب)، مكتبة العازرية ١٩٦٨ ط٤. وطبعة الديوان الكامل بشرح شاهين عطية، ومراجعة الأب بولس الموصلي.
١٢٧- ديوانه ج١/ ١٧٤.
١٢٨- ديوان أبي فراس ص ١١٧.
١٢٩- الكامل للمبرد ١/ ٢٩٤.
١٣٠- انظر: نثير الجمان لابن الأحمر ص ٣٧٣، تحقيق محمد رضوان الداية. بيروت ١٩٧٦.
١٣١- خاص الخاص للثعالبي ٢٠٠.
١٣٢- مجاني الأدب ١٥٨/٣.
١٣٣- ديوانها ٨٤.
١٣٤- خاص الخاص ٢٣٩.
١٣٥- المفضليات ٢٦٩.
١٣٦- خاص الخاص ٢٤٥.
١٣٧- المفضليات، الصفحات: ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٧.
١٣٨- ديوانه ١٨٢، واللسان: ثني.
١٣٩- زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت٤٥٣هـ) ج٣/٧٠٢ بعناية الدكتور زكي مبارك. دار الجيل. بيروت - لبنان ١٩٧٢ ط٤.
١٤٠- مجاني الأدب ٤/٤٦- ٤٧.
١٤١- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٦٩/٤.
١٤٢- اللسان: حول.
١٤٣- الكامل للمبرد ٢١٧/٢.
١٤٤- الأصمعيات ١٨٤.
١٤٥- مجاني الأدب ١٢/٥.
١٤٦- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص ١٣٣. دار المسيرة - بيروت ط ١٩٧٨.

١٤٧- الأصمعيات ٢٢٩.
١٤٨- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي الأندلسي ص ١٧٤.
١٤٩- ديوان أبي تمام ٤٢٤/٢.
١٥٠- ديوانها ٤٧، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٤٧/١.
١٥١- اللسان: طرق.
١٥٢- الكامل للمبرد ٣٢١/١، والمصون في الأدب ٢٠٢.
١٥٣- ديوانه ٦٧.
١٥٤- اللسان: غير.
١٥٥- المصون في الأدب ١٦٥.
١٥٦- مقامات الهمذاني ١٩٣.
١٥٧- مجاني الأدب ٣١/٣.
١٥٨- اللسان: نصف. وشرح ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ج٣/ ١٠٩. عالم الكتب، بيروت (ب.ت).
١٥٩- المصون في الأدب ١٤٧.
١٦٠- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤١٤/٣.
١٦١- ديوانه ٥٢.
١٦٢- شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ج٢/ ٢٣٨.
١٦٣- الموضع السابق ج٢/ ٢٤٧.
١٦٤- نفسه ج٢/ ٢٤٩.
١٦٥- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٣/ ٢١٣.
١٦٦- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ١٣٣.
١٦٧- المختار من محاضرات الراغب ١٨١/٢.
١٦٨- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام القسم الأول -المجلد الأول ص ١٧٢ تحقيق د. إحسان عباس. ط. الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس ١٩٧٨.
١٦٩- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر برواية ابن منظور ج٩/ ١٨٠، تحقيق نسيب نشاوي. دار الفكر. دمشق ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م، ط١.
١٧٠- البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزآبادي ١٩٨.
١٧١- مجالس العلماء للزجاجي ص ٣١١. تحقيق عبد السلام محمد هارون - الكويت ١٩٦٢.

١٧٢- ديوان المتنبي ج١/٣١٦. المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤/٥٨.

١٧٣- ديوانه ٢٠.

١٧٤- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤/ ٢٥٥.

١٧٥- خاص الخاص ٢٤٣- ٢٤٤. وفي اللطائف والظرائف للثعالبي نفسه (ص٢٥) «كأنني إصبع».

١٧٦- خاص الخاص ٢٠٤.

١٧٧- نفسه ٢١٦.

١٧٨- ديوانه ج٢/ ١٤١.

١٧٩- خاص الخاص ١٩٣.

١٨٠- اللطائف والظرائف ٢٢.

١٨١- اللطائف والظرائف ٢٣.

١٨٢- نفسه ٢٣- ٢٤.

١٨٣- نفسه ٢٤.

١٨٤- ؟

١٨٥- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤/ ٥٥.

١٨٦- نفسه، والصفحة نفسها.

١٨٧- شعر الأحوص الأنصاري ص ٢٠٠، جمعه وحققه عادل سليمان جمال. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٠.

١٨٨- حماسة البحتري تحقيق لويس شيخو، بيروت ١٩١٠م، أو ١٩٦٧. شعر الأحوص؟!.

١٨٩- كتاب الآمل والمأمول المنسوب إلى الجاحظ ص ١٥.

١٩٠- نفسه ٥٧.

١٩١- السابق نفسه ١٥.

١٩٢- ديوان دريد بن الصمة الجشمي ص ٦٤- ٦٥ جمع وتحقيق محمد خير البقاعي. دار قتيبة. دمشق ١٩٨١.

١٩٣- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٢/ ٤١٨.

١٩٤- ديوانها ١٢٧.

١٩٥- نفسه ١٤٤.

١٩٦- ديوان الخنساء ٤٧.

١٩٧- نفسه ٧٠.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٩٨– الأصمعيات ١٠٤.

١٩٩– الشعراء السود ١٧٨.

٢٠٠– مجاني الأدب ٤/٣٦.

٢٠١– انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقّري التلمساني، مجلد ٤ ص ٤٨٧– ٤٨٨.

٢٠٢– ديوان أبي الفتح البستي ص ١٨٧– ١٨٨ تحقيق درية الخطيب، ولطفي الصقال. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

٢٠٣– خاص الخاص ٢١١.

٢٠٤– ديوانها ٣٩.

٢٠٥– نفسه ٣٢.

٢٠٦– سورة الرحمن: ٢٦– ٢٧.

٢٠٧– انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/١٨٧.

٢٠٨– شعر الأحوص الأنصاري ٢٠٠.

٢٠٩– انظر: اتجاهات الشعر العربي المعاصر ص ٩٣. عالم المعرفة. الكويت ١٩٧٨.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبان اللاحقي

سيرته – شاعريته

د. أحمد علي محمد

مقدمة:

عُرف أبان اللاحقي شاعراً ونظاماً في آن واحد، فكان في زمانه يسعى إلى رفع النظم إلى رتبة الشعر، حتّى بلغ غايته لمّا نظم كتاب «كليلة ودمنة» شعراً لبني برمك، فقيل: «كل كلام نقل إلى شعر فالكلام أفصح منه إلا كتاب كليلة ودمنة»[1].

وقد اشتهر أبان بنظمه فقدمه ابن المعتز على أبي نواس، وهو من تسنم ذروة الشعر في القرن الهجري الثاني، ومع هذه المكانة التي بلغها أبان عند القدماء فإنّه لم يحظَ باهتمام يذكر عند الباحثين المحدثين. من أجل ذلك أردت في هذا البحث تسليط الضوء على جوانب من سيرة أبان، وأتكلم على ما تبقى من شعره في المصادر كلاماً مجملاً، وأما نظمه فسوف أتركه إلى بحث آخر إن شاء الله.

١. مصادر سيرته:

لم تكن في مصادر الأدب إشارات مهمة تتصل بسيرة أبان

---

(١) الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد) ص: ٤٤/٧.

اللاحقي، المتوفى نحو سنة مئتين للهجرة، قبل التي أوردها الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في (الحيوان) حيث ذكره مع عصابة المجان[١]، وفي (البيان والتبيين) عندما تكلم على طبعه فجعل له مزية على يحيى بن نوفل وسلم الخاسر وخلف بن خليفة، كمزية بشار بن برد في الطبع على سائر المحدثين[٢].

وبعد الجاحظ ترجم له ابن المعتز (٢٩٦هـ) في كتابه (طبقات الشعراء)، وكان التابعون من الأدباء قد اعتمدوا على هذه الترجمة لاشتمالها على شذرات طيبة من أخباره مع أبي نواس خاصة. وبهذه الترجمة يُطوى ذكره في مصنفات القرن الثالث الهجري.

وفي القرن الرابع تردد ذكر أبان في خمسة مصادر رئيسية:

ARCHIVE

١. كتاب (العِقد الفريد) لابن عبد ربه (٣٢٨هـ) وقد جمع طائفة مختصرة من أخباره، وقطعة يسيرة من شعره.

٢. كتاب (الوزراء والكُتّاب) للجهشياري (٣٣٠هـ) وقد اقتصر على ذكر بعض أخباره.

٣. كتاب (الأوراق) للصولي (٣٥٥هـ)، وهذا الكتاب يُعَدّ مصدراً أساسياً في دراسة شعر أبان، إذ أحاط بمعظم ما بقي من شعره، إضافة لاشتماله على ترجمةٍ له وقعتَ في نحو خمسين صفحة.

---

(١) الخبر في كتاب (الحيوان) ص: ٤٥١/٤، وسبب التسمية سيأتي لاحقاً.

(٢) الجاحظ (البيان والتبيين) تح: عبد السلام هارون ص: ٥١/١.

٤. كتاب (الأغاني) للأصفهاني (٣٥٦هـ)، وأكثر ما جاء فيه مذكور في كتاب الصولي الآنف ذكره، ولكنه انفرد بقطع من شعر أبان، وهي قليلة.

٥. كتاب (الفهرست) للنديم (٣٨٠هـ) وقد تكلم على منظوماته والمؤلفات النثرية التي نقلها أبان إلى الشعر.

وفي القرن الخامس انتبه اثنان من الأعلام إلى ذكر أبان: الأول: ابن رشيق (٤٥٦هـ) في كتابه (العمدة)، والآخر: الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) في (تاريخ بغداد).

أما في مصنفات القرن السادس فلم نجدْ لَهُ فيها ذكراً يستحق التنويه. في حين وقف عند سيرته في القرن السابع ابن الأبار (٦٥٨هـ) في كتابه (اعتاب الكُتّاب). وفي القرن الثامن ذكره الصفدي (٧٦٤هـ) في (الوافي بالوفيات)، وفي القرن التاسع تعرض له ابن تغري بردي (٨١٣هـ) في كتابه (النجوم الزاهرة). وأخيراً وقف على أخباره من المتقدمين في القرن الحادي عشر الهجري حاجي خليفة (١٠٦٧هـ) في (كشف الظنون) وعبد القادر البغدادي (١٠٩٣هـ) في (خزانة الأدب).

فهذه أهم المؤلفات التي انطوت على ذكر أبان اللاحقي، وواضح أنّ ما أوردِه الصولي عنه اتسم بالإحاطة والشمول، في حين حاز الجاحظ في ذكرِهِ طرفاً من سيرته فضل السبق.

٢. مصادرُ شعره:

لا نستطيع القول: إنّ ما وصل إلينا من شعر أبان اللاحقي بطريق

الصولي أو غيره، جزءٌ من شعر ضاع كثيرٌ منه أو قليل؛ ذلك أننا لم نتبينْ، في مصنفات المتقدمين والمحدثين التي عنيت بآثار الأدباء من الكتب والأشعار، أنّ له ديوان شعر اطلع عليه الناس.

وأكبر الظن أنّ أبانا قد عُرف نظاماً أكثر منه شاعراً، لقولٍ أشاعه النديم عندما ذكر: «إنّ أكثر شعره من المزدوج والمسمط»[1].

وما يؤكد ذلك أنّ له في قصيدته التي نظم فيها كتاب (كليلة ودمنة) أربعة عشر ألف بيت[2]، ويضاف إلى ذلك قصيدة سماها بذات الحلل، وهي التي نسبت خطأً لأبي العتاهية[3]، وقصيدة في الصوم، وله شعرٌ آخرُ نظم فيه سيرة أنوشروان، وسيرة أردشير، وكتاب بلوهر، وبراداسف وكتاب الرسائل وكتاب حكم الهند...[4].

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي ذلك كله مؤشر على كثرة نظمه، ولكن أكثر هذا النظم قد ضاع، فنحن لا نجد من منظومته (كليلة ودمنة) سوى (٧٦) بيتاً، ومن ذات الحلل (٥) أبيات، ومن قصيدته في الصوم (٢٧) بيتاً، وأما منظوماته الأخرى فلم نعثر على أثر لها.

---

(١) النديم (الفهرست) ص: ٣٠٠.

(٢) الصولي (الأوراق) تح: هيوارث دن ص: ١. وقال ابن المعتز: «وهي قريبة من خمسة آلاف بيت. انظر: (طبقات الشعراء) ص: ٢٤٠.

(٣) المصدر السابق، ومن الغريب أن د. شكري فيصل في أثناء تحقيقه ديوان أبي العتاهية لم يشر إلى هذه القضية.

(٤) النديم (الفهرست) ص: ٣٠٠.

وأما شعره فقليل بقيت منه شذرات في كتاب (الأوراق) على نحو خاص، وقد طبع الكتاب المستشرق ج. هيوارث دن، وظهرت منه طبعات كثيرة في بيروت لكنها تفتقر إلى الدقة. في حين طبعت أشعاره حديثاً بطريق نازك سابايارد في كتاب سمته (في فلك أبي نواس) غير أنّ هذا الجهد منقوصٌ لضعف وسيلته في استقصاء أشعار أبان في المصادر.

٣.التعريف بأبان:

أ) اسمه:

ذكر الصولي أنّه أبانُ بنُ عبد الحميد بن لاحق بن عُفَر مولى بني رقاش من أهل البصرة[١]. وخالفه الأصفهاني عندما قال: «ابن عفير مولى رقاش» ومن جاء بعدهما أكد ما ذهب إليه الأصفهاني[٢]، مما يدل على خطأ وقع في المطبوع من (الأوراق) تحولت بموجبه عُفير إلى عُفر.

ومن العجب أن يذكر صاحب كشف الظنون أنه «اللاحقي البغدادي المعروف بالرقاشي الشاعر»[٣]، وقد نبه المتقدمون إلى أنه بصري المولد، وكان أَلِفَ بغدادَ بعدئذٍ، وأنه مولى لبني رقاش، ولم يكن رقاشياً صليباً.

---

(١) الصولي (الأوراق) ص: ١.

(٢) الأصفهاني (الأغاني) ص: ٩٣٠٤/٢٧. وانظر مثلاً (الفهرست) و(تاريخ بغداد)...

(٣) حاجي خليفة (كشف الظنون) ص: ١/٥.

ب) أسرته:

ليس هنالك من الأخبار حول أُسرته ما يغني، ولكنّ ابن رشيق ذكر أنّ جدَّهُ لاحقاً وأباه عبدَ الحميد وابنَه حمدانَ وحفيدَهُ كانوا جميعاً من الشعراء[١]، وكان الصولي ترجم لبعضهم في أوراقه.

ج) مولده ووفاته:

لا تُعيّن المصادر سنةَ ولادة أبان، ولا تحدد الزمن الذي برز فيه على مسرح الأحداث، وكل ما نعرفه إزاء هذه المسألة أنّه ولد بالبصرة وقضى فيها شطراً من زمانه، وكان حينئذٍ يواصل أصحاب المجانة واللهو، ولما خرج إلى بغداد اتصل بيحيى [بن خالد] بن برمك الذي تولى الوزارة في زمن الرشيد سنة سبعين ومئة[٢]، وقيل إنّه نظم له كتاب (كليلة ودمنة) شعراً ليسهل عليه حفظه، فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار[٣]، ثم قلده ديوان الشعراء ليرفع إلى بني برمك من المديح الذي يدبجه الشعراء فيهم ما يراه صالحاً، ويسقط ما يراه فاسداً[٤]. ومع ذلك لا نجد فيما بقي من شعر أبان ما يحمد ليحيى هذا الصنيع إذْ كان سبباً في رفعته، ولكنه خص الفضل بن يحيى بأروع مدائحه، وزعم الجهشياري أنّ أبانا قدم قصيدته التي نظم فيها (كليلة ودمنة)

---

(١) ابن رشيق (العمدة) ص: ١٠٧٩/٢.

(٢) ابن الطقطقى (الفخري) ص: ١٩٥.

(٣) الصولي (الأوراق) ص:١.

(٤) الجهشياري (الوزراء) ص: ١٩٢.

إلى جعفر بن يحيى[١]،لا إلى أبيه كما تقدم.

وأما وفاة أبان فكانت كما ذكر ابن تغري بَردي نحو سنة مئتين للهجرة[٢]، في حين قال حاجي خليفة: إنّها سنة عشرين ومئتين للهجرة[٣].

د) علاقته بشعراء عصره:

كان أبان اللاحقي في بادئ أمره ينقطع إلى فئةٍ من الشعراء سماهم أبو نواس عصابة المجان منهم: حماد عجرد وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان، ويونس بن هارون، وعلي بن الخليل، ويزيد بن الفيض، وجميل بن محفوض ومطيع بن إياس، ووالبة بن الحباب... وكان يونس، كما ذكر حماد عجرد، أكثر هؤلاء مجانةً وعبثاً، فكتب كتاباً لملك الروم في ذم العرب والقدح في دينهم[٤]. ومع أنّ صحبة أبان لهذه العصابة لم تدم طويلاً، فإنها أضرت به فيما بعد، ولا سيما عند توليه ديوان الشعراء.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

واتصل أبان وهو بالبصرة بشعراء آخرين كان منهم المعذل بن غيلان، وهو شاعر كوفي، قدم البصرة مع عيسى بن جعفر بن المنصور لما تولاها[٥]. وقد نشأت بينهما علاقة صورت ما كانت تنطوي عليه شخصية كل منهما من التعابث والهزل، ويبدو لنا ذلك في المهاجاة التي دارت

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة) ص: ٢/٢١١.

(٣) حاجي خليفة (كشف الظنون) ص: ١/٥.

(٤) الجاحظ (الحيوان): ٤/٤٥٠.

(٥) الأصفهاني (الأغاني).

بينهما طويلاً، ولعل أخطر صور ذلك الهجاء ما قاله المعذل في أُبان[١]:

رأيت أبانــاً يـوم فطـر مصليـاً فقسم فكري واستفزنيَ الطربْ
وكيف يصلي مظلم القلب دينه على دين مان إنَّ ذاك من العجب

ووجه الخطورة في هذا الشعر أنه يوجه سهام الشك إلى عقيدته من جهة انتسابه إلى المانوية، ومن العجب أنّ المتقدمين لم يروا فيه سوى صورةٍ من صور التعابث بين الشاعرين[٢].

وهنالك شاعر آخر عاشره أبان يكنى بأبي النضير[٣]، وكانا اجتمعا على الهجاء أيضاً، غير أنّ المصادر لم تحفظ من هجاء أبي النضير ما حفظته من هجاء أبان فيه حيث يقول[٤]:

إذا قـامتْ بواكيـك وقد هتّكن أستارك
أيثنين على قبْـ ـرك أَمْ يلعنَّ أحجارك
ومـا تـترك في الدنيـا إذا زرت غداً نـارك
ترى في سقر المثوى وإبليس غدا جارك

ولأبان أخبار مع شعراء كثر، فقيل إنه كان مولعاً بابن مناذر وكان يمازحه قائلاً: «إنّما أنت شاعر في المراثي، فإذا مت فلا ترثني»[٥]، وروي

---

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٧.

(٢) انظر ما قاله الصولي في (الأوراق) ص: ٧.

(٣) هو عمر بن عبد الملك مولى بني جمح. (الأوراق) ص:٨.

(٤) الصولي (الأوراق) ص:٩.

(٥) الأصفهاني (الأغاني) ص: ٩٣٢٢. [الأوراق: ص٣٢ - ٣٣]

أن مروان بن أبي حفصة كان يحسده، فذكر أن مروان «شكا إلى بعض إخوانه تغير الرشيد عليه وإمساك يده عنه، فقال له: ويحك أتشكو الرشيد بعدما أعطاك؟ قال: أوتعجب من ذلك؟ هذا أبان اللاحقي قد أخذ من البرامكة بقصيدة قالها واحدة مثل ما أخذته من الرشيد في دهري كله»[١]، وكان أبان اللاحقي يذهب في بعض شعره مذهب مروان فقيل: «عاتب أبانُ البرامكة في إعطاء الرشيد الأموال للشعراء وفقره مع ذلك، مع خدمته لهم، وموضعه منهم، فقال له الفضل: إن سلكت مذهب مروان أوصلت شعرك، وبلّغتك إرادتك، قال: والله ما استحل ذلك...»[٢]، ومذهب مروان مشهورٌ في دفاعه عن حق العباسيين في الخلافة، على اعتباره شاعرَ الرشيد، وعبارة أبان في هذا الخبر (واللهِ ما استحلُّ ذلك) تشي بأنّه يخالف موقف مروان بن أبي حفصة، ولكننا نجدُ له شعراً يناقض ما ترمي إليه العبارة الآنفة جاء فيه[٣]:

نشدتُ بحقِّ اللهِ من كانَ مسلماً ... أَعُمُّ بما قد قلتُه العُجْمَ والعَرَبْ
أَعَمُّ نبيِّ اللهِ أقربُ زلفةً ... إليه أم ابن العم في رتبة النسبْ
وأيُّهما أولى به وبعهدِهِ ... ومن ذا له حقُّ التراث بما وجب
فإن كان عباسٌ أحقَّ بتلكم ... وكان عليٌّ بعد ذاك على سبب
فأبناءُ عباسٍ هُمُ يرثونَهُ ... كما العم لابن العم في الإرث قد حجب

(١) الصولي (الأوراق) ص:٦.

(٢) الصولي (الأوراق) ص: ١٤.

(٣) المصدر نفسه.

وقد تكون هذه القصيدة، التي ذكر منها الصولي (١٤) بيتاً، فريدة من حيثُ موضوعُها، فليس في شعره الآخر ما يدل على أنّه كان ينحاز إلى بني العباس في أمر الخلافة. وربما كان يبطن موقفاً مخالفاً لما أثبته في هذه القصيدة، ويبدو أنّ الفضل بن يحيى هنا اضطره إلى إظهار عكس ما يبطن، فدعاه إلى احتذاء نهج مروان، فتظاهر أنّه لا يستحل ذلك، ولكنه في قرارة نفسه لم يجد بُدّاً من مجاراة ابن أبي حفصة، لا ليكسبَ مالاً من العباسيين، إذ البرامكة أغدقوا عليه المال حتى بات محسوداً من الشعراء جميعاً بمن فيهم ابن أبي حفصة شاعر الرشيد. وإنّما خاف أن ينكشف أمره لبني العباس فيُنَكل به أو يُستَغنى عنه.

وبقي جانبٌ مهم يتصل بعلاقات أبان مع معاصريه، وهو علاقته بأبي نواس. إذ المصادر لا تذكر متى بدأت هذه العلاقة، ونظنّ أنها قديمة، وقد ترجع إلى الزمن الذي كانا فيه بالبصرة، فقد سبقتِ الإشارة إلى أن أبا نواس هو الذي أطلق على أبان وأصحابه من ذوي العبث والاستهتار تسمية عصابة المجان في شعر هجا فيه أباناً قال فيه[١]:

يريد أن يتسوى ... بالعصبة المجّان
بعجردٍ وعبادٍ ... والوالبيّ الهجانِ
وابن الإياس الذي ... ناح نحلتيْ حلوان
وقاسم ومطيع ... ريحانة الندمان

---

(٢) الصولي (الأوراق) ص: ١١-١٢، وفي ديوان أبي نواس بتحقيق الغزالي ص: ٣٧٠.

واستمرت هذه العلاقة بعد أن انتقلا إلى بغداد، ويروي ابن المعتز أنّ أبا نواس كان سبباً في الحظوة التي نالها أبان عند البرامكة، ويذكر أن يحيى ابن خالد اختار في البدء أبا نواس لينظم له كتاب (كليلة ودمنة) فلما سمع أبان بذلك صار إليه فقال له ناصحاً: «أنت رجلٌ مغرم بهذا الشراب، لا تصبر عنه وعن الاجتماع مع أخوتك عليه، وهو لذتك من الدنيا ومتعتك. وهذا الكتاب كتاب مشهور لم ينقل إلى هذا الوقت من المنثور إلى الشعر، وإذا فُعل ذلك تداوله الناس وطلبوه ونظروا فيه، فإن أنت توليته مع تشاغلك بلهوك ولذتك لم يتوفر عليه فكرك وخاطرك، ولم يخرج بالغاً في الجودة والحسن، وإن توفرت عليه واهتممت به قطعك ذلك عن لهوك ومتعتك، فلا تقدم عليه إلا بعد إنعام النظر. فظن أبو نواس أنّه قد نصح له، واستقال الأمر فيه فاستعفى عنه»[١]. ثم تلقفه أبان فلم يبرح داره حتى قلبه من المنثور إلى المنظوم، وكان كما ذكر ابنه «يصلي ولوح موضوع بين يديه، فإذا صلى أخذ اللّوح فملأه من الشعر الذي صنعه ثم يعود إلى صلاته»[٢]، حتى قضى في نظمه أربعة أشهر[٣]، ثم قدمه ليحيى بن خالد فأعطاه عشرة آلاف دينار، وأعطاه الفضل بن يحيى خمسة آلاف، وقيل إنّ أبانا تصدق بثلث المال الذي أخذه.

وبعد ذلك استحكمت عداوة بين الشاعرين، فقيل إن أباناً لمّا تسلم

---

(١) ابن المعتز (طبقات الشعراء) ص: ٢٠٢.

(٢) الصولي (الأوراق) ص:١٢.

(٣) ابن المعتز (طبقات الشعراء) ص: ٢٠٣.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ديوان الشعراء لم ينصف أبا نواس، بل كان يسخر منه وينتقص من قدره، وحكى أنه أمر له مرة بدرهم زائف وقال:

«إني أعطيت كل شاعر على مقدار شعره، وكان هذا أوفى نصيبك عندي فهجاه»[١]، وذكر أيضاً أنّ أبا نواس كان ظئر ابنه حمدان ومعه نشأ وتأدب، فلما استقر أمر ديوان الشعراء لأبان في زمن البرامكة، جعل ينهاه عن مجونه، فقال يهجوه[٢]:

جالستُ يوماً أباناً ... لا دَرَّ دَرُّ أَبانِ
ونحنُ حُضُرُ رِوَاقِ الْـ ... أمير بالنَّهْرَوَانِ
حتّى إذا ما صلاةُ الْـ ... أولى أتت لأوانِ
فقام ثم بها ذو ... فصاحةٍ وبيانِ
فكلّ ما قال قلنا ... إلى انقضاء الأذانِ
فقال: كيف شهدتُمْ ... بذا بغير عِيَانِ
لا أشْهَدُ الدَّهْرَ حتّى ... تُعاين العينانِ
فقلتُ سبحانَ ربي ... فقال سبحان ماني

وكان أبان يرد على هجائه بهجاء كقوله في قصيدة أولها[٣]:

إن يكن هذا النوا ... سي بلا ذنب هجانا

ثم يذكر فيها:

---

(١) ابن عبد ربه (العقد الفريد) ص: ٤/١٨٨.

(٢) الصولي (الأوراق) ص:١١-١٢. وفي ديوانه ص: ٥٤٣.

(٣) المصدر السابق ص١٢.

هـانئُ الجـون أبـوهُ زاده اللـهُ هوانـا

وهكذا احتدم الهجاء بينهما حتى أذهب هجاءُ أبي نواس هيبة أبان عند البرامكة، فذكر ابن عبد ربه أنه لما هجا أبو نواس أباناً في قصيدة مطلعها:

أنت أولى بقلة الحظ مني يا مُسمى بالبلبل الصداح

بعث إليه أبان بأن لا يذيعها ويأخذ منه ألف ألف درهم، فقال له أبو نواس: «لو أعطيتني مئة ألف ألف درهم لم أجد بُداً من إذاعتها» فيقال إن الفضل لما سمع القصيدة قال: «لا حاجة لي في أبان، لقد رمي بخمسٍ لا يقبله على واحدة منهن إلاّ جاهل»[١].

هـ) عقيدته:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان أبان اللاحقي محسوداً كما صورنا آنفاً، لأنّه كان يشغل مكانة رفيعة عند البرامكة، مثل توليه ديوان الشعراء، وتحكمه بأعطيات الشعراء، ومن الطبيعي أن يكثر منافسوه، ولعل أبا نواس كان أخطر هؤلاء المنافسين، لظنه أنّ أباناً كأنما اغتصب حقه في نظم كتاب (كليلة ودمنة) لمّا صرفه عنه بالحيلة، ثم ظلمه بعد ذلك، ولسنا نعجب بعد الذي صورته المصادر إزاء هذه العداوة بينهما أن يرمي النواسي أباناً بالزندقة في شعر كثير منه[٢]:

---

(١) ابن عبد ربه (العقد الفريد) ص: ١٨٨/٤.

(٢) الصولي (الأوراق) ص: ١١.

لا أشـهد الدّهـر حتّـى تعـاين العينـانِ

وكان النواسي قد نسبه في هذه القصيدة إلى المانوية، وشبهه بعصبة المجان، وقدْ دافع عنه الجاحظ بقوله: «والعجب أنّه يقول في أبان: إنّه ممن يتشبه بعجرد ومطيع ووالبة... وأبان فوق ملء الأرض من هؤلاء، ولقد كان أبان وهو سكرانٌ أصحّ عقلاً من هؤلاء وهم صحاة»[١]، وعندما انتهى به القول إلى عقيدته ذكر: «فأما اعتقاده فلا أدري ما أقول لك فيه»[٢]. وعلى الرغم من الغموض الذي يكتنف عبارة الجاحظ الخاصة بعقيدة أبان، فإن الناس قديماً وحديثاً قد وقفوا موقفين متعارضين من عقيدة أبان: موقف سلبي مثله خصومه من الشعراء والأدباء في عصره أمثال المعذل بن غيلان وأبي نواس وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وقد نحا بعض المتأخرين نحوهم كعبد القادر البغدادي الذي ذكر إنه «شاعر مطبوع بصري ولكنه مطعون في دينه»[٣]، وكذلك آثر نفر من المحدثين اعتباره ماجناً أمثال د. شوقي ضيف وعبد الرحمن بدوي[٤]، فهؤلاء جميعاً وجهوا سهام الشك إلى عقيدته، فنسبوه إلى المانوية، وهذا الموقف عند

---

(١) الجاحظ (الحيوان) ص: ٤/ ١٤٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البغدادي (خزانة الأدب) ص: ١٧٣/٨.

(٤) انظر مثلاً إلى ما كتبه د. شوقي ضيف عن أبان في (العصر العباسي الأول) ص: ٩٠ وإلى كتاب د. عبد الرحمن بدوي (من تاريخ الإلحاد في الإسلام) ص: ٤١.

معاصريه خاصة، ينطوي على عداوة وتنافس. وأما أبو عبيدة فكانت بينه وبين أبان عداوة أيضاً، إذْ كان أبان كما تذكر بعض المصادر يثلبه ويقدح في نسبه في مجالسه وكان أبو عبيدة يتهمه في عقيدته(١).

وموقف إيجابي أثنى فيه المتقدمون على خلقه ومعتقده، فذكر أبو زيد الأنصاري: «كان جاري فما فقدت قراءته في ليلة قط»(٢)، وقال مهدي بن سابق: «كان أبان جاراً لي وكان باطنه خيراً من ظاهره، وكان يصلي بالليل»(٣)، وقال الصولي: «وكان أبان حسن السريرة حافظاً للقرآن عالماً بالفقه»(٤)، وقال أبان عن نفسه: «أنا أرجو الله وأسأله رحمته، ما مضت عليّ ليلة قط لم أُصلِّ فيها تطوعاً كثيراً»(٥).

وإذا انتهى بنا الأمر إلى آثاره وجدنا فيما بقي من شعره عاطفة لديه موصولة بالإيمان حيث يقول(٦):

قلت للحواري قد طولت إتعابي ... مالي وللشعر والقرآنُ أولى بي

ويقول أيضاً(٧):

---

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٣٦-٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) الصولي (الأوراق) ص: ٣٨.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أشـــهد أن لا إلـــه إلاّ   إلهنـا الخـالق الكبـيرُ
محمــدٌ عبــده رســولٌ   جـاء بحـق عليـه نـور

وله قصيدة في الصيام أولها[١]:

هذا كتاب الصوم وهو جامع   لكل مـا قـامت بـه الشـرائع
من ذلك المنُزل في القـرآن   فضلاً على مـا كـان ذا بيـان

وبالمقابل يجد الباحث مفرداتٍ أو تعابيرَ في شعره تثير اللبس، كقوله وهو يذكر طائر التدرج في بعض شعره[٢]:

وأتـى تـدرجٌ وبيـع كثـير   ونعـال سـندية صـراره

وقد يكون ذكره طائر التدرج من باب التعابث، أو يكون وقع مصادفة هنا، غير أنّ لطائر التدرج جانباً من القداسة عند المانوية، فقد كان مما يمتحن به الزنادقة، ففي عهد المأمون كان إذا أُلقي القبض على زنديق من أتباع ماني خُيِّر بين الرجوع عما هو فيه، أو القتل، فإذا رجع امتُحِن بالبصق على صورة ماني، وقتل طائر التدرج[٣].

ومن ذلك أيضاً قوله يصف مدينته فَسَا[٤]:

وخصلـة خصـت بهـا أنـّه   خير بني الكفار كفارهـا

(١) المصدر نفسه ص: ٥١.

(٢) المصدر نفسه ص: ٢٧

(٣) بدوي، عبد الرحمن (من تاريخ الإلحاد) ص: ٤١.

(٤) الصولي (الأوراق) ص: ٤٢.

ففي قوله: (خير بني الكفار كفارها) ما يثير الشك، فكيف يصح التفاضل في الكفر، فيكون بعض الكفار خيراً من بعض؟!

وأمر آخر يبعث على الحيرة في أمر عقيدته وهو نظمه كتاب مزدك شعراً بعدما ترجمه ابن المقفع من الفارسية إلى العربية، ومزدك صاحب عقيدة تممت عقيدة ماني، وكان قد دعا إلى تغليب النور على الظلمة، والدعوة إلى شيوع المال والنساء... ويذكر بعض المستشرقين أنّ الكتاب لا يعدو كونه كتاب متعة[1]، ولكنه في ضوء ما اتهم به أبان قد يتحول من صورة إلى صورة أخرى.

٤ . شاعريته:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إنّ ما تبقى من شعر أبان قد يعطي صورة دقيقة عن أسلوبه وشاعريته، خصوصاً أن ما وصل إلينا من شعره لا يصعد إلى الأفق الذي وصلت إليه شهرة أبان عند أدباء عصره من جهة اقتران ذكره بأبي نواس، وتفوقه عليه في رأي بعض النقاد كما أشرنا آنفاً.

أ) مكانته:

شغل أبان مكانة أدبية رفيعة عند المتقدمين، فقد بينا فيما سبق كيف ميزه الجاحظ عن ذوي المجانة بصحة العقل، ثم جعله على رأس

---

(١) بلاّ، شارل (الجاحظ) تر: إبراهيم كيلاني ط. دار الفكر بيروت ص: ٩٦.

المحدثين في الطبع فلم يقدم عليه إلاّ بشار بن برد[١]، أما ابن المعتز فقد فضله على أبي نواس في باب الهجاء خاصة، فقال: «وقد هجاه أبو نواس بشعر كثير فما سار له فيه شيء على شهرة شعره، ولم يقل في أبي نواس غير ثلاثة أبيات وقد سارت في الدنيا وهي[٢]:

أبو نواس بن هاني ... وأُمه جُلُبّان

والنّاس أفطن شيء ... إلى دقيق المعاني

إن زدت حرفاً على ذا ... يا صاح فاقطع لساني

ولم يكتف ابن المعتز بذلك وإنما جعل أباناً في طبقة أسمى من طبقة أبي نواس فقال: «وكان في جميع أحواله أرفع طبقة من أبي نواس»[٣]، وواضح أنّ ابن المعتز كان معجباً بأبان وبشعره ونظمه أيضاً، وقد بالغ في الثناء على أُرجوزته في نظم كليلة ودمنة بقوله: «لم يتعلق عليه بخطأ في نظمه»[٤]، مع أنّه انفرد من بين الأدباء بذكر ما جرى بين أبي نواس وأبان بشأن نظم كليلة ودمنة، إذ أظهرت روايته أباناً ماكراً مخادعاً كأنما استلب من أبي نواس الكتاب فارتفع بنظمه عند البرامكة.

والحق أنّ أباناً لم يتفوق على أبي نواس، لا في الهجاء ولا في

---

(١) الجاحظ (الحيوان)، ص: ٤/٢٤١.

(٢) ابن المعتز (طبقات الشعراء)، ص: ٢٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٤١-٢٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٤١.

غيره، فالأبيات التي بالغ ابن المعتز في الثناء عليها إن سلمت من الضعف لا تسلم من الشك، إذْ نسبها بعض الأدباء لابنه حمدان[١]. وكذلك لا أرى فيما بقي من شعر الرجل ما يرفعه إلى طبقة أبي نواس، وأظن أنّ ابن رشيق قد بالغ في حكمه عندما قال: «ومن طبقة أبي نواس العباسُ بن الأحنف ومسلمُ ابن الوليد والفضلُ الرياشي وأبانُ اللاحقي وأبو الشيص والحسين بن الضحاك ونظراء هؤلاء ساقتهم دعبل...»[٢]. إلاّ إذا كان له شعر لم نطلع عليه نحن يوازي في جودته ما وصل إلينا من شعر أبي نواس ومسلم بن الوليد، وهذا احتمال ضعيف لظني أنّ الدّهر إنما يبقي النماذج القوية المكتملة، ويهمل التجارب الوليدة الضعيفة.

ب) آثاره:

سبقت الإشارة أن أباناً ترك شعراً ونظماً لا نعرف مقدارهما، ذلك أنّ آثاره لم تحظ بكتاب مدون، وإنما تناثرت صور منها في كتب الأقدمين.

١. شعره:

اشتهر أبان اللاحقي بهجائه، إذ الهجاء ذهب بباب واسع من شعره، وإلى جانب الهجاء قال شعراً في المدح والرثاء والغزل.

---

(١) أورد الصولي أن الحسين [بن علي المهدي] رواها عن شاكر [بن عبد الله بن عبد الحميد بن لاحق] لحمدان بن أبان (الأوراق) ص: ٣٣.

(٢) ابن رشيق (العمدة) ص: ٢١٣/١.

أ – هجاؤه:

لم يعمد أبان في هجائه إلى التعابث والفحش إلا في مقطعة واحدة ذم فيها أبا نواس بعدما آلمه وأوجعه أولها[١]:

إن يكـــن هـــذا النـــوا ... ســي بــلا ذنــب هجانــا

وما عدا هذه المقطعة ابتعد في هجائه عن القذف والفحش على كثرة ما هجاه منافسوه بمعان وألفاظ يترفع الذوق عن ذكرها، إضافة إلى طعنهم عليه عقيدته، ومع ذلك لم يستسغ أبان الشتم والسب، وآثر اللّطف في الهجاء مثل أن يعيب على المهجو وقوعه في التصحيف كقوله في أبي العتبي[٢]:

فلـو كـان مـا قـد روى عنهمـا ... سـماعاً ولكنـه مـن كتـاب
رأى أحرفا شبهت في الهجاء ... سواء إذا عدها في الحساب
فقال أبي الضيـم يكنـى أبـاً ... وليست أبي إنمـا هـي آبـي

وأحياناً يعرّض بنسب منافسيه كقوله في المعذل بن غيلان[٣]:

أحاجيكم ما قوس لحم سهامها ... من الريح لم توصل بقدٍ ولا عقب
ألا تلك قوس الدّحدحي معذل ... بها صـار عبديّا وتـمَّ لـه النسـب

---

(١) الصولي (الأوراق) ص: ١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٧.

وأحياناً أخرى ينعت مهجوه بالحمق كقوله في أبي النضير(١):

غضب الأحمق إذْ مازحته كيف لو كنا ذكرنا المردغه
سوّد الله بخمس وجهه دكن أمثال طين الردغه

فهذا الهجاء له نظائر عند أبان، وهو من حيثُ موضوعُهُ، كما ترى، يسيرٌ من جهة شدة وقعه على نفس المهجو؛ ذلك أنّه هجاءٌ نفسي بعيدٌ عن القدح في الأعراض، أو الشك في العقائد، رفيعٌ عن البذاءة. إنّه باختصار لا يتناول أكثر من الإشارة إلى العيوب النفسية والمساوئ الخلقية الناجمة عن صفات المهجو وأقواله وأفعاله. هذا من جهة معنى الهجاء عنده.

وأما أسلوبه فتغلب عليه اللغة اللينة التي تجنح إلى التعابث والهزل، ويرجع السبب في ذلك أنّه أراد أن يجعل من مهجوه أُضحوكة، ومن شعره فيه نادرة يتداولها الناس بيسر وسهولة، ولهذا لم يكلف نفسه جهداً كبيراً في تخير الألفاظ التي أخرج بها ذلك الهجاء. فلهذا لا تجد في أهاجيه أثراً لرصانة التعبير أو قوة التركيب، أو تماسك النسج، مثلما تجد هذه الصفات عند أبي نواس ومسلم، وإذا أردنا أن نعرض جانباً من الهجاء اللين الذي نتكلم عليه من شعر أبان نجد قصيدته في هجاء رجل من ثقيف تصور ما أشرنا إليه بوضوح، يقول(٢):

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٩.
(٢) المصدر السابق ص: ٢٤.

لمـا رأيـت الـبز والشـاره — والفرش قد ضاقت به الحاره
واللـوز والسـكر يُرمى بـه — من فوق ذي الدار وذي الداره
وأحضروا الملهين لـم يتركوا — طبلاً ولا صاحب زُمّاره
قلـت لمـاذا قيـل أعجوبـة — محمّـد زوج عمّـاره
لا عمـر اللـه بهـا ربعـه — ولا رأتـه مدركـا ثـاره

لا شك أنك تلحظ أنّ في هذا الشعر ليونةً وتلقائية تضر بأسلوبه حقاً. إذ الليونة المحمودة تلك التي تتصل بالطبع والبديهة، لكنها هنا جازت الحد المستجاد فتحولت لغة الشعر في ضوئها إلى لفظية مغرقة نفت عن الشعر شعريته، وغسلته من ضروب التصوير التي من شأنها أن تصدم إحساس القارئ فتعمق وعيه بالجمال.

إنّ اللغة في مثل هذا الهجاء مباشرة، أو قل إنها عادية لا تعتمد كثيراً على الإيماءات والتصاوير، لذا فقد تقرأ قصيدة كاملة في الهجاء أو جزءاً من قصيدة دون أن تقع على استعارة أو تشبيه من مثل قوله في هجاء عسكر[1]:

أتـاني عسـكرٌ أخـزا — هُ مـن إيـاي قـد أخـزى
وقـد ألبسـتُ مـن شـقو — ةِ جـدّي جبتـي الخـزّا
وكـانت مـن تـلادٍ مـو — دع مـن شـفق جِـرزا
حـذار أن يراهـا طـا — مـع يومـاً فتبـتزّا

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٢٥.

فجـــاء القـــدر الجالِـــ ـــبُ بـي يحفزنـي حفـزا
إلـى مسـتكتب يدعـى بفضـل حـافظِ المعـزى
فقـال اكـسُ فتـىً يمنـ ـحـك الـودّ تـزد عـزا

وإذا ما استعرضنا صور هجائه كافة فقد لا نجد قصيدة أو حتّى مقطعة تخرج على تلك الملاحظات النقدية التي أشرنا إليها، وتبقى بعض القضايا الأسلوبية التي تخص الهجاء وغيره من موضوعات شعر أبان سنشير إليها في خاتمة هذا البحث.

ب – مدحه:

قيل إنّ أباناً لما خرج من البصرة إلى بغداد، كان دبّج قصيدةً في مديح الفضل بن يحيى، لكنه لم يجده حين قصده، فوقف ببابه إلى أن جاء، فتوسل إلى رجل هاشمي كان في موكب الفضل فقال له[1]:

يـا عزيز النّدى ويـا جوهر الجوْ ـهـر مـن آل هاشـم بالبطـاح
إنّ ظنّـي وليـس يخلـف ظنّـي بـك فـي حـاجتي سـبيل النجـاح
إنّ مـن دونهـا لمصمـتُ بـاب أنـت مـن دون قفلـه مفتـاحي
تـاقت النفس يـا خليـل السـماح نحو بحـر النـدى مجاري الرِّياح
ثمّ فكرت كيف لي واستخرت اللـ ـه عنـد الإمسـاء والإصبـاح
وامتدحـت الأمـيرَ أصلحـه اللـ ـه بشـعرٍ مشـهّر الأوضـاح

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٣.

فقال له الهاشمي: هاتِ مدحك، فقال[١]:

أنا من بغية الأمير وكنز ... من كنوز الأمير ذو أرباح
كاتب حاسب خطيب أديب ... ناصح زائد على النصاح
شاعر مفلق أخف من الريـ ... ـشةِ مما يكون عند الجناح

وهي طويلة تداول الناس بعض أبياتها، ورُوي أنها لمّا بلغت أبا نواس نقضها بقوله[٢]:

إنّ أولى بقلة الحظّ مني ... المسمى بالبلبل الصياح
لم يكن فيك من صفاتك شيءٌ ... غير خلق مدحدح دحداح
لحية ثطة وأنف قصيرٌ ... وانثناء عن التقى والصلاح

ولأبان قصيدة أخرى مهمة مدح فيها الفضل أولها[٣]:

أأحزنك الأولى ردّوا ... جمال الحي وادلجوا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد تكون من أطول مدائحه الباقية وأجودها، وأكثر ما يشد القارئ فيها مزاوجته بين ذكر الطلل والنسيب ثم مقابلته بين هذا الموضوع وإيثاره الاستماع إلى الغناء وميله إلى اللهو، وهذا جانب مستحدث في فواتح الأشعار عرفه الشعراء العباسيون دون من تقدمهم، ويجوز أن يكون أبان اللاحقي في أثناء مقابلته بين ذكر الطلل والغناء قد نزع إلى تجديد في

---

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٤.
(٢) المصدر نفسه ص: ٢٢.
(٣) المصدر نفسه ص: ١٥.

الشعر احتذاء بصنيع النواسي الذي كان يقابل بين الطلل والخمرة في كثير من أشعاره، ويبقى هنالك فارق كبير بينهما وهو أنّ أبا نواس قد حول هذا المعنى الشعري بطريق تكراره في شعره إلى ظاهرة فنية، في حين لم يترك أبان شعراً كثيراً في هذا الجانب غير الأبيات التي اشتملت عليها قصيدته الآنفة ومنها قوله:

ومنزلة وقفت بها ... لأدنى عهدها حجج
محتها الرّيح يغشى التر ... ب مغناها وينتسج
نعمنا ليلة الأنعا ... م حيث العرج ينعرج
بناعمة كمثل البدْ ... ر شاب دلالها غنج
تغاديني المعازف عو ... دها والصنج والرنج
بكفي شادن لم أنـ ... ـسَهُ في طرفه غنج
له نغمات قينات ... بها الأرواح تختلج
أحبُّ من الغناء مليـ ... ـح ما إيقاعه الهزج

وأما موضوع هذه القصيدة فليس فيه دلالة على نهج خاص تبعه أبان في مديحه، إذ ردد فيه صفاتٍ طالما تعاورها سابقوه كالشجاعة والجود والتقى...

ونجد إلى جانب هاتين المدحتين مقطعات أُخر في مديح الفضل بن يحيى كالتي يبدؤها بقوله(١):

---

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٢٠.

إن شمل الشيبُ قناع البلى   مفارقاً مني وأصداغا

والتي يقول فيها أيضاً[١]:

بالفضل يحسن لفظ كل مقال   وبه تسير غرائب الأمثال

وهذا معناه أن الفضل كان ممدوحه الأول، فإذا ما دعته الظروف إلى مدح الخليفة مثلاً تمثلت له خلائق الفضل ومآثره فلم يجد بُدّاً من ذكره، والإشادة بأعماله التي أسهمت في تثبيت أركان الخلافة، يقول مخاطباً الرشيد[٢]:

هنيئاً أمير المؤمنين لك الظفر   فقد تمت النُّعمى وقد ساعد القدر

ويخلص فيها إلى الإشادة بالفضل:

فكان هو الكنز الذي أُيدت به   خلافة هارون الإمام وما شعر

ويردد هذا الصنيع في مقطعة أخرى أيضاً[٣]:

أطال الله في عزٍ ونصرٍ   بقاءك يا أمير المؤمنينا

إذا ما الحرب شبّ لها ضرام   تقلب فيه أيدي الناكبينا

فولِّ مهمها الفضل بن يحيى   وقد رجّمت في يحيى الظنونا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٢١.

(٢) المصدر نفسه ص: ١٩.

(٣) المصدر نفسه ص: ٢١-٢٢.

لئن خصتكَ نعمتها بفضلٍ ... لقد عمت جميع المسلمينا

وهكذا نرى أن مديحه يكاد يقتصر على الفضل بن يحيى، ونعجب أننا لم نعثر على مدحٍ ليحيى بن خالد بين قصائده ومقطعاته الباقيات، إذْ كان يحيى قد بوأه مكانةً رفيعة عند البرامكة.

وفحوى القول في مديحه إنه تقليدي في أغلبه، وليس فيه معنى متميزٌ سوى مديحه نفسه الذي يطالعنا في بعض مدائحه في الفضل كقوله[1]:

فبمثلي تخلو الملوك وتلهو ... وتناجى في المشكل الفداح

أيمن الناس طائراً يوم صيد ... في غدو خرجت أم في رواح

أبصر الناس بالجوارح والخيـ ... ـل وبالخرّد الحسان الملاح

وهذا مديح للنفس لم يتوسع فيه شاعر في تاريخ العربية بعد أبان مثلما توسع به أبو الطيب المتنبي.

ج – رثاؤه:

إنّ أهمَّ صور الرثاء الباقية لأبان قصيدته في رثاء قاضي البصرة سوار ابن عبد الله، وهي قصيدة طويلة بلغت (٦٦) بيتاً يذكر في بدايتها[2]:

نفر نومي الخبر الساري ... إذ صرخ النعيُّ بسوار

هُدّ له ركني وآض الحشا ... كأنما سعّر بالنار

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٥.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٢-٤٦.

يا عين فابكيه ولا تقصري … فليس هذا حين إقصار

لقد جمع أبان في هذه القصيدة مواقف الرثاء الثلاثة المتمثلة بالندب والتأبين والتعزية، ولكنّ ندبه هنا لم يكن مؤثراً، إذ الندب الذي يفي بالغرض يكون مثيراً للحزن، مبيناً مقدار المصاب، قادراً على تعميق إحساس السامع بالفاجعة. حتى إذا ما انتقل إلى التأبين انصرف إلى تعداد مآثر الفقيد، ثم يعمد إلى التعزية بعد هدوء وتيرة الانفعال بالمصاب فيستشف من المصاب ما يدعو إلى الاعتبار بالموت. من أجل ذلك نشعر وكأنّ أباناً هنا لم يفِ بما يلزم الندب من العواطف، وليس ذلك فحسب وإنما نجد في اعتماده على وزن البحر السريع ما يثير الإيقاع ويخفف من وطأة الحزن وتوتر الانفعال.

ويبدو أنّ رثاء أبان عامة يمضي على هذه الوتيرة، ففي مقطعاته الأربع التي تركها في رثاء هيلانة جارية الرشيد دلالة على برودة عواطفه إزاء موضوع الرثاء، حتى لكأن هذا الموضوع استحال عنده ضرباً من المصانعة، يقول مواسياً الرشيد في موت هيلانة(١):

يا أمير المؤمنين المرتضى … إحمد الله على ما قد مضى
إن تكن هيلان وافت قدراً … فاسلُ يعقبك به الله الرّضا
إنما يحزن من ليس له … خلف يسليه عما قد مضى

ويقول أيضاً(٢):

---

(١) الصولي (الأوراق) ص: ١٨.

(٢) المصدر نفسه ص١٩.

أديل من السرور الحزن لما ... ثوت هيلان في جدث ورمس
وأصبحت البلاد غداة ولّت ... عليها وحشة من بعد أُنس

وهنالك أمثلة باقية من شعره تدل على أنه كان يميل في بعض مراثيه إلى الحكمة، وهذا سببٌ في برودة عواطفه إزاء هذا الموضوع، يقول[1]:

مضى أنسٌ وقفاه حسين ... ومات أخوهما عبد السلام
ثلاثة أنجم أفلوا جميعاً ... دراري تضيء دُجى الظلام
وعاش مذمم لفساد دهر ... خؤون العهد يلعب بالأنام
كذاك الخيل يبقى الدون منها ... فأما السابقات فللحمام

وواضح هنا كيف انتقل بالرثاء من مجال تصوير الانفعالات المباشرة بالموت إلى فضاء رحب يستوعب التأمل والتفكير، ليخلص في النهاية إلى الوعظ، والاعتبار، وهذه النّزعة الحكمية قد تطول عموم مراثيه الباقية.

د – موضوعاته الأخرى:

بقيت لأبان، إضافة لماذكرناه آنفاً من موضوعات الشعر، بعض مقطعات في الغزل والمجون، وذكر له الصولي مقطعة يشكو فيها على لسان أهل البصرة من ظلم عمال الرشيد، خصوصاً عندما أرادوا أن يجعلوا بعض ضياع البصرة خراجاً، فاجتمع إليه الناس على نحو ما يروي الصولي

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٣٦.

وسألوه أن يعمل أبياتاً إلى يحيى بن خالد فقال[١]:

أشـــهد أن لا إلـــه إلاّ إلهنـــا الخـــالق الكبـــير
محمـــدٌ عبـــده رســـول جـــاء بحـــق عليـــه نـــور
وأنّ هـــارون خـــير وال فـــي العـــدل مـــا إن لـــه نظـــير
خليفـــة اللـــه قـــد رضينـــا مـــا ســـار فينـــا ومـــا يســـير
وأنّـــه خـــير مـــا إمـــام وأنّ يحيـــى لـــه وزيـــر
أبـــا علـــي إليـــك نشـــكو ظلمـــاً عرانـــا بـــه مغـــير
تزعـــم أموالنـــا خراجـــاً وهـــي كمـــا لـــم تـــزل عشـــور
وشـــرطنا أنّ كـــل محيـــي فهـــي لـــه ملكهـــا يصـــير
حكـــم نبـــيّ الهـــدى أتتنـــا ســـنته وهـــو لا يجـــور

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأبان هنا يصور جانباً من حياة الناس[٢]، وقد اعتراها ظلم عمال الخلافة، وهو جانب قلما احتفلت به المصادر التي أرخت الشعر، لا بل قلما التفت إليه الشعراء في مختلف عصورهم، ذلك أنهم انحازوا إلى الفئات الغالبة طمعاً بالعطاء، فسكتوا في أغلب الأحيان عن حياة الرعية، من أجل ذلك تكتسب هذه القصيدة من جهة موضوعها أهمية بالغة

---

(١) المصدر نفسه ص: ٣٨.

(٢) ذكر شارل بلاّ في كتابه (الجاحظ) أنّه لما عزم الرشيد على تحويل الأراضي في البصرة أراضي خراج لتخضع إلى ضريبة العشر لجأ أصحابها – ولعلهم كانوا من الفرس – إلى أبان طالبين منه التوسط لدى يحيى بن خالد، فنظم أبان هذه الأبيات لشرح هذه القضية. انظر الكتاب المذكور آنفاً ص: ٣٠٥.

لكونها تضيء جانباً من حياة العامة في العصر العباسي.

وفحوى القول: كان أبان ممن احترف النظم دون الشعر، فقد قيل له: «قُلْ في الغزل كما يقول فيه أبو نواس. قال: فأبو نواس لم ينقل الكتب للشعر كما نقلت، وإنما أعمل الشعر فيما ينفعني»(١)، فهو إذن كان ينتفع بالنظم فأكثر منه وأجاد فَذُكر أنّه لما عمل «كتاب كليلة ودمنة شعراً في قصيدته المزدوجة... قيل له بعد ذلك: ألا تعمل شعراً في الزهد، فعمل قصيدةً مزدوجة في الصيام والزكاة يوائم بها تلك»(٢).

وأما الشعر فليس بذي نفع عنده فنظمه تلبية لدواعي الوجدان ليس غير، فلهذا لم يبرع فيه كما برع في النظم، فكان شعره من الناحية النقدية وسطاً بين الجيد والرديء.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ت ٦٥٨هـ – ١٢٦٩م (إعتاب الكتاب) تح: صالح الأشتر، ط. مجمع اللغة العربية ـ دمشق ١٩٦١م.

(١) الصولي، (الأوراق) ص: ٣٩.

(٢) المصدر نفسه ص: ٥١–٥٢.

٢. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن ت ٣٥٦هـ – ٩٦٧م: (الأغاني) ط. دار الشعب – القاهرة ١٩٦٩م.

٣. البغدادي، عبد القادر ت ١٠٩٣هـ – ١٦٨٢م: (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب) تح: عبد السلام هارون ط. مكتبة الخانجي بمصر ١٩٨١م.

٤. ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف الأتابكي ت ٨٥٢هـ – ١٤٧٠م: (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) مط. دار الكتب المصرية ١٩٥٠م.

٥. الجاحظ، عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ – ٧٦٩م: (الحيوان) تح: عبد السلام هارون ط القاهرة ١٩٦٥م. (البيان والتبيين) تح: عبد السلام هارون ط. دار الفكر ١٩٦٩م.

٦. الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت ٣٣١هـ – ٩٤٣م: (الوزراء والكتاب) ط١. مط مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٨م.

٧. الخطيب البغدادي، الحافظ أبو بكر بن علي ت ٤٦٣هـ – ١٠٧١م: (تاريخ بغداد) ط. دار الكتاب العربي – بيروت.

٨. حاجي خليفة ت ١٠٦٧هـ – ١٦٧٩م: (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) ط. دار الفكر بيروت ١٤٠٢هـ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٩. ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني ت ٤٥٦هـ - ١٠٧١م: (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) تح: قرقزان ط. بيروت ١٩٨٨م.

١٠. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ - ١٣٦٤م: (الوافي بالوفيات) ط. القسطنطينية ١٩٣٩م.

١١. الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى ت ٣٣٥هـ - ٩٤٦م: (أخبار الشعراء - الأوراق) تح: ج. هيوارث دن.

١٢. ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد ت ٣٢٧هـ - ٩٣٨م: (العقد الفريد) مط. الأزهرية القاهرة ١٩٢٨م.

١٣. أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم ت ٢١٠هـ - ٨٢٣م: (أشعاره وأخباره) تح: شكري فيصل ط. بدمشق ١٩٦٥م.

١٤. ابن المعتز، عبد الله ت ٢٩٦هـ - ٨٧٧م: (طبقات الشعراء) تح: عبد الستار أحمد فراج ط٢. دار المعارف ١٩٨٦م.

١٥. النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق ت ٣٨٠هـ - ١٠٤٧م: (الفهرست) تح: ناهدة عباس ط. دار قطري بن الفجاءة - قطر ١٩٨٥م.

١٦. أبو نواس، الحسن بن هانئ ت ١٩٦هـ - ٨١٢م: (ديوانه) تح: أحمد عبد المجيد الغزالي ط. دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٤م.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثانياً: المراجع:

١٧. بدوي، عبد الرحمن (من تاريخ الإلحاد في الإسلام) ط. بمصر ١٩٤٥م.

١٨. بلاّ، شارل (الجاحظ) تر: د. إبراهيم كيلاني ط١. دار الفكر بيروت ١٩٨٥م.

١٩. ضيف، شوقي (تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي) ط٢. دار المعارف ١٩٧٣.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العربية لغة العلم

أ. شحادة الخوري

قال العرب قديماً: المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، وقال شاعرهم: لسان الفتى نصف ونصف فؤاده... وهذان القولان المعبِّران بداهة عن الحقيقة يعنيان أمرين هما أن قوام الإنسان جنان ولسان، وأن العقل والنطق مترابطان، لأن الفكر بلا لغة تصورات حبيسة، واللغة بلا فكر لغو باطل.

ولئن كانت العربية، وهي أعظم وأروع ما ابتدعه العرب في جاهليتهم، لغة دين وفقه وتشريع، ولغة أدب وابتداءً لغة شعر، والشعر ديوان العرب، فقد كانت وستبقى لغة العلوم بكل أصنافها وتفرعاتها. ونحكي في ما يأتي قصة العربية مع العلم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أ . المواجهة الحضارية الأولى :

اتصل العرب، بعد الفتوح، أيام الراشدين والأمويين، بشعوب وأمم أخرى ذات لغات خاصة بها، فانحسرت هذه اللغات أمام اللغة العربية التي صارت لغة الدين والحكم والسياسة والإدارة، ناهيك عن الأدب، ولاسيما الشعر. ولبّت العربية مطلب توافقها مع حياة العرب الجديدة الدينية والسياسية والفكرية والاجتماعية، فاتسعت من الداخل بالتوالد، ومن الخارج بالاقتراض كيما تفي بالدلالة على كل مدلول وبالتعبير عن كل ما يحتاج إليه الإنسان العربي آنذاك .

وجد العرب في بلاد الرافدين والشام ومصر وفارس واليونان والهند علوماً لم يكن لهم عهد بها، فرغبوا في نقلها إلى لغتهم العربية التي يعتزون بها للإفادة منها .

بدأت الترجمة في أيام بني أمية وخطت أولى خطواتها ولكنها ظلت محدودة الأفق لانشغال الأمويين بالفتوحات وتنظيم شؤون الدولة. وفي زمن العباسيين نشطتِ الترجمة العلمية، ولاسيما في عهد الخليفة المأمون، من اليونانية والسريانية والفارسية والهندية وشملت مختلف المعارف: الفلسفة والطب والهندسة والفلك والرياضيات والكيمياء. وخلال هذا العمل الكبير الذي امتد نحو مئتي عام وشمل نحو أربعمئة كتاب علمي، كان على المترجمين أن يستوعبوا المعارف العلمية التي تضمنتها تلك الكتب وأن يؤدوها باللغة العربية في ألفاظ وعبارات ملائمة ليتمكن القارئ من فهمها بيسر. ولم تكن الترجمة بالأمر السهل إذ بدأت من غير سابقة وفي جو من التهيب والحذر. فكانت طريقة يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي أن ينظر الناقل إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من معنى فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى ثم ينتقل إلى غيرها حتى يأتي على جملة ما يريد ترجمته. ونظراً لعقم هذه الطريقة ظهرت طريقة ثانية اتبعها حنين بن اسحق والجوهري وغيرهما وهو أن يأتي المترجم إلى الجملة فيحصِّل معناها في ذهنه ويعبر عنها بجملة تطابقها سواء أساوتها في الألفاظ أم خالفتها. وهذه الطريقة أصوب وأجود.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأما المقابلات العربية للمصطلحات العلمية فقد استنبطها المترجمون بفطنة واجتهاد من اللغة العربية متبعين طرائق محدَّدة أدرجها العلاّمة مصطفى الشهابي في كتابه «المصطلحات العلمية» الصادر عام ١٩٦٥ كما يلي:

١- ترجمة كلمات أجنبية بمعانيها .

٢- اشتقاق ألفاظ جديدة من أصول عربية أو معرَّبة للدلالة على المعاني الجديدة .

٣- تحوير المعنى اللغوي الأصلي للكلمة العربية وتضمينها المعنى العلمي الجديد.

٤- تعريب كلمات أعجمية وعدها صحيحة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى سبيل المثال لا الحصر وضعت في مجال الفلسفة ألفاظ اصطلاحية معظمها عربي وبعضها معرَّب. كلمة «فلسفة» نفسها معرَّبة عن اليونانية ومعناها «محبة الحكمة»، ثم اشتق العرب منها فعل «فلسف». واستخدمت الكلمات العربية التالية للدلالة على معانٍ محدَّدة: الأزل والأبد، القديم والحديث، العلّة والمعلول، الوجود والعدم، الصورة والجوهر والعرض، الموضوع والمحمول، الكلّي والجزئي، والقياس والاستنتاج والمقولات وغيرها كثير.

وفي مجال الطب وُضعت أسماء عربية عديدة: الجراحة والتشريح والكحالة. وسُمِّيت بعض الأمراض: كالربو والاستسقاء والذبحة والخانوق

وذات الجنب والسرطان، وعُرِّبت بعض الألفاظ عن اللغات الأخرى فقيل: التِرياق والأقرباذين والبنج والكافور والسِّرسام والقولنج وغيرها .

وفي الرياضيات وُضعت أسماء عربية: الدائرة والقطر والمثلث والمربع والمخروط والجيب والمماس وغيرها، وفي الفلك وضعوا: العُناق والبغاث والجبار والغول والغراب والطير والثور والذنب والعيوق والخابور والتنين والليث ورأس الجدي ورأس الجوزاء والفرقدين وغيرها.

وكذلك وضعت لأعيان المواليد من نبات وحيوان وجماد مفردات عربية مثل: لسان الثور وآذان الفأر وكثيرة الأرجل وآذان العنز وأنف العجل ولسان الكلب. ووضعت ألفاظ معرَّبة: الخِيار والباذنجان والبابونج والليمون والأُتْرُجّ والافستين واللوبياء والمقدونس والسَّوسن والنَّيْلوفَر...

ولكن إذا كان المترجمون قد وفقوا في كثير من الأحيان إلى إيجاد المصطلح الملائم فلا يعني أن ذلك تم من الوهلة الأولى أو بالسهولة التي نتصور، بل لقد عجزوا في بعض الأحيان عن العثور على لفظ عربي يؤدّي المعنى، ثم جاء من تجاوز الصعوبة بعد ذلك. فقد استخدم الأوائل من المترجمين ألفاظ الأريتماطيقي وفيزيقا وقاطيخوراس واسطقس، ثم أوجدوا ما يقابلها بالعربية: الحساب والطبيعة والمقولات والعنصر. وقالوا: السولوجسموس والريطوريقي والبيوطيقي ثم استعاضوا عنها بالقياس والخطابة والشعر.

وهكذا كان العمل يجري دون هوادة أو توقُّف في الترجمة ووضع المصطلح وكان يتمّم بصورة تصحيح أو معاودة، ابتغاء الأفضل والأكمل.

وبعد فماذا كان حصاد تلك الترجمة وذلك الجِدّ في التماس المصطلح الملائم؟ لقد اطلع العرب على علوم من سبقهم من الأمم والشعوب فلم يكرِّروا الجهود التي بذلها هؤلاء السابقون، بحثاً وتجريباً وتأليفاً، بل ابتدؤوا من حيث انتهى هؤلاء. وأثار ذلك هممهم، فقرؤوا «المعارف العلمية» بلغتهم العربية التي ألفوها وخالطت أفكارهم ومشاعرهم، فحفظوها وتمثّلوها تمثُّلاً سليماً، ثم دخلوا ميدان البحث والتجريب والتأليف فكان لهم في كل علم سَبْقٌ وفي كل ميدان جَوْلة.

وحسبنا في هذا المجال أن نذكر بعض الأسماء فتوحي إلينا بما قدَّم علماؤنا العرب من إضافات جليلة الشأن للمعرفة الإنسانية. نذكر الكندي وابن يونس والبيروني وابن الهيثم في الفيزياء والبصريات، وجابر بن حيان في الكيمياء والخوارزمي والكاشي والطوسي في الرياضيات، وأبناء موسى ابن شاكر في الفلك وابن البيطار في الزراعة والرازي وابن سينا في الطب وياقوت الحموي وأبا الفداء والإدريسي في الجغرافيا وابن خلدون في التاريخ وعلم العمران، وغيرهم كثير.

لقد أتيح للعرب أن يحققوا نهضة علمية امتدت زمانياً ما لا يقل عن خمسة قرون ابتداءً من مطلع القرن الثامن الميلادي، ومكانياً من تخوم الصين إلى سواحل الأطلنطي وبلاد الأندلس وجزر المتوسط ومن أقاصي طشقند وبخارى إلى منابع النيل في أواسط أفريقيا.

وكان المعين الذي استقت منه هذه النهضة هو العقل، والسبيل الذي سلكته هو سبيل التجريب والاختبار وعدم اتباع الأولين دون تحقق.

وعبَّر عن ذلك ابن البيطار بما يلي: «فما ثبت لديهم بالخبرة لا الخَبَر، وصحَّ عندهم بالمشاهدة والنظر ادخروه كنزاً سريًّا، وما كان مخالفاً في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والماهية للصواب والتحقيق، نبذوه ظهرياً وهجروه ملياً وقالوا لناقله أو لقائله: لقد جئت أمراً فرياً». ويقول الكاشي: «واختصرت الطرق اختصاراً مهتدياً بنور الخاطر لا مقتدياً بمسطور الدفاتر». وبهذه الطريقة حققوا للمعرفة البشرية إضافات مهمة ولم يكونوا نَقَلةً أو مقلّدين، بل مجتهدين ومبدعين.

ولعل أصدق ما قيل في فضل العرب في ميدان العلوم ما قاله جورج سارطون في كتابه الشهير «تاريخ العلوم»: «لقد كان العرب أعظم معلّمين في العالم، وقد زادوا على العلوم التي أخذوها، ولم يكتفوا بذلك بل أوصلوها إلى درجة جديدة بالاعتبار من حيث النمو والارتقاء».

ودار الزمن دورته، وهبَّت على البلاد العربية أعاصير من محن وحروب، وأتاها غزاة عتاة من الغرب والشرق، وتسلَّم مقاليد حكمها جهلة أعاجم، فركدت فيها الحياة العقلية وخمد النشاط العلمي مدة ليست بقصيرة. وفي هذا الوقت تنبَّهت شعوب الغرب الأوربي إلى أهمية العلم، بعد أن كانت غارقة في لجّة الجهالة وعَتَمة الخرافة، فعكف العديد من أبنائها على المؤلفات العلمية العربية يترجمونها إلى لغات الغرب في مدن إسبانيا وإيطاليا وبعض مدن فرنسا، ومن هنا بدأت نهضة الغرب التي نهلت من علوم العرب وثقافتهم ثم نمت واتسعت ومازالت حتى اليوم في نمو واتساع.

ب. المواجهة الحضارية الثانية:

وبعد قرون من الركود والخمود، تنبَّه العرب في مطلع القرن الماضي إلى أن العلم مصدر القوة، وأن الجهل هو سبب الضعف، وقرَّ في أذهانهم أن يستأنفوا السير في طريق التقدُّم العلمي، مجاراةً للعصر وحمايةً للوطن والتماساً للمَنَعة والقوَّة، وذلك في نطاق المشروع الحضاري العربي الذي بدأت ملامحه بالظهور وصار مناط الأمل وغاية الطموح عند بناة النهضة العربية الحديثة.

وبدأ السعي في مطلع القرن التاسع عشر لتحقيق الأهداف القومية الحضارية، في جانبها العلمي بمصر. فأُرسِلت البعثات لتحصيل العلوم العصرية إلى الغرب، وافتتِحت كليات ومعاهد لتدريس الطب والهندسة والزراعة والعلوم العسكرية والصناعات والفنون والإدارة واللغات، وجعل التدريس في هذه الكليات والمعاهد باللغة العربية، ونشطت حركة الترجمة لنقل العلوم من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية. وهكذا كان على اللغة العربية أن تعود ثانية إلى معانقة العلم فهو غِذاؤها وثَراؤها وهي سبيله إلى الأذهان وأداة أهله في الإفصاح والبيان.

وفي هذه الأثناء حصل إقبال شديد على تحصيل العلوم واهتمام شديد بالترجمة والتأليف ووضع المصطلحات العلمية باللغة العربية، وشارك العديد من أبناء الشام إخوانهم المصريين في هذه الجهود الخيِّرة وسارت الأمور في الطريق السوية نحواً من ثمانين عاماً على تباين في مستوى النشاط وجدِّية العمل، حتى كان الاحتلال البريطاني لمصر عام

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٨٨٢، وكان من آثاره تحويل التدريس العلمي في الجامعات والمعاهد إلى اللغة الإنكليزية، فكان هذا الإجراء نكسة للّغة العربية وللعلم معاً وضربة شديدة أصابت مشروع النهضة العربية.

وبعد هذا الحدث بسنوات قليلة قامت حملة على اللغة العربية اشترك فيها أجانب وعرب، زاعمة أن العربية لا تصلح لهذا العصر وعلومه وأنها السبب في تأخر العرب وتخلّفهم عن ركب الابتكار والاختراع. ووجد من دعا إلى ترك العربية الفصحى والأخذ بالعامية، ومن دعا إلى كتابة العربية بحروف لاتينية ومن دعا إلى هجر العربية واعتماد لغة أخرى بدلاً منها. وكان هؤلاء الدعاة أجانب موالين للاستعمار (وليم سبيتا الألماني وويلكوكس الإنجليزي) وشايعهم في حملتهم المضلّلة عرب من أصحاب النزعات المعادية للقومية العربية: الفرعونية والفينيقية (عبد العزيز فهمي وأحمد لطفي السيد وسلامة موسى وسعيد عقل).

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وطبيعي أن ينبري للردّ على هذه الحملة وتفنيد حججها الزائفة عدد كبير من المفكرين والأدباء، فبينوا مزايا اللغة العربية وقدرتها على أن تستوعب العلوم الحديثة وتكون لغة علم كما هي لغة أدب بما لها من قابلية لتوليد المصطلحات العلمية وتراث علمي غني يبعث على الثقة والاطمئنان، وكشفوا ما يختبئ وراء هذه الحملة، التي تبدو في الظاهر قضية علمية ولغوية، من دوافع سياسية لا تخفى على العين البصيرة. ولكن الأمر المؤسف أن هذه المؤامرة التي أخفقت في النيل من اللغة العربية الفصيحة من حيث هي لغة حيّة متطوّرة صالحة لكل نشاط ذهني أدبياً

كان أم علمياً، قد نجحت في تحويل التدريس العلمي في جامعات مصر ومعاهدها عام ١٨٨٧، بعد أن أُدِّي بالعربية أكثر من ستين عاماً، وتحويله في الكلية الإنجيلية السورية «الجامعة الأميركية» في لبنان عام ١٨٨٤، بعد أن أُدِّي بالعربية ثمانية عشر عاماً، إلى تدريسٍ باللغة الإنكليزية.

وهكذا وضع حاجز كثيف بين اللغة العربية والعلم في مصر ثم في سائر الأقطار العربية، حاجز لم يزل قائماً حتى الآن على الرغم من الدعوات والجهود التي توجه وتبذل لتعريب التعليم بكل أنواعه ومستوياته.

ولم ينجُ من هذا الخطأ التاريخي سوى القطر العربي السوري الذي بدأ بتدريس الحقوق والطب بالعربية بداية من عام ١٩١٩ ثم تابعه بالنسبة لكل العلوم الأساسية والتطبيقية والاجتماعية والإنسانية في جامعات القطر ومعاهده وبنجاح ظاهر ومؤكد.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

جـ. الحال الراهنة:

يلاحظ في العقود الخمسة الأخيرة من هذا القرن زوال دعوة العرب إلى هجر العربية لأنها دعوة مثيرة للسخرية والهزء، وعلى عكس ذلك بيَّنت الدراسات الموضوعية العديدة التي وضعها علماء اللغات أن العربية ذات خصائص فريدة تتجلى في فصاحة كلماتها وعذوبة ألفاظها ورقة عباراتها وجزالة تراكيبها وتنوُّع أساليبها، وقدرتها على التعبير عن كل ما يحتاج إليه الإنسان.

وعلى نقيض ما زعم المفترون قدَّر العالم بأسره أهميَّتها لما تتَّصف

به من مرونة وغنىً وما تحمله من إرث علمي إنساني كبير، وما تتميَّز به من قدرة على مواجهة المستقبل والوفاء بسائر الأغراض، فاعترفت منظمة الأمم المتحدة والمنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة والمنظمات والوكالات الدولية الأخرى بأن العربية لغة عالمية حيَّة واعتمدتها لغة رسمية إلى جانب اللغات الإنكليزية والفرنسية والأسبانية والروسية والصينية.

ويلاحظ كذلك انحسار الدعوة إلى إحلال العامية محل اللغة الفصحى وذلك بسبب ازدياد الوعي القومي لدى الجمهور العربي وانتشار التعليم انتشاراً واسعاً في المدن والقرى والبوادي، وما لحق اللغة العربية الفصيحة من تهذيب وما اتُّبع في تعليمها من تيسير، وما قامت به وسائل الإعلام المقروءة والمرئية من تقريب لها إلى أفهام الناس، عدا أنه ليس هناك عامية واحدة بل عاميات لا حصر لها، وأن الأخذ بالعامية خطر كل الخطر من الوجهة القومية لما يؤدّي إليه من تفكيك العرى بين العرب وفصم الروابط بينهم. أما المشكلة الشائكة الباقية فهي مزاحمة اللغات الأجنبية للّغة العربية في مجال التعليم العلمي وبعض المجالات الأخرى.

١ – مواطن الخلل:

ففي دراسة تحليلية وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم شملت خمسة عشر قطراً عربياً ظهرت مواطن الخلل كما يلي:

آ – مرحلة التعليم الابتدائي والإعدادي: ثمة مدارس خاصة وتجريبية في قطرين تعلّم فيها المواد الاجتماعية والعلمية بلغة أجنبية.

ب – **مرحلة التعليم الثانوي:** ثمة مدارس رسمية وخاصة وتجريبية في ثلاثة أقطار تعلّم المواد العلمية بلغة أجنبية.

جـ – **مرحلة التعليم العالي:** العلوم الأساسية تدرَّس بلغة أجنبية كلياً في ست دول عربية وجزئياً في خمس دول والعلوم الطبية تدرَّس بلغة أجنبية كلياً في سبع دول عربية وجزئياً في ثلاث دول، والعلوم الهندسية تدرَّس بلغة أجنبية كلياً في عشر دول عربية وجزئياً في ثلاث دول، والعلوم الاجتماعية والإنسانية تدرَّس جزئياً بلغة أجنبية في سبع دول.

ملاحظة: ثَمَّةَ جهود تبذل لتعريب هذا التعليم في العراق والجزائر وليبيا والسودان واليمن.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما في المجالات غير العلمية كمجالات الثقافة والإعلام والسياسة والإدارة والقضاء والجيش والاقتصاد والمال والمجالات الاجتماعية والعامة فإن في كل منها حيِّزاً تحتلُّه اللغة الأجنبية في هذا البلد العربي أو ذاك على حساب اللغة العربية، وحيِّزاً أكبر تحتلُّه اللهجات العامية على حساب اللغة العربية الفصيحة.

ومن هنا نرى أن التعريب أي إحلالَ اللغة العربية السليمة محلَّها الطبيعي لتكون الأداة التعبيرية في كل مجالات الحياة في الوطن العربي، قد أصبح ضرورة لا تدانيها ضرورة وهو الرد على الامحاء القومي والاستلاب الثقافي والاغتراب اللغوي وضياع هوية حضارية عربية تكوَّنت خلال ألوف السنين.

٢- دواعي التعريب وفوائده:

ثمة **دواعٍ** تدعو إلى التعريب وتلحُّ على إنجازه أهمُّها:

١- **العامل النفسي التربوي:** فالعربية هي لغة الطفولة وتخالط الشعور والفكر وهي جزء من كياننا النفسي. إنها سبيل العربي إلى الفهم والاستيعاب والتمثُّل الصحيح بل سبيله إلى الكشف والإبداع.

٢- **العامل الاجتماعي المهني:** المتخصص واحد من أفراد المجتمع والعربيّة واسطته للتفاهم معهم.

٣- **العامل القومي والحضاري:** إن العربية مستودع ثقافتنا ووعاء تراثنا والسمة الحضارية لنا.

وأما **الفوائد** فجمَّة منها أنه:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١- يحقّق الانسجام والتفاهم والتعاون بين أفراد المجتمع بكل فئاتهم.

٢- يحقّق علمية اللغة العربية بعد أن تحققت عالميَّتها، ويساعد على توطين العلم في بلادنا.

٣- يقوّي الرابطة بين أبناء الأمة العربية في أقطارهم المختلفة.

٤-يحقّق التوازن الطبيعي بين الفكر واللسان وبين المعرفة واللغة.

ومهم أن نقول إن تعريب التعليم بخاصة لا يتعارض البتة مع تعلُّم الطالب لغة أجنبية، أو أكثر، تكون عوناً له في بحوثه ودراساته، وسبيله إلى المراجع الموسَّعة والبحوث الجديدة ونافذة يطلّ منها على الثقافات

العالمية. شرط واحد هو أن تكون العربية القاعدة والأساس، والأجنبية تكون المعين والرديف.

٣- أهمية التعريب:

إن التعريب ليس أحد الخيارات بل هو الخيار الوحيد، ومن هذا المنطلق لا نناقش فيه من حيث المبدأ والأساس، بل نناقش فيه من حيث الوسيلة والتطبيق.

إن خطر الحال الراهنة يزداد يوماً بعد يوم، ذلك أن التعليم العالي في البلدان العربية ينمو باطراد، فالجامعات تقارب المئة والمعاهد المتوسطة والعليا بالمئات، وبالتالي فإن عدد من يدرسون العلوم الأساسية والتطبيقية والعلوم المستجدّة مثل علم المعلوماتية وعلم الهندسة الوراثية وبعض أقسام العلوم الاجتماعية والإنسانية باللغات الأجنبية يزداد كذلك باطراد. وليس يخفى أن الإنسان يميل بطبعه إلى إيثار اللغة التي يدرس بها وقد يُحِلُّها في نفسه وفي عمله المحلّ الأول ويقدِّمها على لغته الأم. أضف إلى ذلك أننا نقف على عتبة البحث العلمي الذي هو امتداد للتعليم الجامعي، فهل ندخل هذا الميدان بلغة أجنبية، ونهجر لغتنا العربية للاستخدامات الأدنى كأنها لغة قاصرة عاجزة ؟.

ثم إننا نعيش عصراً فريداً، ليس كالعصور السابقة، يدعى عصر «التفجر العلمي» أو عصر «الثورة العلمية والتّقانية»، هذه الثورة التي شملت الحياة كلها، وعلى الأخص مجالات الاتصال والمعلوماتية وعلم الحياة «البيولوجيا» والمكوِّنات الوراثية، ومجال جيولوجيا الأرض

والمحيطات لمعرفة ما تختزن من مواد ونباتات وكائنات حيّة، وفي مجال الحاسبات الإلكترونية والإنسان الآلي وعلم الفضاء، وكل هذا سيفتح أمام الإنسان آفاقاً رحبة ويضع بين يديه طاقات هائلة، ويجعله أمام قدرات ومسؤوليات ضخمة ويطرح عليه موضوعات جديدة تحتاج إلى دراسات وحلول.

٤ – ماذا نفعل ؟

في مثل هذه الظروف المعقّدة والمتغيِّرة باستمرار والمتسارعة والضاغطة التي تشكل صورة الحضارة المعاصرة في جانبها المعرفي، ماذا علينا أن نفعل؟

هل نقف على رصيف العصر والآخرون يسيرون؟ هل نكتفي بخطواتنا الوئيدة والآخرون يجارون الريح؟ هل نبقى مستهلكين لمنتجات العلم والتقانة التي ينتجها الآخرون ؟

لماذا لا نصنع بأيدينا ما يكفينا من الغذاء والكساء والدواء؟ لماذا أطلقت عدة دول آسيوية وأفريقية أقماراً صناعية وصواريخ فضائية ولم تفعل ذلك أية دولة من الدول العربية الاثنتين والعشرين؟

لماذا تدرس اليابان واليونان وفيتنام وهنغاريا – وإسرائيل الدولة المصنوعة صنعاً والمحدَثة بقرار دولي – جميع العلوم بلغاتها القومية ونحن لا نفعل؟ وكيف تدبَّر الناس المصطلحات العلمية بلغاتهم القومية ونحن نتخاصم حول تسمية «الكمبيوتر» ونضع له اثني عشر اسماً ؟

أسئلة كثيرة تنثال على الذهن فتفعم القلب أسىً والعقل حيرةً. هل

ينقصنا مال وهو مكدّس في مصارف الغرب، أم يعوزنا رجال وألوف من الاختصاصيين والعلماء العرب منتشرون تحت كل كوكب ؟ إن ما ينقصنا هو إرادة التغيير فحسب. إن الاستعمار وإسرائيل عدوان لدودان ومعوّقان خطران ولكن أليس الأصح والأصوب أن نبدأ بمحاسبة النفس ؟

ولكن حرصاً على أن تكون اللوحة معبِّرة قدر الإمكان عن الحقيقة، وتمسكاً بالإنصاف الذي ينحو إلى إعطاء كل ذي حق حقه، وخشية الوقوع في السلبية والتشاؤم اللذين يفسدان التفكير، سأشير دون تفصيل إلى الجهود التي بذلت خلال هذين القرنين من أجل تنمية اللغة العربية وتأهيلها لتكون لغة علم .

٥- التنمية اللغوية :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد بدأ العمل في المرحلة الأولى بجهود أفراد أفذاذ منهم من نقل الكتب العلمية القيِّمة إلى اللغة العربية من اللغات الأجنبية ومنهم من ألّف المعاجم العامة والمتخصصة، ومنهم من درّس العلوم المختلفة بالعربية في المعاهد والجامعات.

وفي مصر نجد في هذه الحقبة ممن ألّف وترجم في العلوم الأساتذة الكبار محمد علي البقلي ومحمد الشافعي وعلي رياض ومحمد الدري ورفاعة الطهطاوي في الطب، ومحمد ندى في النبات والحيوان، ومحمد الفلكي ومحمد البيومي في الفلك والهندسة والرياضيات. ومن مشاهير المصحِّحين والمراجعين والمترجمين إذ ذاك محمد عمر التونسي وإبراهيم الدسوقي ويوحنا عنحوري ويوسف فرعون .

ومن الرعيل المؤسس لكلية الطب بدمشق الذين أرسوا تدريس الطب بالعربية بما ترجموا وألفوا واشتغلوا بالمصطلح، نذكر الدكاترة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي وميشيل الخوري والعلامة مصطفى الشهابي والدكتور حسني سبح، والأخيران رَأَسا مجمع اللغة العربية بدمشق مدة من الزمن .

٦- وضع المصطلحات :

أما وضع المصطلحات فقد قام به من كان قادراً عليه من رجال العلم والثقافة واللغة العربية وكان ذا دراية باللغات الأجنبية فاجتهد في ذلك ما وسعه الاجتهاد فنجح بعضهم في وضع مصطلحات شاعت وبقيت متداولة حتى اليوم، ومصطلحات لم يكتب لها البقاء لحلول أخرى محلها آنس إلى النفس وأجرى على اللسان .

فمما وضعه أحمد فارس الشدياق: المؤتمر والحافلة والمنطاد والمطعم، ومما وضعه خليل اليازجي: الجواز والردهة والقفاز، ومما وضعه يعقوب صروف: المصح والتلفزة والصلب (الفولاذ) والنشوء والارتقاء، ومما وضعه إبراهيم اليازجي: المجلة والبيئة والدراجة والحاكي واللولب والشعار والمقصف والحوذي .

إن وضع المصطلح اجتهاد، وقد قيل من اجتهد فأصاب له أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر، فالاجتهاد مشكور وإن كان ينجم عنه أكثر من رأي وأكثر من مصطلح.

وإذا أضفنا إلى ذلك تعدُّد المراكز والمجامع العلمية واللغوية والجامعات في البلدان العربية، وعدم وجود مرجعية واحدة في هذا الشأن، وتعدُّد اللغات التي تؤخذ مصطلحاتها لتوضع لها مقابلات، أدركنا سبب تعدُّد المقابلات للمصطلح الواحد . مثال ذلك كلمة **pendulum** ترجمها العراق برقّاص وسورية بنوّاس والأردن بخطّار وعربتها مصر ببندول، وكلمة Frein الفرنسية وضعت لها المقابلات: مكبح وكابحة وماسك ولجام وفرملة وفران. إن تعدد المقابلات للمصطلح العلمي الواحد اقتضى عمليتي التنسيق والتوحيد، وهما أصعب من الوضع لأن كل مقابل يضعه واضع تتمسك به فئة من الناس وقلّما يردها عنه حجاج أو قرار .

قلنا إن وضع المصطلح اجتهاد، ولكن ينبغي أن يقوم على مبادئ محدَّدة. ونجد نواة هذه المبادئ عند أبي الريحان البيروني وابن البيطار في القديم، ونجدها عند الطهطاوي وشرف والشهابي حديثاً. بيد أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد اتخذ قرارات عديدة تصلح قاعدة لمنهجية موسَّعة لاختيار المصطلح. وقد عقد مكتب تنسيق التعريب بالرباط عام ١٩٨١ ندوة لتوحيد منهجيات وضع المصطلح، فأقرت مبادئ أساسية صاغتها في ثماني عشرة مادة نذكر منها:

١– ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي، ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي.

٢– وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد .

٣- استقراء التراث العربي ولاسيما ما استقرّ فيه من مصطلحات تصلح للاستعمال الحديث .

ومن الحق أنه ينبغي جمع هذه الأسس جميعها في منهجية واحدة توضع في متناول أيدي الدارسين والمدرِّسين والمترجمين والمؤلِّفين، ولعل اتحاد مجامع اللغة العربية يتولّى هذا الأمر الخطير[١]. أما الطرائق التي اتُّبعت وتتَّبع في هذا الوضع فهي الطرائق التي تنسجم مع طبيعة اللغة العربية وهي: الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب، والتفصيل بشأنها يحتاج إلى دراسة مستقلة. ومن الجلي الواضح أن وضع المصطلح العلمي ليس عملاً علمياً فحسب بل هو عمل لغوي كذلك، ولذا يحسن أن ينهض به علمي متمكن لغوياً أو يشترك أهل الاختصاص العلمي وأهل اللغة العربية بهذا المجهود.

لقد بدأ العمل، كما أشرنا بجهود فردية بذلها أشخاص نابغون، ولكنه تَحوَّل إلى جهد جماعي دون أن يلغى الجهد الفردي، فأسهمت فيه منظمات عربية متخصصة كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والمنظمة العربية للتنمية الزراعية، واتحادات مهنية عربية كاتحاد الأطباء العرب واتحاد المهندسين العرب، كما أسهمت فيه هيئات وطنية مثل مجامع اللغة العربية والجامعات، بل شاركت فيه بعض المؤسسات والهيئات الدولية والأجنبية. وتدل إحصائية للأعمال المصطلحية التي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) [من الواضح أن هذا البحث أُعِدَّ قبل أن يعقد اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ندوة «إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده وإشاعته» في المدة من ٢٥ حتى ٢٨ تشرين الأول ١٩٩٩ في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق /المجلة].

أنجزت خلال مئة سنة، أي من عام ١٨٨٣ حتى عام ١٩٨٣ على اختلاف أنواعها: معاجم، قوائم، مسارد، أن هذه الأعمال بلغت /٥٤١/ عملاً، وليس هذا بالجهد القليل[١].

إن العمل في وضع المصطلح عمل لا ينتهي في موعد معيَّن، بل هو عمل مستمر مرافق لتطور العلم والتقانة في العالم، وهذا التطور مستمر دون توقف، بل هو يزداد تسارعاً في المرحلة الحاضرة من هذا العصر الحافل بالكشوف والإنجازات العلمية. وإنه لجدير بالذكر أن الجهود التي بذلت لوضع المصطلح وتنسيقه وتوحيده كثيرة، ولكن هذا العمل شابته نقائص جمة منها:

١ - الاختلاف في المقصد والمنهج: فالمقصد متباين إذ يكون علمياً أو تعليمياً تارةً، أو يكون بغرض تحقيق ربح مادي أو إرضاء هواية فردية تارة أخرى. وأما المنهج فمختلف إذ بالغ بعض في وضع المصطلحات بمعطيات التراث العربي اللغوي فتشدد تجاه المعرَّب والدخيل والعامي، ومنهم من أشاح بوجهه عن التراث فتساهل بشأن المعرَّب وأكثر منه دون وجه ضرورة.

٢ - التخلف الزمني: يدخل المصطلح العلمي الأجنبي الاستعمال في البلاد العربية بلفظه أو بلفظ عربي مرتجل، ثم يُفكر في وضع مقابل عربي له من قبل لغوي قدير أو مؤسسة مؤهلة، وهكذا يصبح للمصطلح مقابلان بل أكثر. يقول الأخضر غزال مدير معهد الأبحاث والدراسات للتعريب في المغرب: (يطرح كل سنة ما يربو على ٧٣٠٠ مصطلح جديد

(١) انظر الجداول ذوات الأرقام ١ و٢ و٣.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في جميع العلوم كل سنة، أي بمعدل /٢٠/ مصطلحاً كل يوم، ونضع نحن العرب ما يقارب (٢٥٠٠) مصطلح في السنة، إذن نتخلف كل سنة بمقدار (٥٠٠٠) مصطلح. فكم من مصطلحات لم نضع لها مقابلات، وكم سيتراكم في السنوات المقبلة!؟

وإنني لأقترح بعض الأمور لمعالجة هذا الوضع:

١- تولّي اتحاد مجامع اللغة العربية قيادة العملية وتحمُّل مسؤوليتها، بحكم اختصاصه، وفي هذه الحال يكون مكتب التنسيق بالرباط جهازاً تابعاً له.

٢- دعوة المنظمات والاتحادات النوعية العربية إلى المشاركة في هذا الجهد العلمي بالخبرات والمال.

٣- إنشاء بنك المصطلحات العلمية، وإحداث مركز إعلام مصطلحي، والاستفادة من المكننة الحديثة في الخزن والمعالجة والاسترجاع.

٤- الربط المحكم بين المصطلح وتوحيده من جهة واستخدامه في التدريس والتأليف والترجمة من جهة أخرى.

٧- المستوى القومي:

وإنه لجدير بالذكر أن العمل على تنمية اللغة العربية لتكون لغة العلم في هذا العصر مثلما هي لغة أدب وثقافة، لم يكن إلا تعبيراً عن إرادة الأمة العربية الطامحة إلى معاودة دورها الحضاري الرائد. وقد تجلّت هذه الإرادة على المستوى القومي في ميثاق جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥

بروحه ونصه، والمعاهدة الثقافية العربية التي أبرمت في العام نفسه، وفي ميثاق الوحدة الثقافية ودستور المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المبرمين عام ١٩٦٤، وفي مقرَّرات المؤتمرات الوزارية، وعلى الأخص مؤتمرات وزراء المعارف والتعليم والتربية العرب والوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية والوزراء المسؤولين عن شؤون التعليم العالي والبحث العلمي، وفي نصوص استراتيجية تطوير التربية العربية والخطة الشاملة للثقافة العربية واستراتيجية العلوم والتقانة، هذه الاستراتيجيات التي تَمَّ وضعها بقرار من الدول العربية واشترك في إعدادها المئات من المفكرين والتربويين والمثقفين العرب.

وقطع السعي القومي شوطاً عملياً إذ أحدث جهاز يعمل على تنسيق المصطلح وتوحيده: مكتب تنسيق بالرباط (١٩٦١) [1]، الذي يُعِدّ المعاجم المتخصصة بمساعدة الخبراء واللجان ثم يعرضها على مؤتمرات التعريب التي يحضرها ممثلون عن كل الجهات المعنيَّة لدراستها وإقرارها. وأحدث جهاز آخر يعمل لتأمين الكتاب العلمي المرجعي ترجمةً وتأليفاً، هو المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق (١٩٩٠) [2]. وهذان الجهازان يتبعان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أما المركز العربي للمطبوعات والوثائق الصحية بالكويت فهو يعمل برعاية مؤتمر وزراء الصحة العرب في خدمة تعريب العلوم الطبية. ويلتقي عمل هذه

(١) انظر الجدول رقم (٤).

٢) انظر الجدول رقم (٥).

الأجهزة مع عمل بعض الأجهزة القطرية مثل مديرية الترجمة والنشر بوزارة التعليم العالي السورية التي تعنى بترجمة المراجع العلمية الجامعية[١].

وقد وضعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خطة قومية للترجمة عام ١٩٨٥ وحدثتها عام ١٩٩٧ ووضعت خطة قومية للتعريب عام ١٩٩٦ وهي تتولى العمل على تنفيذهما.

٨- الكتابة العلمية:

ربما يتساءل البعض عما تختلف الكتابة العلمية عن الكتابة الأدبية. إن الكتابة الأدبية تفسح صدرها للمشاعر والأحاسيس والعواطف، فتلمس فيها ذات الأديب وتتقرّى فرحه أو حزنه، رضاه أو غضبه حتى إنه يبث هذه المشاعر في الجمادات من حوله فيجعلها تشاركه بها، كذلك تفسح صدرها للخيال فيأتي الأديب بصور شائقة وتشابيه مبتكرة ومقارنات لا تخطر على بال. وإلى ذلك يختار اللفظة الرقيقة الرشيقة أو الشديدة الصاخبة حسبما يوافق غرضه، ويصوغ العبارات التي يسبغ عليها البيان جماله.

وأما الكتابة العلمية فهي عصارة الفكر ونتاج العقل ونسيج المنطق، فالعلم ينأى عن الذاتية ويترسّم قول الحقيقة دون زخرفة أو تزيين، فليس للعاطفة دور في النص العلمي ولا للخيال. أما الثوب الذي يلبسه خطاب العلماء فهو ثوب بعيد عن الصنعة: لفظة دقيقة وعبارة واضحة تنفذ إلى مسامع القارئ لتقنعه بصدقها وصحتها.

---

(١) انظر الجدول رقم (٦).

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

إن أهل كل لغة يملكون الفكر والعاطفة والخيال ويحتاجون للإفصاح والبيان في صورة كتابة أدبية ابتداءً من الشعر وفي صورة كتابة علمية ابتداءً بالرياضيات وبصورة كتابة تجمع بين طلاوة الأدب ودقة العلم ومنطقه في علوم المجتمع والإنسان.

إذن يمكننا القول انه ليس ثمة لغة بين اللغات تختص بالتعبير عن الأدب وأخرى تختص بالتعبير عن العلم، فتكون هذه صالحة للأدب وتلك صالحة للعلم، وكل ادعاء من هذا القبيل هراء.

لقد كانت اليونانية القديمة لغة الإغريق لغة علم وأدب، لغة جالينوس وهوميروس، ومثلها اللاتينية. وكانت العربية الضادية لغة علم وأدب طليعيين مدة خمسة قرون، ومثل ذلك اللغة الإنكليزية والفرنسية والألمانية في هذا العصر. أما العربية اليوم فمن شأنها أن تستعيد قدرتها وغناها فتفي بأغراض العلم والأدب على السواء وتحقيق علميّتها إلى جانب عالميّتها إذا ما أخلص لها ذووها فأخذت أُهْبتها واستكملت عدَّتها(١).

http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخاتمة:

هل العربية لغة علم؟ أجل ولكن شريطة أن تنال من أهلها الاهتمام الذي تستحق. إن العربية لم تخدم في هذا العصر بالقدر اللازم ولا بذلت لها العناية اللازمة. لقد وضعت دراسات عديدة في نصف القرن الأخير بغرض تيسير النحو العربي وتبسيط الإملاء وتطوير رسم الحرف، والتقريب

(١) انظر الجداول ذوات الأرقام: ٧ و٨ و٩ و١٠.

بين الفصحى والعامية، ووضعت دراسات عديدة أخرى حول تحسين طرائق تعليمها وتعلُّمها، ولكن ثمرات هذه الدراسات كانت أقل من القليل. والسؤال الملح هو التالي: ماذا أعددنا وماذا علينا أن نُعِدَّ للألفية الثالثة التي نحن على موعد قريب منها ؟

إنني أعتقد أننا مطالبون بعمل كبير في مضمار اللغة والعلم، وأؤكد على الأمور التالية:

١- متابعة السير في تعريب التعليم في الوطن العربي، بكل درجاته، ولاسيما التعليم العالي، مع العمل على تعريب جميع المجالات الأخرى، كالإدارة والقضاء والإعلام وغيرها، وفق خطط مدروسة، مع إعداد جميع مستلزمات النجاح.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢-العمل الجاد على تيسير طرائق تعليم اللغة العربية، واستخدام التقنيات الجديدة كالحاسوب والانترنت في ذلك، وتنشيط أعمال التأليف والترجمة والنشر، ودعوة اتحاد مجامع اللغة العربية إلى وضع خطة تكفل مواكبة وضع المصطلحات العلمية بالعربية مقابل المصطلحات العلمية في العالم، وإصدارها في معاجم متخصصة.

٣- الارتقاء بالعامية أو العاميّات باتجاه الفصحى الميسَّرة، والعناية بتعليم الناشئة لغة أجنبية حيَّة أو أكثر لتكون نافذة على العلوم والثقافات المتقدِّمة لدى الآخرين، مع مراعاة الخصوصيات اللغوية المحلية لما في ذلك من ثراء ثقافي واحترام لتراث لغوي ممتد في الزمان.

٤- إبراز الجهود التي بذلت في السابق للحفاظ على اللغة العربية

وخدمتها وتنميتها في المشرق: بغداد، دمشق، القاهرة. وفي المغرب: فاس، الجزائر، تونس، والقيام بحملة توعية لإبراز أهمية اللغة القومية في بناء مستقبل عربي زاهر.

٥- دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية للإسراع في تنفيذ الخطة القومية للتعريب والخطة القومية للترجمة المتممتين للخطة الشاملة للثقافة العربية، وحشد الجهود والقدرات والخبرات العربية لإنجاح هاتين الخطتين، وفق برامج قومية وقطرية مدروسة.

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن نجعل لغتنا العربية لغة حيّة في المنزل والسوق، وفي قاعة الدرس والمخبر، وفي منابر السياسة ومجالات الاقتصاد، ووسائل الإعلام والاتصال، ليس شأناً لغوياً فحسب، بل هو يعني الحفاظ على هويتنا وأصالتنا وتراثنا، وامتلاك حاضرنا ومستقبلنا، واستئناف دورنا الحضاري في رفد الحضارة الإنسانية، والمشاركة في صنع المستقبل للبشرية جمعاء.

نص علمي (قديم مؤلَّف)

كتب **حنين بن اسحق** في كتابه «العشر مقالات في العين»:

اعلم أن كل عضو من الأعضاء المركبة له فعل خاص أُعِدَّ وهُيِّئ، وله أجزاء كثيرة مختلفة في حالاتها وليس يفعل ذلك الفعل بجميع أجزائه بل بواحد منها، وأما سائر الأجزاء فإنما أعدت لذلك الجزء الذي به يكون الفعل.

أما طبقات العين فهي ثلاث طبقات خلف الجليدية وثلاث طبقات أمامها. أما الخلفية فهي الطبقة الشبكية والطبقة المشيمية والطبقة الصلبة ويفصل هذه الطبقات عن الرطوبة الجليدية الرطوبة الزجاجية- المائع الزجاجي.

أما الطبقات التي أمام الجليدية فهي: العنبية- القزحية- ونباتها (منشؤها) من الغشاء الرقيق الشبيه بالمشيمة الذي ذكرنا أنه يلتحم بالشبكية والحجاب الشبيه بالقرن – القرنية.

ثم يقول:

إعلم أن الدماغ عين كل حسٍ وكل حركة ومنه تجري قوة الحس وقوة الحركة في العصب إلى جميع الأعضاء الحساسة والمتحركة، فالعين عضو حساس متحرك فلذا يجيئها من الدماغ عصبتان: أما الواحدة فصلبة بها تكون حركتها، وأما العصبة الثانية فلينة مجوفة وليس في البدن عصبة مجوفة، سواها، وذلك لما احتاجت إليه العين من الروح النفساني ليكون به البصر، وعلى الدماغ حجابان أحدهما رقيق لين والآخر غليظ صلب.. وكل عصبة تخرج من الدماغ فإنها مغشاة بكلا الغشائين... .

الشيخ الرئيس ابن سينا

(نص مؤلّف قديم)

١– حصى المثانة السريرية:

قال في كتاب «القانون»:

قد علمت الفرق بين حصاة المثانة وحصاة الكلية في الكيفية والمقدار، وبالفرق بين الحصاتين كانت الكلوية ألين يسيراً وأصغر وأقرب إلى الحمرة، والمثانة أصلب وأكبر جداً وأقرب إلى الدكنة والرمادية والبياض وإن كان قد يتولد فيها حصاة متفتتة. والثانية تتميز في الأكثر بعد الانفصال وأكثر من تصيبه حصاة المثانة بنحف، وفي الكلية بالعكس.

والصبيان ومن يليهم تصيبهم حصاة المثانة.

ونقول ههنا أيضاً إن البول في حصاة المثانة إلى بياض ورسوب ليس بأحمر بل إلى بياض أو رمادية وربما كان بولاً غليظاً زيتي الثفل وأكثره يكون رقيقاً وخصوصاً في الابتداء.

٢– النفس:

قال ابن سينا إن النفس حقيقة مغايرة للجسم ومتميزة عنه كل التميز، لذلك لا يصح أن نقول إن النفس صورة الجسم بل هي تختلف عن جوهر الجسم ومزاجه، وهي مبدأ الأفعال والحركات ونستدل على

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجودها بالأفعال والحركات الصادرة عنها. قال في النفس:

هَبَطَتْ إليك من المحل الأرفعِ ورقاء ذات تعززٍ وتمنُّعِ
محجوبة عن كل مقلة عارفٍ وهي التي سَفَرَتَ ولم تتبرقعِ
وصلت على كرهٍ إليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجُّعِ
فكأنما برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمعِ

الكتابة العلمية (نص مؤلَّف حديث)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتب الدكتور أحمد زكي يصف الحيوانات الفقارية واللافقارية:

أول صفات الحيوان الفقارية أن لها سلسلة من الفقرات تمتد بطول جسمها تعرف بالعمود الفقري، هي عماده وهي قوامه وهي حافظة شكله. وهذه الفقرات المتسلسلة تعمل هيكلاً باطناً، أي أنه يقع في باطن الحيوان، والفقرات تتكون من عظم أو من غضروف.

وأولى صفات الحيوانات اللافقارية هي بالطبع أنه ليس لها فقرات في جسمها، ولكن ذلك لا يمنع من أن يكون لها هيكل في ظاهر جسمها يحميها. وهذا الهيكل الظاهر يتكون من مادة صلبة يفرزها جلد هذه الحيوانات اللافقارية، ومنها المفصليات كسرطان البحر ومنها الرخويات كالحلزون.

وفي الفقاريات جهاز عصبي، هو عبارة عن أنبوبة جوفاء تمتد على طول الجسم، وتمر بداخل الفقرات، غضروفية كانت أو عظمية لتحميها،

وهي تنتهي في منطقة الرأس بأن تتضخم لتصبح ما يعرف بالمخ وتحميه الجمجمة، ويسمى هذا الجهاز أحياناً بالسلسلة الظهرية لوقوعه عند الظهر، والقناة التي تمر بها الأنبوبية العصبية الجوفاء تعرف بالقناة العصبية، ومن هذه القناة تخرج فروع من أعصاب لتمتد في الجسم على اختلاف أرجائه.

وفي اللافقريات المتقدمة الأعصاب، وهي عندئذ عقد عصبية تربط بينها ألياف عصبية وأغلبها واقع من جسم الحيوان في ناحية البطن لا الظهر، وهي أقرب إلى البطن من الجهاز الهضمي، على خلاف ما في الفقريات...

والخلاصة أن الانتقال من الحيوانات اللافقارية إلى الحيوانات الفقارية إنما هو انتقال في وظائف الحياة إلى تخصص في الأداء أشد وصعود في فن الحياة متدرج إلى أعلى.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتابة العلمية (نص مترجم حديث)

بحث اللانظميات وضع بورتون سويل ويوجين برونوالد في كتاب مبادئ الطب الباطني (هاريسون) ترجمة الدكتور طليع بشور.

١– اللانظميات:

تميل بعض اللانظميات، وهي عدم انتظام الدقة القلبية وتبدل سرعة

النظم واضطرابات النقل، للحدوث دون أي مرض قلبي بنيوي قابل للكشف.

وهي تشمل اللانظمية الجيبية والبطء الجيبي والتسرع الجيبي وخوارج الانقباض الأذينية والبطينية، والأشكال الطفيفة من حصار الدرجة الأولى الأذيني البطيني.

أما اللانظميات الأخرى فتميل للحدوث بشكل خاص في الأشخاص المصابين بمرض قلبي عضوي وتشمل التسرع البطيني الانتيابي والرجفان البطيني والهزهزة والرجفان الأذينيين والحصار الأذيني البطيني من الدرجتين الأولى والثانية، إلا أن اضطرابات معينة في النظم كثيراً ما تترافق بأمراض نوعية.

٢- ناظم القلب Pacemaker:

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هناك نوعان شائعان من نواظم القلب الكهربائية وأكثرها استعمالاً النوع المباشر الذي تكون فيه المسراة ملامسةً للعضلة القلبية، والنوع الآخر يستعمل عبر الصور، وتصدر عنه تنبيهات تتراوح شدتها بين ٢٥-١٥٠ فولت تستمر ٢ مللي ثانية، عبر جدار الصدر الأمامي بواسطة مسراة مسطحة صغيرة أو عبر إبر مغروزة تحت الجلد.

وأكثر أنواع التنبيه المباشر استعمالاً هو النوع الذي تنبه فيه المنطقة الشغافية، حيث يوضع قثطار ذو مسراة في البطين الأيمن عبر السبيل الوريدي ويجهز بمصدر خارجي للطاقة في حالة التنبيه المؤقت، أو بآخر يزرع تحت الجلد في حالة التنبيه الدائم.

أما تنبيه شغاف الأذينة لمدى طويل فهو أصعب تحقيقاً بسبب عدم ثبات المسراة.

الجدول رقم (١)

المعاجم المتخصصة في مصطلحات العلوم والآداب والفنون(١)

(معجم، قائمة، مسرد)

١٨٨٣ - ١٩٨٣

الحقل المعرفي	العدد	الحقل المعرفي	العدد	الحقل المعرفي	العدد
المعارف العامة	٤	التربية والتعليم	٩	ع. تطبيقية	١
المكتبات	٦	التربية الرياضية	٩	الطب	٥٣
الإعلام	٢	التجارة	٢٥	الهندسة العامة	٥
الفلسفة	١٣	المحاسبة والمالية	٢	إلكترونية	١٠
علم النفس	١٥	المواصلات	١١	ميكانيكية	١٥
علم الاجتماع	١٧	الفولكلور	١	مدنية	٧
الديانات	٧	اللغات	١١	كهربائية	٨
الإحصاء	٤	التقنيات	١٦	الصناعات	٧
السياسة	٢١	الرياضيات	١٠	الزراعة	٨
الاقتصاد	٢٦	الفلك	٩	ع. منزلية	٥
القانون	٣٨	الفيزياء	١٦	البناء	٣
ع. عسكرية	١٢	الكيمياء	١٥	الحرف والمهن	٤
الإدارة	١٢	الجيولوجيا والنفط	١٩	الفنون الجميلة	١٢
الخدمة الاجتماعية	٦	الأحياء	١	الآداب	٩
المجموع	**١٨٣**	الحيوان	٢٠	التاريخ	٩
		النبات	١٥	الجغرافيا	١٣
		المجموع	**١٨٩**	**المجموع**	**١٦٩**
المجموع العام ٥٤١ معجماً					

(١) المرجع: بيبليوغرافيا المعاجم المتخصصة إعداد الدكتور علي القاسمي والأستاذ جواد عبد الرحيم، منشورة في مجلة «اللسان العربي»، العددين ٢٠ و٢١ لعام ١٩٨٣.

الجدول رقم (٢)

المعاجم المتخصصة في مصطلحات العلوم والآداب والفنون[١]

(معجم، قائمة، مسرد)

١٨٨٣- ١٩٨٣

الجهات الواضعة	عدد المعاجم
١- الجامعة العربية (الإدارات في الأمانة العامة)	٦
٢- المنظمات العربية المتخصصة	٩
٣- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (مكتب تنسيق التعريب بالرباط)	٥٥
٤- الاتحادات المهنية العربية	٧
٥- الهيئات والمؤسسات الوطنية (المجامع العلمية واللغوية والجامعات والمجالس العلمية والأدبية)	١٥٠
٦- الهيئات والمؤسسات العالمية والأجنبية وأفراد أجانب.	٢٠
٧- الأفراد العرب .	٢٩٤
المجموع	٥٤١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) المرجع: بيبليوغرافيا المعاجم المتخصصة إعداد الدكتور علي القاسمي والأستاذ جواد عبد الرحيم، منشورة في مجلة «اللسان العربي»، العددين ٢٠، ٢١ لعام ١٩٨٣.

الجدول رقم (٣)

أوسع الأعمال المعجمية المتخصصة

اسم المعجم	عدد المصطلحات	سنة الصدور
١– معجم كلير فيل الكثير اللغات	١٤٥٠٠م	عام ١٩٥٦
٢– المعجم الطبي الموحد	٢٥٠٠٠م	١٩٨٣
٣– معجم العلوم الطبية	١٥٢٢٨م	١٩٧٤
٤– قاموس حتي الطبي	٤٥٠٠٠م	١٩٧٢
٥– المعجم العسكري	٤٠٠٠٠م	١٩٦٨
٦– معجم الاتصالات (مشروع راب)	١٥٢٥٠م	١٩٨٧
٧– معجم مصطلحات العلوم والتكنولوجيا ترجمة (معجم ماكروهيل)	١٠٨٠٠٠م	١٩٧٨
٨– معجم السكك الحديدية	١١٧٠٠	١٩٨٥
٩– معجم البترول	١٠٢٦٥	١٩٧٣
١٠– المعاجم التي أقرتها مؤتمرات التعريب الأربعة الأولى (الكسو)	١١٢٥٦٣م	١٩٧٣–١٩٨٥
١١– المصطلحات العلمية التي أقرتها مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد وعمان.		
١٢– المصطلحات العلمية التي أصدرتها جامعة الدول العربية والمنظمات العربية المتخصصة، وفي مقدمتها المنظمة العربية للتنمية الزراعية .		

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدول رقم (٤)

المعاجم المتخصصة

التي أقرتها مؤتمرات التعريب

المؤتمر الثاني – الجزائر ١٩٧٣ (التعليم العام)

١– معجم الرياضيات	١٨٤٠م
٢– معجم الفيزياء	٢٨٢٠م
٣– معجم الحيوان	٢٨٩٩م
٤– معجم الكيمياء	١٩٢٠م
٥– معجم الجيولوجيا	١٧٩٧م
٦– معجم النبات	٤١٤١م
المجموع:	**١٥٤٩٧**

المؤتمر الثالث – طرابلس ١٩٧٧ (التعليم العام):

١– معجم الجغرافيا والفلك	١٧١٣م
٢– معجم التاريخ	٨٢٣م
٣– معجم الفلسفة والمنطق وعلمي الاجتماع والنفس	١٣٥٨م
٤– معجم الصحة وجسم الإنسان	٢١١٠م
٥– معجم الرياضيات	١٦١٣م
٦– معجم الإحصاء	٥٥٦م
٧– معجم الفلك	٤٧٩م
٨– معجم الرياضيات	١٩١٣م
المجموع	**١٠٥٨٣**

المؤتمر الرابع – طنجة ١٩٨١ التعليم التقني والمهني والعالي

١– معجم الكهرباء	١٣٨٤م
٢– معجم هندسة البناء	١٤٤٩م
٣– معجم المحاسبة	١٢٢٦م
٤– معجم التجارة	٤٥٣٨م
٥– معجم الطباعة	٢١٧٢م
٦– معجم التجارة	٩٤٩م
٧– معجم الميكانيك	٥٣٠٣م
٨– البترول	١٠٢٦٥م
٩– الحاسبات الإلكترونية	٣٤١٤م
١٠– الجيولوجيا	٣٢٩٤م
المجموع :	**٣٣٩٩٤**

المؤتمر الخامس – عمان ١٩٨٥ (التعليم العام)

١– معجم الفيزياء النووية	١٤٧٢
٢– معجم التربية	١٧٦٣
٣– معجم الاجتماع والانتربولوجيا	١٠٩٦
٤– معجم الفيزياء العامة	٥٤٣٨

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥- معجم الألعاب الرياضية ٢٦٢٧

٦- معجم الكيمياء العامة ٢٨٧٥

٧- معجم اللسانيات ٣٢٦٢

٨- معجم الزراعي ٢٠٠٠٠

٩- معجم الإحصاء والديموغرافيا ٢٣٥٧

١٠- معجم السكك الحديدية ١١٦٧٩

المجموع ٥٢٥٦٩

ملاحظة: المجموع العام لأعمال أربعة مؤتمرات: ١١٢,٥٦٣م

المؤتمر السادس – الرباط ١٩٨٨:

١- معجم مصطلحات الآثار

٢- معجم مصطلحات القانون

٣- معجم مصطلحات الاقتصاد

٤- معجم مصطلحات الجغرافيا

٥- معجم مصطلحات الموسيقا

المؤتمر السابع – الخرطوم ١٩٩٤:

١- معجم العلوم السياحية

٢- معجم الزلازل

٣- معجم الطاقات المتجددة

٤- معجم البيئة

معاجم في الإعداد:

١- معجم المياه

٢- معجم الاستشعار عن بعد

٣- معجم التقنيات التربوية

٤- معجم مصطلحات الإعلام

٥- معجم الفنون التشكيلية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدول رقم (٥)
قائمة الكتب الصادرة عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر حتى غاية ١٩٩٧

اسم الكتاب	تاريخ الإصدار	عدد الصفحات
١– هندسة الفيزياء النووية	١٩٩١	٢٣٢
٢– هندسة المفاعلات النووية – الجزء الأول	١٩٩١	٢٠٨
٣– هندسة المفاعلات النووية – الجزء الثاني	١٩٩١	١٨٦
٤– الإشعاع النووي والوقاية من الإشعاع والتلوث	١٩٩١	٤٤٨
٥– دليل التنمية المائية في الوطن العربي	١٩٩٢	٧٨
٦– الاتصالات بالألياف البصرية	١٩٩٢	٦٠٨
٧– معالجة الصور الرقمية	١٩٩٢	٧٢٨
٨– الجيوفيزياء التطبيقية	١٩٩٢	٣٨٤
٩– عروبة البربر	١٩٩٢	٢٤٠
١٠– الأسس الفيزيائية لليزرات التقانية	١٩٩٢	٢٢٤
١١– الأسس الهندسية لإنشاء الليزرات التقانية	١٩٩٢	٢٤٠
١٢– طرائق المعالجة السطحية بالليزر	١٩٩٢	٢٦٤
١٣– معالجة المواد غير المعدنية بالليزر	١٩٩٣	٢٥٦
١٤– مناهج العلوم الاجتماعية – الكتاب الأول	١٩٩٣	٤٥٤
١٥– مناهج العلوم الاجتماعية – الكتاب الثاني	١٩٩٣	٢٠٠
١٦– نظم التطوير الطبي	١٩٩٣	٣٣٦
١٧– المدخل إلى ميكانيك الكم	١٩٩٣	٤٧٤
١٨– الاتصالات الراديوية المتنقلة – أسس التصميم	١٩٩٣	٤٨٠

١٩– أنظمة الاتصالات الإلكترونية المتقدمة	١٩٩٤	٤٤٨
٢٠– كهربة الريف	١٩٩٤	٥٧٦
٢١– الاستشعار عن بعد وتفسير المرئيات	١٩٩٤	٩٨٤
٢٢– طب الأمراض المُعْدية والتغذوية	١٩٩٥	١٢٠٠
٢٣– المعالجات الراهنة في الممارسة السنية	١٩٩٥	٦٢٤
٢٤– الآلات الكهربائية والميكروية	١٩٩٥	٤٨٠
٢٥– التجاوب المغنطيسي النووي	١٩٩٥	٢٣٢
٢٦– حفظ اللحوم بالتبريد والتجميد	١٩٩٥	١٢٨
٢٧– المعادلات التفاضلية – الكتاب الأول	١٩٩٥	٢٨٨
٢٨– المعادلات التفاضلية – الكتاب الثاني	١٩٩٥	١٧٦
٢٩– الكيمياء التحليلية – الكتاب الأول	١٩٩٦	٢٤٨
٣٠– الكيمياء التحليلية – الكتاب الثاني	١٩٩٦	٢٤٠
٣١– الكيمياء التحليلية – الكتاب الثالث	١٩٩٦	٢٨٠
٣٢– الكيمياء الفيزيائية – الكتاب الأول	١٩٩٦	٣٨٤
٣٣– الكيمياء الفيزيائية – الكتاب الثاني	١٩٩٦	٣٦٠
٣٤– الكيمياء الفيزيائية – الكتاب الثالث	١٩٩٦	٣٩٢
٣٥– الكيمياء الحيوية المصورة	١٩٩٦	٣٠٤
٣٦– علم البيولوجيا – الجزء الأول	١٩٩٧	٦٢٤
٣٧– علم البيولوجيا – الجزء الثاني	١٩٩٧	٧٠٤
٣٨– الفيزياء المتقدمة	١٩٩٧	٤٨٨
٣٩– بحوث العمليات	١٩٩٧	٦٠٠
٤٠– كيمياء تحليل الأغذية	١٩٩٨	٢٠٨
٤١– الكيمياويات الزراعية والبيئة	١٩٩٨	١٨٤
٤٢– معالجة الاضطرابات الفكية والإطباق	١٩٩٩	٦١٦
٤٣– ٥٢– عشر كتب بالتعاون مع إدارة التربية في المنظمة.	١٩٩٩	–

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدول رقم (٦)

المراجع الجامعية بوزارة التعليم العالي في سورية

اسم المرجع	اسم المؤلف	عدد الصفحات	تاريخ الصدور
١- الكيمياء العامة	ن. غلينكا	جزء ١ (٥٧٦) جزء ٢ (٥٣٠)	١٩٦٩
٢- الكيمياء الفيزيائية	ي. غير اسيموف	ج ١ (٥٦٨) ج ٢ (٤٤٨)	١٩٦٩
٣- الفيزياء النظرية	أ. كومبانييتس	ج ١ (٣٤٨) ج ٢ (٦٢٠)	١٩٦٩ ١٩٧١
٤- الرياضيات العالية	ف. ي. سميرنوف	خمسة أجزاء: (٥٤٢٨)	١٩٦٩ ١٩٧٤
٥- الاتجاهات الجديدة في تدريس الكيمياء	اليونسكو	ج ١ (٨٢٤) ج٢ (٧٤٤)	١٩٧١ ١٩٧٣
٦- دليل مركب التدفئة	ر. مولي ور. غافيل	(٣٨٨)	١٩٧٢
٧- دليل مهندس التدفئة	مارتن غارمز	(٤١٢)	١٩٧٢
٨- تاريخ علم اللغة	جورج مونين	(٢٤٤)	١٩٧٢
٩- تصميم الجسور	ن. باليفانوف	(٤٧٠)	١٩٧٢

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٠- الباهر في الجبر	د. صلاح الأحمد د. رشدي الراشد	(٣٥٤)	١٩٧٢
١١- علم الطفيليات	جاي. جيورجي	(٣٨٢)	١٩٧٣
١٢- مقاومة المواد	ف. فيودوسيف	(٨٠٠)	١٩٧٣
١٣- محاضرات في الفيزياء	ر. فانيمان	(١٥٤٤)	١٩٧٤
١٤- معجم العلوم الطبية	أ. حمدي الخياط ومرشد خاطر	(٦١٤)	١٩٧٤
١٥- مبادئ الطب الباطني	هاريسون	(٣٨٤٠)	١٩٧٨ ١٩٨٠

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملاحظة: بلغ العدد الآن نحو مئة عنوان.

المراجع

١- كتاب «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث» بقلم مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية سابقاً، طبعة ١٩٦٥/٢.

٢- كتاب «اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث» للأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني، إصدار المجمع المذكور، عمان ١٩٨٧.

٣- كتاب «التعريب والتنمية اللغوية» للدكتور ممدوح خسارة، إصدار دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق، ١٩٩٤ .

٤- كتاب «الترجمة قديماً وحديثاً» تأليف شحادة الخوري، إصدار دار

المعارف بسوسة في تونس، ١٩٨٨.

٥- كتاب «دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب» تأليف شحادة الخوري، إصدار دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر بدمشق، ط٢/ ١٩٩٢.

٦- كتاب «اللغة والتعريب ودور الإعلام» تأليف الدكتور فائز الصائغ، إصدار دار مجلة الثقافة بدمشق، ١٩٩٢.

٧- دراسات ومقالات عديدة حول التعريب والترجمة والمعاجم منشورة في مجلات عربية عديدة وأهمها مجلة «اللسان العربي» الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب بالرباط.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(التعريف والنقد)

نَظَراتٌ في سِيرة كَشَاجِمَ وآثارِه

(القسم الثالث)(*)

كتاب المصايد والمطارد

الدكتور محمد بن عبد الله العزّام

هذا باب لم يكن في الحسبان! فلقد وقف الدكتور محمَّد أسعد طلس رحمه الله على كتاب اسمه المصايد والمطارد منسوبٍ إلى كَشاجم، ونسخته في طهران مكتوبة في سنة ٦١٣، فنشرها في بغداد سنة ١٩٥٤، وجزم بأنه من تصنيفه. كما جزم بذلك أستاذنا الدكتور عبد الرّحمن رأفت الباشا رحمه الله (في كتاب الصيد عند العرب، ٢٥٨) بناء على أنه مذكور في كشف الظنون وشذرات الذهب وغيرها. وفي إستانبول نسخة أخرى قديمة لم يطلع عليها المحقّق، وهي غير مؤرخة، وهو فيها منسوب إلى كَشاجم أيضاً (انظر مقالة المستشرق ولفنسون في مجلة المجمع العلمي العربي ١٨/ ٢١٠). وفي وفيات الأعيان والكتاب المنصوري في البيزرة ونهاية الأرب وحياة الحيوان ومطالع البدور وغيرها نصوص منه غير قليلة، وهي موجودة في النسخة المطبوعة. فلا شكّ في نسبة الكتاب إليه ابتداء من القرن السابع، إن لم يكن قبل ذلك.

ولكنَّ ذكر الكتاب في مصنَّفات المتأخِّرين لا يكفي لحسم الأمور،

(*) نشر القسم الأول والثاني في: مج ٧٥ ج٢ ص ٤١٣- ٤٣٦/ مج ٧٦ ج١ ص ١٥٧-١٩٢.

وغاية ما يَدُلُّ عليه أنه كان موجوداً في عصورهم، إلا إذا رووه بالإسناد المتَّصل إلى المصنِّف أو صرَّحوا بما يَدُلُّ على تصحيح نسبته إليه فيؤخذ رأيهم بعين الاعتبار (وهذا غيرُ موجود). وقد ثبت من تاريخ النسخة أن الكتاب كان موجوداً في أوائل القرن السابع، فلا نستفيد كثيراً من ذكره في الكتب المذكورة. ولم يخلُ عصر من العصور من تزوير الكتب واغترار أهل العلم والفضل بها، حتَّى عصرنا لم يسلم من ذلك، وحسبك دليلاً تزوير مذكّرات هتلر في ألمانيا قبل بضع عشرة سنة.

ولا غرابة في أن يصنف كشاجم كتاباً كهذا لو أنه كتاب شعر وأدب مع شيء من أمور الصيد. ولكن الأمر فيه على العكس، فهو شديد التعمّق في دقائق الصيد وأحوال الطيور والطرائد وأعراضها وأمراضها، ويأتي الشعر والأدب تبعاً لذلك. فلمّا نظرتُ فيه وجدت من الغرائب ما يدفع إلى الظنّ القويّ بأنه منحول أو ملفّق! فرأيت بسط الأمر لأهل العلم **لأنني لا أقطع فيه بشيء،** ولعلّهم يجدون في نسخ الكتاب الأخرى أو في دواوين العلم ما يجلو حقيقة الحال.

وأوّل ما يجب بيانه أن الكتاب مخروم خرماً بليغاً عند بدايته، وأظنّ أن الضائع منه مقدار كرّاسة، وأول الموجود منه تتمَّة حكاية بين الرشيد ورجل يكنى أبا عبد الرحمن. فاتَّخذ بعضهم ورقة ألزقها به، وكتب على وجهها اسم الكتاب والمصنِّف، وعلى ظهرها مقدِّمة قصيرة، ولم يعقد باباً ولا شرحَ مطالبَ الكتاب والغرضَ منه وسبب تصنيفه لأن الصفحة الواحدة لا تتسع لذلك! واخترع كلاماً لترميم الحكاية للإيهام بأن الكتاب تامّ! فجاء الكلام ركيكاً مضطرباً لا يُفهم، لأن الباقي من الحكاية لا يدلّ على الضائع منها وليس فيه اسم أبي عبد الرحمن! وهذه الحكاية موجودة بلفظ مشرق في كتاب البيزرة ٤١ ـ المجهول مصنِّفه ـ بهذا الإسناد (**أخبرني** بعض ولد عبد الملك بن صالح الهاشمي عن أبيه عن جدّه قال: كنتُ أحضر مع الرشيد

الطردَ كثيراً ... إلخ)، و عبد الملك هذا هو أبو عبد الرحمن. وهذا الكلام يشبه أن يكون من قول كشاجم لأنه قريب من أحفاد عبد الملك زماناً ومكاناً.

وهذه الحكاية وما بعدها من حكايات الخلفاء العباسيين، إلى نهاية الباب في الصفحة الثامنة من كتاب المصايد، تتطابق حرفياً مع كتاب البيزرة، وهو هناك تحت عنوان (باب من كان مستهتراً بالصيد من الأشراف)، وهذا الباب يطابق مضمون الحكايات الموجودة في كتاب المصايد، ولا شكّ في أن العنوان والحكايات الأولى الموجودة في كتاب البيزرة كانت موجودة في كتاب المصايد أيضاً. بل لقد ورد قبله باب طويل في كتاب البيزرة تحت عنوان (باب فضائل الصيد)، وفيه حكايات ونصوص نادرة، منها قول المصنِّف المجهول (ومن فضائل العلم بالصيد والعادة له: **ما حكاه أبي عن إسحاق بن إبراهيم السندي** عن عبد الملك بن صالح الهاشمي عن خالد بن برمك ... إلخ)، وهذا كلام يشبه أن يكون من كلام كَشاجم، لأن إبراهيم ابن السندي عمّه، ولا أرتاب في أن هذا الباب بتمامه كان موجوداً في كتاب المصايد قبل وقوع الخرم. ومن المعلوم أن صاحب كتاب البيزرة قد ذكر عن نفسه أنه كان بازيار العزيز الفاطمي المتوفّى سنة ٣٨٦، وقد ذكر حكايات كثيرة تدلّ على صحّة قوله، فإن صحّ قوله هذا فلا بدّ أن يكون قد وُلد بعد موت كَشاجم ـ أو بعد تصنيفه لكتابه ـ وأن يكون قد أغار عليه ونقل منه أبواباً بتمامها وكثيراً من الموادّ والحكايات والأشعار في أثناء الأبواب الأخرى. وقد أشار محقّقه الأستاذ محمّد كرد عليّ رحمه الله إلى بعض ذلك في مقدّمته، وذكر أنه انتحل فيما انتحل أبيات كَشاجم المشهورة التي ذكر فيها دَيْر القصير بالمقطَّم، وعزاها إلى نفسه بصريح العبارة كما هي الحال في كتاب المصايد ! ولا يشكّ مَنْ يقارن بين نصوص الكتابين في أن كتاب البيزرة هو الآخذ من كتاب المصايد وليس العكس.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد كان الدكتور طلس رحمه الله حرياً باكتشاف هذا التلفيق، ولاسيَّما أن كتاب البيزرة كان بين يديه. وقد ذكر المصنِّف في الصفحة ٤١ شيئاً من خصائص الحيوان ثمَّ قال (وقد قدَّمنا في الرسالة أن الإنسان جامع لذلك كله). ولم يتقدَّم شيء من ذلك، **وفيه دلالة على نقص الكتاب.** ولكنَّه أحسن الظنّ بنسخته كما يفعل كثير من المحقّقين مع الأسف.

وإنني لأدعو المحقّقين إلى ضرورة التأكد من أوراق العناوين؛ لأن كثيراً من المخطوطات قد ضاعت أوراقها الأولى بسبب التلف، أو أُتلفت عمداً لأنها تتضمن عبارات الوقف. وكثيراً ما يَجِد الوراق أن لا يلتفتوا إلى هذه النسخة المنقطعة المجهولة، فيغريه الطمع باختلاق هويَّة للكتاب وينسبه إلى بعض المشاهير. وقد اتَّضح لي هذا الأمر في كتابين: معجز أحمد المنسوب زوراً إلى المعرّي، ومختصر الممتع لعبد الكريم النهشلي الذي جعله أحدهم نسخة من كتاب الكامل للمبرِّد واختلق له مقدِّمة وخاتمة وحاول ترميم الحكاية المخرومة في أوَّل الكتاب، وهذا هو الكتاب الثالث!

ومع ذلك فالكتاب مليء بالمشكلات! ولنبدأ أولاً بما يدلّ على أنه من تصنيف كشاجم، غير الخبر الذي مرَّ آنفاً:

* فالأبيات التي أنشدها المصنِّف لنفسه في دَيْر القصير بالمقطَّم ثابتة لكَشاجم في الديوان وفي معجم البلدان، وسيأتي الكلام عليها مبسوطاً.

* وذكر خبراً عن الخليفة المكتفي، ثم قال: أخبرني بمثله أبو بكر الصولي، وأخبرني مَنْ رآه بظاهر أنطاكية منصرفَه مع المعتضد بالله (كتاب المصايد ٧). وهذا يصلح لكَشاجم مكاناً وزماناً، وصلتُه بالصولي ثابتة ومضت الإشارة إليها.

* وأنشد أبياتاً بلفظ «وكتبتُ إلى بعض الرؤساء وهو أحمد بن

إسماعيل» (كتاب المصايد ١٢)، وهي في أصل الديوان ٣٣٥ مكتوبة لأبي الحسن الإسكافي. وهو نفس الرجل من غير شكّ كما يَدُلُّ عليه ديوان الصَّنوبريّ ١٦٢.

* وقال عن محرَّمات الصيد (وكلّ ما أذكره من ذلك سماعي من إبراهيم بن جابر بحلب - بإسقاط الإسناد - سنة أربع وثلاث مئة). وهذا تاريخ يصلح لكَشاجم من جهة الزمان والمكان. وأظن أنه يعني إبراهيم بن جعفر بن جابر قاضي حلب المذكور في بغية الطلب ٢/٢١٨.

ولكنَّ فيه كثيراً من النصوص **التي تنفي نسبته إليه**، ومنها:

* أن المصنِّف أنشد قطعتين على الكاف وأخرى على الصاد، ونسبهما إلى نفسه بلفظ المتكلم (كتاب المصايد ١٠ و ١١)، ولا توجدان في أصل ديوانه ولا في زياداته.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

* ويورد أرجوزة على الزاي بلفظ: قال محمود بن الحُسين الكاتب (المصايد ٦٩). وهي لا توجد في أصل ديوانه ولا في زياداته ولم تُنسب إليه في كتاب ما، ولكنّها في ديوان السَّريّ الرَّفّاء ١٥١ منسوبة له! ثمَّ يورد أرجوزة على الألف المقصورة عطفاً على الأرجوزة السابقة بلفظ «وله أيضاً» (كتاب المصايد ٧٠)، وليست في أصل الديوان ولا في زياداته أيضاً.

* ثمَّ يعقّب على هاتين الأرجوزتين بقوله (وكتبتُ إلى صديق لي من الكتّاب أصفُ بازياً له حضرتُ معه الصيدَ به)، وأنشد قصيدة لا وجود لها في الديوان. فهذا المتكلِّم يجب أن يكون كَشاجم، ولكنَّ المصنِّف يذكر كَشاجم في المواضع الأخرى بضمير الغائب! والغريب أن هذا الكلام بنصِّه وفصِّه موجود في كتاب البيزرة، ولكن القصيدة غير القصيدة! وهي أيضاً ليست في الديوان! **فالتلفيق والاضطراب واضحان.**

* ثمَّ يعود المصنِّف إلى ذكر كَشاجم بضمير الغائب، فيورد قطعة على القاف بلفظ: قال محمود بن الحُسين الكاتب (المصايد ٧٦) ـ وليست في أصل الديوان ولا في زياداته ـ وأرجوزةً على القاف بلفظ «وقال بعض مَنْ حضر، وهو محمود بن الحُسين الكاتب» (المصايد ٧٧)، وليست في أصل الديوان بل في زيادات إحدى النُّسخ المُتأخِّرة (الديوان ٤٥٨). ويورد أرجوزة على الهمزة بلفظ «وقال محمود بن الحُسين» (المصايد ٢٣٤). وليست في أصل الديوان بل في الزيادات المنسوبة إلى أبي الفرج (الديوان ٢٣٤).

* وينشد شعراً للصَّنَوبريّ من غير إشارة إلى معرفة أو صداقة بينهما، ويذكر اسمه مجرداً من الثناء والتكنية (المصايد ٢٣١).

* **ثمَّ يتعاظم الإشكال،** فينشد أربع عشرة قصيدة وأرجوزة ينسبها إلى نفسه بصريح العبارة وبلفظ المتكلِّم (المصايد ٧١ و ٨١ و ٨٧ و ٨٨ و ١٠٠ و ١٥٨ و ١٥٥ و ١٦٧ و ١٧٦ و ٢١٢ و ٢٦٢). وليس لها جميعاً وجود في أصل الديوان، ولكن وردت إحداها في زيادات أبي الفرج (الديوان ٤٣٢)، وهذه القطعة لا وجود لها في النُّسخ الثلاث ولا في نسخة برنستون.

فهذه قرائن متعارضة، أقلُّها يشهد بأن الكتاب له، وأكثرها يشهد بأنه ليس له ! ونحن نستطيع أن نخرج من بعضها بدعوى أن الحمدوني ـ على فرض وجوده ـ لم يقف على جميع شعر كشاجم. ولكنَّ هذه الأشعار موجودة في كتاب يُفترَض أنَّه من أشهر كتبه، فكيف يخفى أمرُه وأمرُ الأشعار الواردة فيه على مَن يتصدَّى لجمع ديوانه ويعرفُ أبناءَه؟ وكيف يخفى ذلك على ابنه أبي الفرج وهو يستدرك على الديوان؟ ولماذا لم يقل

لهذا الحمدوني: إن في كتاب المصايد كثيراً من شعر أبي ؟ **فإذا كانت من شعره حقاً فينبغي أن يكون الكتاب لغيره، وإن كانت مدسوسة عليه فالكتاب كله مدسوس عليه.**

ومن أغرب الغرائب أن ينسب إلى نفسه قِطَعاً كثيرة بلفظ المتكلم وقطعاً كثيرة بلفظ: قال كَشاجم! فهذا الأسلوب غريب جداً ولا أعرف له مثيلاً، والعادة أن الإنسان إنَّما يقول عن نفسه «قال فلان» في معرض التعقيب على كلام سابق لغيره، كما يتضح من أسلوب الجاحظ وابن حزم وياقوت وغيرهم، وإذا أراد إنشاد شعر نفسه بلفظ الغائب فالوجه أن يقول : (قال فلان: وقلتُ في هذا المعنى كذا وكذا). وفي المسألة إشكال آخر وهو أن الإنسان لا يذكر نفسه باللقب الذي يشعر بالمدح أو الذم، بل بالاسم أو الكنية كما هو معلوم. ولا حاجة للإطالة في هذا المعنى الواضح، ولعلّي أستشهد بكتاب معجز أحمد المنسوب زوراً إلى أبي العَلاء المعرِّي، فقد أنشد المصنِّف فيه شعراً لأبي العَلاء في ثلاثة مواضع بلفظ «قال المعرِّي»، فزعم محقّق الكتاب أن هذا غير مستنكر ولا يقدح في نسبة الكتاب إليه! ولكن اتضح لي ولغيري أن الأدلة على تزويره لا نهاية لها ولا شكّ فيها البتّة، وأن هذه العبارة كان ينبغي أن تثير قلق المحقّق بدلاً من التماس تخريجات واهية لها على عادة بعض المحقّقين في التعصّب للكتب التي ينشرونها.

وأشار محقّق الديوان إلى وجود بعض هذه الأشعار منسوباً إلى كَشاجم في نهاية الأرب للنويري المتوفَّى سنة ٧٣٣ (الديوان ٤٧٧، ٤٨٣، ٤٩٣، ٤٩٤). ولا عبرة بذلك كما أوضحتُ فيما مضى؛ لأن النويري له عناية واضحة بأدب الصيد والطرد واطلاعٌ على المصادر، فلا غرابة في أن

يقف على نسخة مماثلة للنسخة التي لدينا، ولقد نُسب الكتاب إليه قبل عصر النويري بمئة سنة أو أكثر كما يتضح من تاريخ نسخة طهران.

أمّا الأرجوزة الموجودة في ديوان السَّريّ ـ وهي معزوّة في الكتاب إلى كَشاجم بضمير الغائب «قال» لا بضمير المتكلم «قلتُ» ـ فهي تثير إشكالاً بالغاً. فالسَّريّ مُتأخِّر عن عصر كَشاجم من غير شكّ، ولم يتّهمه أحد باختلاس شعره. فإذا كانت من شعره ففيها دليل قوي **على أن الكتاب أو بعضه متأخّر عن عصر السَّريّ أيضاً**. ولا أرى مجالاً لأن يكون الكتاب بتمامه صحيح النسبة إلى كَشاجم ـ إذا طرحنا جميع الإشكالات الأخرى ـ إلا بثلاثة شروط: أن تكون الأرجوزة من شعره، وأن يكون السَّريّ اختلسها أو أُلصقت به، وأن يكون كَشاجم يتلوَّن ويخرق القاعدة في التعبير عن نفسه فيتحدَّث بلفظ المتكلم أحياناً وبلفظ الغائب أحياناً. ولَعَمْري إنها لظُلُمات متراكبة لا أدري كيف يخرج الكتاب منها سليماً مُعافى!

وأمّا الأبيات التي قالها المصنِّف في دَيْر القُصَير فهي ثابتة في ديوان كشاجم، ونُسبت إليه في معجم البلدان. ولكن من الغريب أن صاحب كتاب البيزرة ـ المفترض أنه عاش في مصر الفاطمية بعد عصر كَشاجم بعشرات السنين ـ نسبها إلى نفسه بهذه العبارة (ولي في نحو هذا المعنى، وكنّا نخرج للصيد بمصر في موضع يُعرف بدَيْر القُصَير). ومضى بيان أن في الكتاب أبواباً ومواد غير قليلة توجد بحروفها في كتاب المصايد!

وقد اكتفى الدكتور طلس بهذه الأبيات لتوثيق نسبة الكتاب، وجزم بأن صاحب البيزرة هو الذي أغار عليه. بينما ظنّ الدكتور يوسف العش رحمه الله أن الأبيات من شعر الخالديين المدسوس في ديوان كَشاجم وأنّه

يجوز أن يكون الكتاب من تصنيفهما (مجلة المجمع العلمي العربي ١٨ / ١٨٥). وهو ظنّ غير صحيح قطعاً، لأن الخالديّين لهما كتاب في الأديرة وقف عليه ياقوت ونقل منه أن دَيْر القُصَير هذا من أديرة العراق، فنفى ياقوت ذلك واستشهد عليه بشعر كَشاجم هذا وبقول الشابشتي أنَّه من أديرة مصر. وأضاف ياقوت أن الخالديين اغترّا بذكر حُلوان في هذه الأبيات فظنّا بأنها حُلوان العراق، وحقّق أنها حُلوان مصر بدليل ذكر السفن وصيد السمك مما لا ينطبق على حُلوان العراق، وهي حجّة ساطعة وتحقيق نفيس. فهذا الغلط منهما يمنع أن تكون الأبيات من شعرهما، ولا أرى حتّى الآن مجالاً للشك في أنها من شعر كشاجم الصحيح. فالحاصل أن الأبيات مُتنازعٌ عليها بين ثلاثة مصنفين (١) كَشاجم في الديوان (٢) مصنِّف كتاب المصايد (٣) مصنِّف كتاب البيزرة. ولا يظهر مُوجب للشكّ في أنها من شعر كشاجم، فلا بدَّ أن يكون مصنِّفُ كتاب المصايد أو مصنِّف كتاب البيزرة، أو كلاهما، كاذب في دعواه بأنها من شعره، أو أن يكون الكتابان معاً من تصنيف كشاجم!

ولقد كان أبو الحسن العدوي الشِّمشاطي معاصراً لكَشاجم، وكان مؤدباً لأولاد ناصر الدولة الحمداني أمير الموصل. وفي كتابه الأنوار قطعة لبعض الأعراب أنشده إيّاها «محمَّد بن الحسن» (الأنوار ٢٥٠، وهي موجودة في كتاب المصايد ١٥٠)، فالظاهر أن الصواب «محمود بن الحُسين» أي كَشاجم، وأن الشمشاطي قد لقيه في شبابه. فهذا قد يشهد لصحّة الكتاب من حيث الجملة. ولكنَّه يثير إشكالاً من جنس الإشكالات السابقة: فكتاب الأنوار يعتبر من كتب الصيد والطرد، ويشترك مع كتاب

كَشاجم في نصوص كثيرة جداً، وإذا صحَّت الأشعار المنسوبة إلى كَشاجم في كتاب المصايد فهو يُعدّ من كبار شعراء هذا الفنّ، فكيف يغفل الشمشاطي ـ سواء أكان تلميذه أم زميله أم عصريّه ـ عن الاستشهاد بشيء من شعره إلا بيتين في صفة البواشق لا أهمية لهما؟ (انظرهما في الأنوار ٢١٣). وهذان البيتان ثابتان لكَشاجم ولكن لا وجود لهما في كتاب المصايد! والموجود فيه في ذلك الموضع ـ وفي كتاب البيزرة أيضاً ـ قطعة أخرى نسبها المصنِّف إلى محمود بن الحُسين الكاتب، وهي موجودة في بعض نسخ الديوان دون بعض! (المصايد ٧٦).

ولا يخفى أنَّ كتب الصيد والطرد تروق للملوك والأمراء وأثرياء الناس، فلا يُستغرب أن يجمع بعضهم كتاباً في هذا الفنّ وينحله إلى رجل مشهور مثل كَشاجم ويُهديه إلى بعض كبار القوم. وقد نُشر بالتصوير كتاب «ضواري الطير» منسوباً للغطريف بن قدامة الغسّاني صاحب ضواري هشام بن عبد الملك، وفيه أن الحجاج بن خيثمة استخرجه من خزانة الرشيد وعُرض على الغطريف، وأن معاذ بن مسلم الهرّاء زاد فيه أشياء من كلام الملوك والأكاسرة، وأن مَلِك الروم أهدى للمَهْديّ كتاباً من كتب اليونان، فأمر المهدي بإحضار أدهم بن محرز الباهلي العارف بنوادر العرب فألَّف هذا الكتاب. وهذه دعاوى أقرب إلى الأساطير فيما أرى، فلا تطمئن النفس إلى تصنيف كتاب للصيد في عصر هشام، ولا إلى بقاء الغطريف إلى عصر هارون، ولا إلى معرفة معاذ بن مسلم بعلوم الأكاسرة. أمّا أدهم بن محرز الباهلي فرجل معروف، ولكنّه عاش في القرن الأول وشهد صفّين مع معاوية! وترتيب الكتاب يَدُلُّ على أنّه من صنيع بعض المتأخرين لأنه كما يظهر خلاصة مركَّزة لكتب هذا الفنّ.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالحاصل أن كتاب المصايد مصابٌ بانفصام الشخصيَّة! والأقرب في ظني أن كَشاجم كان له نبذة أو رسالة صغيرة في الموضوع، ولعلَّها هي رسالة البيزرة المذكورة في بعض المصادر. فتعرَّض للدس والتلفيق مرَّتين وخرجت منه نسختان: النسخة المطبوعة باسم كتاب البيزرة التي ينسبها بازيار العزيز الفاطمي إلى نفسه، والنسخة التي لاتزال منسوبة إلى كشاجم باسم كتاب المصايد والمطارد. وتشترك النسختان في نصوص كثيرة، والله أعلم.

ثلاث فوائد عزيزة:

لقد نُشر كتاب بُغية الطلب لابن العديم بالتصوير عن النسخة الأم بخطِّه رحمه الله. وهذا الكتاب من أنفس النفائس، ولا يعيبه إلا ضياع جزء كبير من أجزائه، ومن ذلك ترجمة أبي الفتح كَشاجم. ولقد ترجم في الأجزاء الباقية لابنه أبي نصر، وضاعت ترجمة ابنه أبي الفرج وترجمة أبيهما كَشاجم. ولكن بقيت ترجمة صغيرة لكَشاجم في باب الألقاب ١٠/٤٧٤ وهذا نصّها (كَشاجم: هو أبو الفتح محمود بن الحُسين، ولُقِّب كَشاجم لأنه كان كاتباً شاعراً مُنَجِّماً، وكان بحلب، وقد قدَّمنا ذكره).

إنَّ أهمَّ ما يميِّز بُغية الطلب عن غيره أن ابن العديم كان محقِّقاً مدقِّقاً واسع الاطِّلاع على أوثق المصادر، بخطوط أصحابها في كثير من الأحيان، وكان خطّاطاً مبدعاً. فكتب الكتاب بخطِّه الجميل، وضبط الكلمات المشكلة بحيث أصبح من أهم المصادر لحسم كثير من الإشكالات. وقد جرَّبته في كثير من الأمور فوجدته معيناً لا ينضب. وهذه الترجمة على إيجازها تتضمن ثلاث فوائد مُهِمَّة:

* فذكر أن كلمة كَشاجم منحوتة من ثلاث كلمات: كاتب وشاعر ومُنَجِّم. وقد خبط بعضهم في ذلك على غير هُدى، فقالوا إنها منحوتة من خمس كلمات: كاتب وشاعر وأديب وجواد - أو جَدلي - ومُنَجِّم. والتكلّف في هذا التخريج واضح جداً.

* وضبط كلمة كَشاجم بفتحة واضحة على الكاف، وهذا يكفي لحسم هذه المسألة التي غمض أمرها على كثير من القدماء بين فتح الكاف وضمِّها. وذكر المجد في القاموس ١٧٣/٢ أنها بضمّ الكاف كعُلابط، وأشارَ الزبيدي في التاج ٤٦/٩ إلى القول الآخر. والقياس يقوّي فتح الكاف، لأن الكاف إذا كانت من كلمة كاتب فهي مفتوحة الكاف.

* وصرَّح بأنه كان يعيش في حلب، وهذه فائدة مُهِمّة جداً يشهد لها ديوانه وديوان صديقه الصَّنَوبري.

هذا كله في سطرين، فكيف لو بقيت الترجمة المطوَّلة!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(آراء وأنباء)

حفل استقبال

الأستاذة الدكتورة ليلى الصباغ

عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٨/١١/١٩٩٨ (من الدورة المجمعية لعام ١٩٩٩- ٢٠٠٠) الأستاذة الدكتورة ليلى الصباغ عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية، الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور حسني سبح. وقد صدر بتعيينها المرسوم الجمهوري ذو الرقم (١٥٤) في ١٠/٥/١٤٢١ هـ - ١٠/٨/٢٠٠٠م.

واحتفل المجمع باستقبال الزميلة الأستاذة الدكتورة الصباغ في جلسة علنية عقدها (مساء يوم الأربعاء الثامن ٢٨/١١/١٤٢١هـ - ٢١/٢/٢٠٠١) في قاعة المحاضرات في بناء المجمع؛ حضرها نخبة من رجال العلم والأدب وأصدقاء المحتفى بها.

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع بكلمة موجزة رحب فيها بالسادة الحضور، مهنّئاً زميلته المجمعية، مباركاً انضمامها إلى مجمع الخالدين.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان عضو المجمع كلمته التي

تحدث فيها عن الزميلة المحتفى بها، وذكر طرفاً من سيرتها، ونوّه فيها بمكانتها العلمية والخلقية.

تقدمت بعد ذلك الأستاذة الدكتورة ليلى الصباغ وألقت كلمتها التي تحدثت فيها عن سلفها الراحل الأستاذ الدكتور حسني سبح الرئيس السابق للمجمع.

وننشر فيما يلي كلمات الحفل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

السادة العلماء – أيها الحفل الكريم

أحييكم أحسن التحيات وأكرمها، وأرحّبُ بكم أجمل الترحيب، وأشكر لكم تفضلكم بالحضور، لنحتفي جميعاً باستقبال الأستاذة الدكتورة ليلى الصباغ عضواً عاملاً في مجمع الخالدين.

وإنها لمناسبة طيبة نجدّدُ فيها العزم والتصميم أن نؤديَ حقَّ العربية علينا، فنعمل جاهدين لتصبح العربيةُ لغة العلم والحياة، وتضيق الهوة بين الفصحى والعامية، ويعودَ للعربية ألَقُها وازدهارها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولابدّ من وقفة حازمة تجاه هذه الهجمة من العاميات التي أخذت تزاحم الفصحى، تروم أن تنازعها سلطانها.

لقد بينّا في ندوة «اللغة العربية والإعلام» التي عقدها المجمع بالتعاون مع وزارة الإعلام (٢١-٢٣/١١/١٩٩٨م) ما للمؤسسة الإعلامية من أثر بعيد في تقويم ألسنةِ المستمعين، ولاسيما الناشئة، إذا التزمت المؤسسةُ في إذاعاتها المرئية والمسموعة العربيةَ الفصحى السهلة المحبَّبة إلى النفوس.

كما بيّنا في ندوة «اللغة العربية والتعليم» التي عقدها المجمع بالتعاون مع وزارتي التربية والتعليم العالي (٢٢-٢٥/١٠/٢٠٠٠م) ما للمدرسة والمؤسسات التعليمية من شأن بعيد في تعويد الأجيال الناشئة التكلّمَ بالعربية السليمة إذا التزم المعلمون والمدرسون التعليم بالفصحى في قاعات الدرس ومحاورة الطلاب.

وإنما نتعلّم اللغة بالسماع والمحاكاة.

هذا هو الطريق الصحيح لابدّ من سلوكه، وليس لنا خيار، وإننا لا نأتي في هذا أمراً بِدْعاً، ففي تجارب الأمم التي استعادت لغاتها بعد أن كادت تطمس، ما يهوّن علينا مطلبنا، ويسهّل بلوغنا الغاية التي نسعى إليها. وهي منا جِدُّ قريب.

وإنه ليسعدنا اليوم أن نستقبل الدكتورة ليلى الصباغ التي انتخبها مجلسُ المجمع في جلسته الخامسة المنعقدة في (٢٩/٧/١٤١٩هـ = ١٨/١١/١٩٩٨م) عضواً عاملاً في المجمع، وقد صدر بتعيينها المرسوم الجمهوري ذو الرقم ١٥٤ في (١٠/٥/١٤٢١هـ = ١٠/٨/٢٠٠٠م).

وإنني لأهنئ الأستاذة الصباغ بثقة زملائها المجمعيين بها، واختيارهم لها، تشدُّ أزرهم في مسيرتهم، وتعضد مسعاهم، فيتعاونون معاً صفاً واحداً، ويمضون بالعربية المبينة صعدا، حتى تبلغ مكانتها الرفيعة.

فأهلاً بكِ، في رحاب مجمع الخالدين، نعمل وندأب معاً، يملؤنا التفاؤل والأمل، هدفنا جميعاً أن نبلغ اليوم الذي تبسط فيه العربية سلطانها

دون مزاحم.

لقد أمضت الأستاذة الصباغ حياة ملؤها الجدُّ والعمل، فكانت المبرّزة أبداً في دراستها، ونالت درجتي الماجستير (١٩٦١) والدكتوراه (١٩٦٦) بتاريخ العرب الحديث من جامعة القاهرة بمرتبة الشرف الأولى.

وكانت المتفوّقة أبداً فيما أسند إليها من أعمال نهضت بأعبائها على خير وجه.

وقامت بالتدريس الجامعي زهاء خمس وعشرين سنة، فكانت الأستاذة المثالية التي أفادت طلابها وخرّجتهم فأحسنت تخريجهم.

وأذكر أنها حين أُعيرت إلى الجزائر الشقيقة للعمل في الجامعة، وقضت سنتين فيها (١٩٦٦-١٩٦٨م) وعزمت على العودة تعلق بها طلابها، وزملاؤها الأساتذة، وتسارع كثيرون إلى السفارة السورية، يرغبون إليّ أن أقنعها بالبقاء.

وإلى جانب نشاطها التدريسي المتميز فقد شاركت المشاركات الفعالة في الندوات والمؤتمرات العربية والعالمية. كما قامت بإعداد الكثير من البحوث التاريخية التي نشرتها في المجلات العربية والأجنبية والتي جاوزت الثلاثين بحثاً.

وألّفت كتباً كثيرة نَشَرت تسعة منها، وحققت كتاب «المنح الرحمانية». ونرجو أن تكمل الشوط، وتنشر بقية مؤلفاتها التي لم تنشر. وهي تبلغ ستة عشر مؤلفاً.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعدُ

فإن الأعراف المجمعية تقتضي أن أكتفي بكلمة قصيرة أفتتح بها جلسة المجمع العلنية المخصصة لاستقبال العضو المنتخب، مرحّباً بانضمامه إلى أسرة المجمعيين، مُمَهّداً للاحتفاء به.

ويسعدني أن أدعو الأستاذ الكريم الدكتور عبد الحليم سويدان ليلقي كلمة المجمع في استقبال الزميلة الكريمة، ويتحدث عن سيرتها العلمية.

ثم تتلوه الأستاذة الدكتورة ليلى الصباغ فتتحدث إلينا عن سلفها الأستاذ الدكتور حسني سبح الرئيس السابق لمجمع اللغة العربية (١٩٦٨-١٩٨٦)، رحمه الله الرحمة الواسعة، وأسكنه فسيح جنانه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمة الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان

في حفل استقبال الأستاذة الدكتورة ليلى الصباغ

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي رئيس المجمع

سادتي أعضاء المجمع

أيها السيدات والسادة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يشرفني أن أرحب اليوم باسم مجمع اللغة العربية بالأستاذة الدكتورة ليلى الصباغ عضواً عاملاً جديداً في هذا المجمع. ويسعد مجمع اللغة العربية أن تكون الأستاذة الدكتورة ليلى الصباغ أول سيدة تنتظم جوهرة ثمينة في عقده.

ولدت الأستاذة الدكتورة ليلى في دمشق عام ١٩٢٤ وحصلت على القسم الأول من بكالوريا التعليم الثانوي عام ١٩٤٢، وعلى القسم الثاني منها (فرع الفلسفة) عام ١٩٤٣ وحصلت على الليسانس بالتاريخ بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة القاهرة عام ١٩٤٧.

وعلى - الماجستير بتاريخ العرب الحديث بمرتبة الشرف الأولى

من جامعة القاهرة عام ١٩٦١.

وعلى - الدكتوراه بتاريخ العرب الحديث بمرتبة الشرف الأولى من جامعة القاهرة عام ١٩٦٦.

وكانت رسالة الماجستير عن الفتح العثماني لبلاد الشام ومطلع العهد العثماني فيها عام ١٩٦١.

ورسالة الدكتوراه عن الجاليات الأوربية في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر نشرت بجزئين في مؤسسة الرسالة بيروت عام ١٩٨٩.

ولقد وسدت إلى الأستاذة الدكتورة ليلى الأعمال الآتية:

- مدرسة للتاريخ في المدارس الثانوية ودور المعلمات بدمشق عام (١٩٤٧ حتى عام ١٩٥٤).

- مديرة في المدارس الثانوية بدمشق من عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٦٣. أوفدت إبانها إلى القاهرة للاطلاع مدة سنة.

- مفتشة أولى للتاريخ والجغرافية في وزارة التربية العربية السورية من عام ١٩٦٣حتى عام ١٩٦٦.

- أستاذة للتاريخ معارة إلى جامعة الجزائر من عام ١٩٦٦ حتى عام ١٩٦٨.

- عضو في مديرية البحوث في وزارة التربية العربية السورية من عام

١٩٦٨حتى عام ١٩٧١.

- مدرسة في وزارة التعليم العالي في كلية الآداب في جامعة دمشق من عام ١٩٧١حتى عام ١٩٧٦.

- أستاذة مساعدة في قسم التاريخ في كلية الآداب في جامعة دمشق من عام ١٩٧٦حتى عام ١٩٧٨.

- أستاذة في قسم التاريخ في كلية الآداب في جامعة دمشق من عام ١٩٧٨ حتى عام ١٩٩٣.

- أستاذة زائرة في قسم التاريخ في جامعة الإمارات العربية المتحدة في «العين» في الفصل الأول من عام ١٩٩٣.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأما كتبها المؤلفة والمنشورة فهي:

- المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني - دمشق عام ١٩٧٣.

- المرأة في التاريخ العربي (في العصر الجاهلي) - دمشق عام ١٩٧٥.

- دراسة في منهجية البحث التاريخي. مطبوعات جامعة دمشق ١٩٧٩-١٩٨٠.

- تاريخ العرب الحديث والمعاصر. مطبوعات جامعة دمشق ١٩٨٠-١٩٨١.

– معالم تاريخ أوربة في العصر الحديث. مطبوعات جامعة دمشق ١٩٨٠–١٩٨١.

– من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول. المؤرخ المُحِبّي وكتابه خلاصة الأثر– الشركة المتحدة للتوزيع. دمشق عام ١٩٨٦.

– تقديم وتعليق وتحقيق لكتاب «المنح الرحمانية في الدولة العثمانية» للمؤرخ المصري محمد بن أبي السرور البكري الصديقي. دار البشائر – دمشق ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م.

– نساء ورجال في الأدب والسياسة وإصلاح المجتمع – دمشق عام ١٩٩٥.

– من الأدب النسائي المعاصر العربي والغربي – دمشق عام ١٩٩٦.

– فلسطين في مذكّرات الفارس دارفيو – بيروت ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

وأما بحوثها المنشورة فهي:

– **الدور التاريخي للجامعة.** مجلة المجاهد الثقافي – الجزائر. مارس عام ١٩٦٨.

– **عبد الملك بن مروان أصالة عربية إسلامية** – مجلة «الأصالة»

- الجزائر. السنة الرابعة مارس عام ١٩٧٥.

- **الجاليات الأوربية في العالم العربي في العصر العثماني** - مجلة «الأصالة»- الجزائر. السنة الرابعة ماي عام ١٩٧٥.

- **عنابة بين اسمها وموقعها وعلاقتها مع العالم المتوسطي** - مجلة «الأصالة» - الجزائر. السنة الخامسة يونيو - يوليو عام ١٩٧٦.

- **الجديد في «العسكر الجديد»**

- مجلة «الفكر العسكري» دمشق العددان الثالث والرابع عام ١٩٧٦.

- **الوجود المغربي في المشرق العربي في العصر الحديث**

- «المجلة التاريخية المغربية» تونس - يناير عام ١٩٧٧.

- **ثورة مسلمي غرناطة عام ٩٧٦هـ/١٥٦٨م والدولة العثمانية** مجموعة «ملتقى الفكر الإسلامي» - تلمسان - ١٩٧٥، وفي مجلة «الأصالة» الجزائر. العدد ٢٧، ١٩٧٥.

- **ساطع الحُصْري المؤرّخ**

مجلة «المعلم العربي» - دمشق - العددان الثاني والثالث - شباط وآذار عام ١٩٧٧.

-**الوثائق الإيطالية والإسبانية في تاريخ العرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ندوة الدراسات العليا في جامعة عين شمس - القاهرة - أيار عام ١٩٧٧.

- ست سنوات من كفاح ساطع الحصري في العراق

- في كتاب «ساطع الحصري في كفاحه القومي والتربوي» - دمشق - المجلس الأعلى للعلوم ١٩٧٧.

- إفريقية الشرقية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي في مجموعة «ملتقى الفكر الإسلامي» في تامنراسيت - الجزائر. عام ١٩٧٩.

- وثيقة عربية شامية من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي عن الصناعة النسيجية والنساج، لمحمد بن طولون الدمشقي

في كتاب المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام. جزءان - دمشق - عام ١٩٧٩. ج١- ص٣٥-٩٤.

- بين جامع الزيتونة في تونس وجامع بني أمية في دمشق

«ملتقى جامع الزيتونة» - تونس - ١٥ كانون الأول عام ١٩٧٩.

- فلسطين في مذكّرات الفارس دارفيو

بحث قدم إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام - عمان - نيسان عام ١٩٨٠.

- نحو تقويم جديد للحياة الفكرية في البلاد العربية في المرحلة

الأولى من الحكم العثماني

مجلة «أوراق» المعهد العربي الإسباني للثقافة - مدريد - عام ١٩٨٠.

- دين الغرباء (الموريسكوس)

بحث قدم بالفرنسية إلى ندوة الموريسكوس وعصرهم في مونبليه - فرنسة - تموز عام ١٩٨١. نشر في كتاب: Les Morisques et leur temps. Paris ١٩٩٣ pp: ٤٥-٥٦

- الحضارة العربية الإسلامية والتاريخ في كتاب

- «وقائع ومحاضرات المؤتمر العالمي للحضارة العربية الإسلامية» - دمشق - عام - ١٩٨٣. ص ٢٨١-٣٠٨.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- الفعاليات الاقتصادية في فلسطين في أواخر العقد السابع وحتى منتصف الثامن من القرن الحادي عشر الهجري/ أواخر العقد السادس وحتى منتصف السابع من القرن السابع عشر الميلادي. من خلال مذكّرات الفارس دارفيو

في كتاب «الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني» - تونس عام ١٩٨٤ ص ٢٥٥-٣٢٣.

- ملاحظات حول دراسة الاقتصاد العربي في العصر العثماني

المجلة التاريخية المغربية - العدد ٣٧-٣٨ جوان عام ١٩٨٥.

- **صور من الحياة الاجتماعية في فلسطين في النصف الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة/ النصف الثاني من القرن السابع عشر للميلاد** في كتاب «الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني» زغوان عام ١٩٨٨.

- **الغزو البرتغالي للبلاد العربية وموقف الدولة العثمانية في القرن السادس عشر**

في كتاب «ندوة مكانة الخليج العربي في التاريخ الإسلامي» - العين - عام ١٩٩١.

- **التجار الدمشقيون الأخيار بين العلم والإعمار**

النشرة الاقتصادية لغرفة تجارة دمشق - العدد الثاني عام ١٩٩٢.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

- **بين ماضٍ وحاضر** في مجلة **«آفاق الثقافة والتراث»** - السنة الأولى - العدد الأول. المحرم ١٤١٤هـ/ يونيو حزيران عام ١٩٩٣.

- **علم الوثائق**

في مجلة «آفاق الثقافة والتراث» - السنة الأولى - العدد الثاني - ربيع الثاني ١٤١٤هـ/ سبتمبر أيلول عام ١٩٩٣.

- **الأدب العربي في المرحلة ما بعد التقليدية** (من القرن السادس إلى الثاني عشر الهجري) نشر في الكتاب الثاني (١٠٢) (C)من المجلد الخامس (الثقافة والتعلم في الإسلام) من المؤلَّف عن «مختلف مظاهر

الثقافة الإسلامية». الذي أشرفت عليه منظمة اليونسكو نيسان عام ١٩٩٠ وترجم إلى الإنكليزية في الكتاب:

Volume V. Work on the Various Aspects of Islamic Culture

- جولة في موسوعة عربية إسلامية من العصر العثماني (لطاشكبري زاده).

بحث ألقي في كلية الإلهيات في جامعة مرمرة بتركية في ٦ تشرين الثاني ١٩٩٧.

- معالم الحياة الفكرية في الولايات العربية في العصر العثماني - (في طريق النشر).

- عدة بحوث في الموسوعة الفلسطينية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- عدة بحوث في الموسوعة العربية التي تصدرها الجمهورية العربية السورية.

وللأستاذة الدكتورة ليلى إنتاج علمي غير منشور هو:

- موجز لتاريخ العالم على شكل فقرات وعناوين رئيسة منذ بداياته حتى ١٩٩٠. أُعد لصالح مركز جمعة بن ماجد في دبي في الإمارات العربية المتحدة. وهو مخطوط ولديها صورة منه.

- ملامح التاريخ الإسلامي. مذكرات أعدت للسنة الثانية من قسم الآثار في كلية الآداب جامعة دمشق (١٩٧٢-١٩٧٣م) وهو مرقون على

الآلة الكاتبة.

- **عصر الرسول والخلفاء الراشدين، والعصر الأموي.** مذكرات لطلاب السنة الثانية من قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة دمشق (مرقون على الآلة الكاتبة).

- **معالم عصر الخلفاء الراشدين والعصر الأموي.** لطلاب السنة الثانية من قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة دمشق (١٩٧٤-١٩٧٥) (مرقون على الآلة الكاتبة).

- **معالم العصر العباسي.** مذكرات لطلاب السنة الثالثة من قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة دمشق (مرقون على الآلة الكاتبة).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- **عصر الثورات في أوربا (تاريخ العالم المعاصر) (١٧٧٠-١٨٧٠).** (مرقون على الآلة الكاتبة). وهو مذكرات لطلاب السنة الرابعة من قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة دمشق. (١٩٧١-١٩٧٢).

- **العلاقات الدولية:** معالم العوامل المؤثرة في العلاقات الدولية وتطورها في العصور الحديثة. مذكرات لشعبة الصحافة - الإجازة العامة. السنة الثالثة (١٩٧٢-١٩٧٣). (مرقون على الآلة الكاتبة).

- **الطرائق الخاصة لتدريس التاريخ** - مذكرات لطلاب الدبلوم العام في التربية. كلية التربية (مرقون على الآلة الكاتبة).

- **موجز تاريخ أوربة في الحقبة المعاصرة (مرحلة السلم المسلَّح والتوسع الاستعماري الأوربي وما رافقها من تطور حضاري).** مذكرات

أعدت لطلاب السنة الرابعة من قسم التاريخ في كلية الاداب بجامعة دمشق. (مرقون على الآلة الكاتبة).

- **مسرد تاريخ الحضارة العربية الإسلامية (المداخل)** وهو (مخطوط) لديها وأتى على شكل بطاقات في أرشيف الموسوعة العربية بدمشق.

- **الدولة العثمانية والنفوذ البرتغالي في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.** (مخطوط).

- **ست سنوات من كفاح ساطع الحصري في العراق (١٩٢١-١٩٢٧م).** بحث طويل بمناسبة مرور مئة عام هجري على ميلاد المربي العربي الكبير ساطع الحصري، واحتفال المجلس الأعلى للعلوم بذلك.

نشر مقتطف منه في الكتيب الذي أصدره «المجلس الأعلى للعلوم» تحت عنوان: «**ساطع الحصري في كفاحه القومي والتربوي**»، في مجلة «الفكر العربي» السنة الثلاثون، العدد الثاني عشر. كانون الأول عام ١٩٧٧.

- **تاريخ الأتراك العثمانيين.** تعريب لكتاب المؤرخ الإنكليزي «كريزي Creasy» "The ottoman Turks" . (مخطوط).

- **بعض أحاديث ألقيت في الإذاعة** في المرحلة ١٩٥٠-١٩٧١ (مخطوطة) متنوعة الموضوعات.

- **في «فلسفة التاريخ»**، مذكرات ألقيت على طلاب دبلوم

الدراسات العليا – قسم التاريخ – جامعة دمشق.

– المدرسة الفارسية بدمشق.

ولقد شاركت الأستاذة الدكتورة ليلى في المؤتمرات والملتقيات الآتية:

– مؤتمر (سيقر) في فرنسا للمدارس المشتركة. (ديسمبر عام ١٩٦٣).

– ملتقى الفكر الإسلامي في بجاية – الجزائر – شباط عام ١٩٧٤.

– ملتقى الفكر الإسلامي في تلمسان –الجزائر – تلمسان تموز ١٩٧٥.

– ندوة الدراسات العليا – في جامعة عين شمس – القاهرة أيار ١٩٧٧.

– المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام – دمشق – عام ١٩٧٨.

– ملتقى الفكر الإسلامي في تامنراسيت – الجزائر. أيلول عام ١٩٧٩.

– ملتقى جامع الزيتونة – تونس – ديسمبر عام ١٩٧٩.

– مؤتمر الحضارة العربية الإسلامية – دمشق عام ١٩٨١.

– ندوة: «الموريسكيون وعصرُهم» – مونبليه (فرنسة) –تموز عام ١٩٨١.

– المؤتمر الخامس للجنة العالمية للدراسات ما قبل العهد العثماني والعهد العثماني – تونس – أيلول عام ١٩٨٢.

– المؤتمر العالمي الأول للّجنة العليا للدراسات العثمانية – تونس – يناير عام ١٩٨٤.

– المؤتمر العالمي الثاني للّجنة العليا للدراسات العثمانية – تونس – عام ١٩٨٦.

– ندوة مكانة الخليج العربي في التاريخ الإسلامي – في العين – (الإمارات العربية المتحدة) شباط (فبراير) عام ١٩٩٠.

– ندوة توزيع الجوائز على المتفوقين بالبحث في مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في إستامبول وهو تابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي: ٤–٨ تشرين الثاني ١٩٩٧ وتسلمت الأستاذة الدكتورة ليلى إبانها من ذلك المركز الجائزة التقديرية «التميز في البحث» "Excellence in Research"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد زارت الأستاذة الدكتورة ليلى البلاد الآتية:

من البلاد العربية: – مصر وشرقي الأردن ولبنان وفلسطين والعراق والكويت والجزائر والمغرب وتونس والإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية.

وفي أوربة – فرنسة وإسبانية وإيطالية والنمسا ويوغسلافية وهنغارية ورومانية وبلغارية واليونان والاتحاد السوفييتي سابقاً وسويسرة.

وفي آسيا - تركية وقبرص.

وفي أمريكة - أجزاء من الولايات المتحدة الأمريكية.

وأما اللغات الأجنبية التي تتقنها الأستاذة الدكتورة ليلى فهي: الفرنسية والإنكليزية.

أيها السيدات والسادة

إنني أهنئ الاتحاد العام النسائي وأهنئ النادي الأدبي النسائي وجمعية الندوة الثقافية النسائية بانضمام الأستاذة الدكتورة ليلى إلى المجمع العريق عضواً عزيزاً مكرماً.

أيها الأخت الكريمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ستجدين في هذا المجمع إخوة يحترمونك ويجلونك وهم واثقون من أن المجمع سيفيد كثيراً في تحقيق أغراضه مما أوتيت من ثقافة عالية وحصافة بالغة وعلم غزير وخلق رفيع.

كلمة الأستاذة الدكتورة ليلى الصباغ

عند استقبالها عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية

السيد رئيس مجمع اللغة العربية

السادة الأخوة الأعضاء العاملون فيه

أيها الحفل الكريم

أبدأ قولي بأن أحمد الله على نعمائه، وأستهل لقائي معكم بتوجيه شكري الجزيل لرئيس المجمع وأعضائه الخالدين، للثقة التي أولَوْني إياها، باختياري عضواً عاملاً في هذه المؤسسة العلمية الموقرة، رصيفة لهم؛ وبذلك أكون أول امرأة تلج بابها العلمي. والله أسأل أن أكون على قدر المسؤولية الجسيمة التي حُمِّلتها منهم ومعهم، في السعي الدؤوب للتمكين للغتنا العربية الفصيحة في كل مجال، ولتنميتها وإغنائها بالجديد المفيد من الألفاظ، والمصطلحات، والتراكيب السليمة، في هذا العصر المائج بالتطورات المختلفة والسريعة في جميع الميادين، ولاسيما منها الميادين العلمية والتقنية؛ وفي الوقت ذاته في الحفاظ عليها أصيلة، وقوية، وصامدة وسط أعاصير «العولمة» الهوجاء. وإنني لأسأل الله أيضاً أن أوفق فأسهم معهم بفاعلية في العمل الحثيث لإحياء تراثنا العربي المشرِّف، ونشره، والتعريف به. وبكلمة جامعة وموجزة، لتحقيق جميع الأهداف التي وضعها مجمعنا اللغوي العربي لنفسه، وذلك على أسس من الجهاد في العلم، والصبر في البحث، والإخلاص في العمل.

وليُسمح لي في مطلع لقائنا هذا أيضاً، أن أنحني إكباراً، وأنا أتوجه بتحايا إعزاز وتجلّة، إلى أرواح السلف الخالدين من أعضاء هذا المجمع، الذين غرسوا نبتته في ديارنا السورية قبل غيرها من البلاد العربية، والذين سقوها، ورعوها بجهودهم، منذ عام تسع عشرة وتسعمئة بعد الألف وحتى الآن، فربت واخضوضرت وآتت أكلها، ثم رحلوا عن هذه الدنيا بعد أن أدوا بحب وإخلاص الأمانة التي أوكلت إليهم.

وأخيراً، فإنني أتوجه بباقة من الشكر والامتنان إلى رصيفي الأستاذ الدكتور «عبد الحليم سويدان» الذي قدمني إليكم، بما عُرف عنه من العلم الوفير، والبحث الدقيق، بأجمل عبارة وأطيب ذكر، وإنني لأرجو الله أن أكون حاملة مما أفاض به عليّ، بعض نثرات، ليستقيم أمري وعملي عند الله والناس.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أيها الحفل الكريم

لقد جرى العرف المحبب في مجمعنا اللغوي العربي هذا، أن يلقي العضو العامل الجديد عند استقباله، كلمة يترجم فيها سلفه الذي شغر مكانه بالوفاة، وفاءً له وتقديراً، وتذكيراً للعضو الجديد بما أداه سلفه من خدمات لأهداف هذا المجمع. وإنه ليشرفني جداً، أن يكون السلف الذي عليّ الحلول محله، عضواً عمل بتفانٍ وإخلاص، أربعين سنة في تحقيق الغايات العلمية الشريفة لهذه المؤسسة، وكان رئيساً لها لثمانية عشر عاماً، وملأ اسمه طبيباً ناجحاً، الساحة الدمشقية لنصف قرن مضى أو يزيد، وترجمه قبلي ترجمة إكبار وتقدير، أدباء، وأطباء كبار، وهو الأستاذ

المرحوم الخالد، الطبيب الدكتور «حسني سبح».

لقد كان من الرواد الأول الأفذاذ في بلاد الشام، بل في بلاد العروبة، الذين حملوا مشعل النهضة العربية العلمية بالذات، بعد أن تخلصت البلاد من الحكم التركي العثماني، وشرعت تلملم شعث ذاتها العربية، وتعمل بصبر ودأب حثيثين لإعادة الوجه النقي والسليم للغتنا العربية، وترسيخ قدمها في ميادين الحياة المختلفة، وعلى صعيد المعرفة بصفة خاصة، بعد أن أصابها الهوان، ولاسيما خلال المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني، إذ حلّت محلها اللغة التركية في الدوائر الحكومية، والمدارس.

رأى أستاذنا الكبير الراحل، طيَّب الله ثراه، نور الحياة، وسط أسرة دمشقية متوسطة الحال، سنة ١٣١٨هـ ثماني عشرة وثلاثمئة بعد الألف للهجرة، أي نحو سنة تسعمئة بعد الألف للميلاد (١٩٠٠)، أي أنه ولد مع ميلاد القرن العشرين الذي ودعناه العام الفائت. وكان أحد توأمين ولدا لوالده «يحيى»، الذي كان يعمل آنذاك في الجيش العثماني؛ إلا أن التوأم الثاني قضى نحبه. وكانت الأسرة بمجموعها تضم إلى جانب الأبوين سبعة أولاد، أربعة من الذكور وثلاثة من الإناث. وكانت الأسرة تقيم في حي سوق ساروجة المعروف في دمشق، وفي منزل أصبح اليوم جزءاً من شارع الثورة[1]. وعندما بلغ السادسة من عمره، أُدخل المدرسة: وكانت

(١) تلك المعلومات الخاصة أوردها الأستاذ الطبيب الدكتور «أنس سبح» ابن الأستاذ الراحل، في مقابلة أجريت معه، في الساعة التاسعة من يوم الأربعاء في ٤ تشرين=

الدولة العثمانية الحاكمة لبلاد الشام آنذاك، قد أوجدت منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر تقريباً ما يسمى بـ «التعليم العصري»، متمشية مع نهضتها المتوخاة، وحركة إصلاحها المقلّدة لأوربة ولمصر. أي أنها أسست في أنحاء امبراطوريتها مدارس على النمط الحديث، تعلّم إلى جانب بعض من التعليم الديني، المعارف الحديثة، وشيئاً من اللغات الأوربية، وإن كان هذا لا يعني إلغاء المدارس الدينية التقليدية. وكان التعليم في هذه المدارس باللغة التركية، ما عدا بعض دروس قليلة للعربية وللّغة الأجنبية. ويبدو أن المدرسة التي انتسب إليها الطفل كانت «مكتب عنبر» الشهير؛ وهذا ما يؤكده الأستاذ الدكتور «أنس سبح»، علماً بأن الأستاذ الراحل، أشار في بعض ما كتب، أنه درس في مدارس خاصة، ودون تحديد لها، كانت النزعة التركية غالبة عليها[٢]. وقد لا يكون في هذا الخلاف تناقض، إذ يمكن أن يكون قد ألحق في بادئ الأمر بمدرسة أولية خاصة، ثم نقل إلى «مكتب عنبر». ومن المعروف أن «مكتب عنبر» أو «مدرسة عنبر»، كانت المدرسة الإعدادية الوحيدة في دمشق من سنة (١٣٠٤)هـ، أربع وثلاث مئة بعد الألف للهجرة أي (١٨٨٧ سبع وثمانين وثمانمئة بعد الألف للميلاد). وكانت الدراسة فيها سبع سنوات: ثلاث رشدية (أي ابتدائية)، وأربع إعدادية، وكانت مدرسة حكومية[٣]. وسميت

= الأول ٢٠٠٠م/ ٦رجب ١٤٢١هـ، وبحضور ابنته.

(٢) الدكتور حسني سبح: «مجمعنا بعد نصف قرن من تأسيسه»، في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. المجلد ٤٤، سنة ١٩٦٩ ج١ ص(١-١٣)، ج٦/١.

(٣) محمد كرد علي، خطط الشام، ٦أجزاء، بيروت ١٩٦٩، ج١٠٠/٦.

بهذا الاسم، نسبة إلى المالك السابق للمدرسة، وهو ثري يهودي استملكت الدولة العثمانية داره هذه، لدَيْن كان لها على صاحبه[٤]. وقد خرَّجتْ هذه المدرسة، ولاسيما بعدما عُرِّبت في العهد العربي الفيصلي، الرعيل الأول من كبار الأدباء والمثقفين الذين زيَّنوا وجه سورية[٥].

وقد يتراءى لمتتبع سيرة طفولة أستاذنا الراحل أنه لم تُتح له فرصة تعلم اللغة العربية تعلماً مكيناً، لغلبة اللغة التركية في المدرسة. ولكن الله حباه معلماً متقناً للعربية، بل من أقطابها وشعرائها، ومن المؤمنين بالقومية العربية والعاملين لها، والمنادين بالثورة على الحكم التركي العثماني، الذي كان خلال هذه المرحلة، قد اتخذ كما هو معروف، سياسة التتريك وصهر جميع القوميات بالبوتقة التركية الطورانية. وكان هذا المعلم الوافد إلى مدرسة الأستاذ الطفل، هو الشاب المجاهد الأمير «عارف الشهابي[٦]»، (١٣٠٦-١٣٣٤هـ/ ١٨٨٩-١٩١٦م)، شقيق الأستاذ الجليل المرحوم «مصطفى الشهابي[٧]»، الذي غدا أحد خالدي هذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٥) انظر: ظافر القاسمي: مكتب عنبر، صور وذكريات من حياتنا الثقافية والسياسية والاجتماعية. بيروت، د.ت.

(٦) انظر حوله: خير الدين الزركلي: الأعلام، ١٣ جزءاً، الطبعة الثالثة، بيروت. د.ت ج٤/ ٩-١٠.

(٧) انظر ترجمته المفصلة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد (٥٠)، الجزء الرابع، ٨٩٩-٩٢٨. وهي بقلم الدكتور شاكر الفحام وقد قدمها في حفل استقباله عضواً عاملاً في المجمع سنة ١٩٧٥م.

المجمع، ومن أساطينه، ومن الوالهين باللغة العربية، حتى إنه أوصى أن يُنقش على قبره البيت التالي[٨](البحر البسيط):

أمُّ اللغات قَضَيْتُ العمرَ أخدِمُها فهي الشفيعةُ في غُفران زلّاتي

وكان الأمير «عارف الشهابي»، قد درس اللغة العربية، هو وشقيقه في بعض المدارس التبشيرية والأهلية العربية. وكانت هذه المدارس التبشيرية بالذات، إلى جانب اهتمامها باللغات الأجنبية، تعنى عناية خاصة باللغة العربية، لجذب الطلاب العرب إليها. وكان المعلم الجديد من أولئك الشباب الذين نذروا أنفسهم لتعليم اللغة العربية، والتاريخ العربي حيثما تسنح لهم الفرصة، وفي المدارس بصفة خاصة، تطوعاً ودون أجر، خدمةً للغة العربية أولاً، وثانياً لإيجاد منفذ يتسربون منه إلى الطلاب العرب، لبث مفهوم القومية العربية في نفوسهم وبين صفوفهم، وحثهم على العمل للتخلص من الحكم التركي العثماني. وكان الأمير «عارف الشهابي» عضواً في «الجمعية العربية الفتاة» السرية، ومن المحررين النشيطين في «جريدة المفيد» التي كانت تصدر آنذاك في بيروت.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد عمل هذا المعلم الفذ مع أستاذنا الراحل بضع سنوات على ما يبدو[٩]. ويعترف الأستاذ بأنه كان له عليه فضل كبير، إذ حبب إليه اللغة العربية، وفتح له بعض مغاليقها، وشجعه على متابعة القراءة بها، وأنه قام بإهدائه ساعة ذهبية في حفل مشهود لتفوقه في ميدانها. والأهم من ذلك،

---

(٨) المصدر نفسه، ج٤/٩٢٧.

(٩) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٤٤، ج٦/١، حاشية (٢).

أهداه اشتراكاً في «جريدة المفيد». ومن المؤكد أن هذا قد حفز الفتى للاستزادة من القراءة بالعربية، حتى إنه تابع بجد ولهفة تعلمه هذه اللغة، أثناء إتمام تحصيله حتى العالي منه، وعلى يد أستاذ خاص[١٠]. بل إنها غدت هاجساً من هواجسه، فعمل على تعليم والده المتقن للتركية، مبادئ العربية، عندما عُيِّن هذا الوالد في دائرة التجنيد أثناء الحكم العربي الفيصلي، حتى يتمكن من متابعة عمله الرسمي، بعد أن بدئ بتعريب الدواوين[١١].

وكان إنشاء الدولة العثمانية «المكتب الطبي[١٢]» في دمشق سنة

(١٠) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٤٤، ج١/٦-٧.

(١١) المصدر نفسه/٧.

(١٢) كان مقر هذا المكتب بناء «زيور باشا» في الصالحية، بناء «تجهيز البنات» سابقاً، ومدرسة «جول جمّال» وقد هدم الآن، وحلّ محله بناء جديد. وقد أعدت له مخابر الكيمياء، والطبيعة، والتشريح والغرائز. وكان يستخدم «المستشفى العام» أو ما كان يسمى بـ «مستشفى الغرباء»، ثم «المستشفى الوطني»، للدروس السريرية. وكانت تطبق بعض الدروس العملية في «مخبر الجراثيم» الملحق بالمستشفى حتى ١٩١٣. ثم شيد سنة ١٩١٢ لهذا المعهد مبنى خاص في الساحة الجنوبية من المستشفى، يتألف من طابق أرضي يضم المخابر، وآخر علوي لقاعات تدريس الطب والصيدلة، فانتقل المعهد إليه عام ١٩١٣.

انظر: - خيرية قاسمية: الحكومة العربية في دمشق (١٩١٨-١٩٢٠)، القاهرة، د.ت/٢٣٧، هامش(١).

- د. حسني سبح: تصدير وذكريات. في المجلة الطبية العربية، العدد (٩٠)، آذار ١٩٨٦/٨.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثلاث بعد التسعمئة والألف، مشجعاً لعدد من الشباب العربي للالتحاق به، لدراسة علم الطب على النمط الحديث. وكان أستاذنا الفتى من هؤلاء؛ فبعد أن انتهى من دراسته الابتدائية والإعدادية المشار إليها، ومدتها سبع سنوات، تقدم إلى المسابقة التي تؤهله، إذا ما نجح فيها، للانتساب إلى هذا «المكتب الطبي». وكان من الناجحين، ولمّا يزد عمره على الثالثة عشرة تقريباً. وكان هذا «المكتب الطبي»، والدراسة فيه ست سنوات، يُدرّس باللغة التركية، شأنه شأن المدارس العثمانية، وكان جلّ أساتذته من الترك، عدا أساتذين من البلاد العربية، وعدد من أبناء سورية كانوا مساعدين للأساتذة الأتراك، وقد خلف هؤلاء أساتذتهم عندما أعيد تأسيس هذا المعهد على أساس عربي أثناء الحكم الفيصلي العربي[١٣]. ويؤكد أستاذنا الراحل أنه على الرغم من أن التدريس كان باللغة التركية، إلا أن معظم المصطلحات الطبية المستخدمة كانت في الواقع عربية الأصول مع بعض تشويه في النطق، ولم يكن من الصعب ردّ تلك الألفاظ المشوهة إلى وضعها العربي الصحيح[١٤].

ومن المعروف أن هذا «المكتب الطبي» نقل أثناء الحرب العالمية الأولى إلى «بيروت» ليحلّ محل «المعهد الطبي الفرنسي» في «الجامعة

---

(١٣) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٣٤، ج١/٨٨ من مقالة للدكتور حسني سبح بعنوان «معجم المصطلحات الطبية» (٨٨-٩٩).

(١٤) المصدر نفسه/٨٩. وقد وردت العبارة ذاتها على لسان «د. ميشيل خوري» في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٤٦، ج٣/٥٨٥.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليسوعية»، وظل كذلك حتى نهاية الحرب. وانتقل بانتقاله الطلاب أنفسهم، ومنهم أستاذنا. ولعلّه في بيروت ازداد تعرفاً بالحركة القومية العربية، وبالنشاط الصحافي الكبير فيها. ويظهر أن الشعور القومي العربي قد أخذ يفعل فعله في الشاب، ولاسيما بعد أن قام الحاكم العثماني «جمال باشا» بإصدار أحكام الإعدام المتتالية على الوطنيين العرب، سنتي خمس عشرة وتسعمئة بعد الألف (١٩١٥)، وست عشرة وتسعمئة بعد الألف (١٩١٦). وكان بين هؤلاء الشهداء أستاذه الأمير «عارف الشهابي». ومن ثمَّ فعندما قام ذاك الحاكم بزيارة تفقدية للمعهد، فإن أستاذنا الشاب، أبت عليه مشاعره المتأججة، والمستنكرة لعمل ذلك الحاكم، أن يقف له. ومن المصادفات الحسنة أن الحاكم لم يلاحظ فعلته تلك(١٥).

ARCHIVE

وفي المدة التي أغلق المعهد فيها أبوابه موقتاً بعد إعلان الحرب العالمية مباشرة سنة (١٩١٤)، فإن أستاذنا لم يخلد للراحة، وإنما بحث عن فعاليات تملأ وقت فراغه، فاشتغل متطوعاً ولعدة أشهر، عاملاً في معمل لتحضير القطن الطبي. ولم يتورع عن العمل أيضاً حارساً لشحنات من القمح كانت ترسل آنذاك إلى أرض فلسطين(١٦).

---

(١٥) د. شاكر الفحام: فقيد المجمع الأستاذ الدكتور حسني سبح مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٦٢/ (١٦١-١٧٥) ص ١٦٣. من كلمة التأبين الذي أقامته نقابة الأطباء بدمشق ظهر يوم الأحد في ١٩٨٧/٢/٢٢.

(١٦) من أقوال الدكتور «أنس سبح» في المقابلة المشار إليها سابقاً. وأكد الأولى =

ولما وضعت الحرب العالمية الأولى، أوزارها سنة ثماني عشرة وتسعمئة بعد الألف، وأُخرج العثمانيون من بلاد الشام، وقام في سورية أول حكم عربي بعد أربعة قرون من السيطرة التركية، لم يكن أستاذنا الشاب قد أنهى بعد دراسته في «المكتب الطبي». ولذلك فإنه بعد أن أعادت حكومة الملك فيصل فتح «المكتب الطبي» في دمشق على أساس عربي تحت اسم «المدرسة الطبية العربية»[١٧] سنة تسع عشرة وتسعمئة بعد الألف، فإن أستاذنا عاد إلى إتمام دراسته فيها، وكان ضمن الفوج الأول من الأطباء الذين خرّجتهم تلك المدرسة في ذاك العام، وكان عددهم ثمانية وأربعين(٤٨) طبيباً، مُنح كل واحد منهم لقب «عليم»[١٨].

وافتتح الشاب الطبيب بعد تخرجه عيادة له في حيّ «مئذنة الشحم»[١٩]؛ وفي الوقت ذاته، بدا أنه يود أن يبقى على صلة مع الناشطين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

= منها الأستاذ الراحل نفسه في مقالته: تصدير وذكريات، في «المجلة الطبية العربية» العدد (٩٠) آذار ١٩٨٦/٩، هامش(٢).

(١٧) أخذت هذا الاسم في البدء، ثم بدل الاسم إلى «المعهد الطبي»، فـ«المعهد الطبي العربي»، فـ «كلية الطب»

د. عدنان التكريتي: «في ذمة الله الأستاذ الدكتور حسني سبح»، في «المجلة الطبية العربية»، العدد(٩٣)، كانون الأول ١٩٨٦/ ٦، هامش (١).

(١٨) انظر أسماء المتخرجين في: د. عدنان التكريتي: المصدر نفسه/٦، هامش (٢).

(١٩) نقلت العيادة بعد ذلك إلى «حي الدرويشية»، «فشارع بغداد». من حديث الدكتور «أنس سبح» في المقابلة المذكورة آنفاً.

في مجال الحركة الثقافية العربية فانتسب إلى «النادي العربي»، الذي تأسس في دمشق آنذاك[٢٠]. ومع أن أهداف النادي كانت في ظاهرها أهدافاً علمية اجتماعية، إلا أنه في واقعه كان نادياً قومياً، سياسياً، وثقافياً. وكان معظم المنتسبين إليه ينتمون إلى أحزاب سياسية، ومن ثم كان مركز نشاط كبير للحركة الوطنية في سورية، ولاسيما أنه كان له امتداد إلى حلب وحمص، وقد عملت فرنسة على إغلاقه بعد «معركة ميسلون». ومع أن أستاذنا الطبيب الشاب لم ينتم إلى حزب سياسي ما، وما عرف عنه ذلك طيلة حياته، إلا أنه لابد عاش في لقاءات الشباب في «النادي العربي» من أمثاله، جواً ثقافياً وسياسياً وطنياً.

ومن الطبيعي أن تتأجج في نفسه مشاعر الغضب والنقمة تجاه موقف فرنسة المخادع والغادر من حكومة الملك فيصل العربية، وأن يرفض بثورة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(٢٠) انظر حول «النادي العربي»: - خيرية قاسمية: مصدر سابق/ ٦٩- ٧٠.

-يوسف الحكيم: سورية في العهد الفيصلي، بيروت ١٩٦٦، ج٣/٥٦- ٥٧.

- أسعد داغر: مذكرات على هامش القضية العربية، القاهرة ١٩٥٩/١٠٧.

-وقد تأسس «النادي العربي» في ٢٥ ذي الحجة ١٣٣٦هـ/ ٢٠ تشرين الأول ١٩١٨م.

-انتسب المرحوم الدكتور حسني سبح للنادي في ١٠ جمادى الأولى ١٣٣٧هـ/ ١٠ شباط ١٩١٩م.

- وانظر وثيقة انتسابه في بحث د. شاكر الفحام، مصدر سابق/ ١٦٥.

انتدابها واحتلالها للبلاد. ففي «معركة ميسلون» في الرابع والعشرين من تموز سنة عشرين وتسعمئة بعد الألف، التي اصطدم فيها الجيش العربي الوليد مع القوات الفرنسية، كان أستاذنا الشاب، أحد الأطباء السوريين الذين التحقوا بميدان المعركة لإسعاف المصابين. وكان من الذين عاينوا جثمان البطل الشهيد «يوسف العظمة»[٢١]، وهو مضرج بدمه، وأكد أن البطل قد استشهد بشظية مدفع فرنسية، أصابت الطِحال فمزقته، لا كما تقوّل بعض المتقولين من الفرنسيين بأنه قتل على يد أحد العربان[٢٢]. ويؤكد الدكتور «أنس سبح»، أن هذه الروح الوطنية ظلت نامية في ذات أبيه، وتوجه خطواته، حتى إنه رفض أن يتسلم منصب وزير في عهد الانتداب، علماً أن والد زوجه، وهو السيد «أحمد حمدي نصر» كان وزيراً للمالية آنذاك. وكان يأنف دوماً من الذهاب إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لموقفها المعادي من العرب، وانحيازها للصهاينة في

(٢١) هو يوسف بن إبراهيم (١٣٠١-١٣٣٨هـ/١٨٨٤-١٩٢٠م). شهيد ميسلون، ومن الوزراء. درس الشؤون العسكرية في دمشق وفي المدرسة الحربية بالآستانة، ومكث سنتين في ألمانية للتمرن على الفنون العسكرية وتنقل بعدة مناصب عسكرية عالية في «الدولة العثمانية». واختاره الأمير فيصل مرافقاً له، وولي وزارة الحربية سنة ١٩٢٠ في حكومة فيصل العربية، واستشهد في معركة ميسلون. انظر: الزركلي: الأعلام ج٩/٢٨٢-٢٨٣.

(٢٢) من مقابلة الدكتور أنس سبح المذكورة آنفاً - وأكدها الدكتور حسني سبح نفسه في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد (٥٩) ج٤/٦٩٠، هامش (٩)، ضمن موضوعه: «خواطر وسوانح وعبر في ذكرى مستشرق».

ARCHIVE

فلسطين[٢٣]

وفي سنة عشرين وتسعمئة وألف عُيِّن معيداً في «المدرسة الطبية العربية» التي تخرج منها، وفي سنة ثلاث وعشرين وتسعمئة بعد الألف أصبح «مساعد مخبر» فيها. إلا أنه كان طموحاً علمياً، فلم يكتف بما حصل عليه من علم الطب في «المكتب الطبي»، بل أراد أن يطّلع على الطب الغربي من منابعه. فغادر دمشق إلى فرنسة فسويسرة سنة أربع وعشرين وتسعمئة بعد الألف، وعلى حسابه الخاص. وتمكن من أن ينال إجازة الدكتوراه في الطب (الإجمالي) أو ما يسمى بـ «الكولوكيوم» من «جامعة لوزان» في سويسرة سنة خمس وعشرين وتسعمئة بعد الألف، وكان موضوع رسالته «نمو الغشاء المشيمي في الإنسان». وقد طبعت في باريس سنة خمس وعشرين وتسعمئة بعد الألف. ويذكر الدكتور الأستاذ «عدنان التكريتي» وهو من الأطباء الفضلاء المرموقين اليوم، ومن الذين عرفوه عن كثب، بأنه كان يفخر دوماً بأنه حائز على شهادتين في الطب، واحدة من دمشق وأخرى من لوزان[٢٤]. وبذلك قوّى إجادته للغة الفرنسية، إلى جانب اللغات الأجنبية الأخرى التي كان يعرفها ويعمل على دعمها، وهي التركية، والألمانية، والإنكليزية[٢٥].

(٢٣) من أقوال ابنه في المقابلة التي جرت معه، والمشار إليها آنفاً.

(٢٤) المجلة الطبية العربية العدد ٦/٩٣، من موضوعه: «في ذمة الله الدكتور حسني سبح».

(٢٥) من مقابلة الدكتور أنس سبح ومن أقواله - ومن مقابلة مع الدكتور عدنان =

وعند عودته إلى دمشق، عاد إلى عيادته ومرضاه، إلا أنه تم تعيينه في مطلع ست وعشرين وتسعمئة وألف، «رئيساً للمخبر» في «المعهد الطبي العربي». وشرع يرتقي بمعرفته، ومثابرته على حسن العمل، وإخلاصه لمهنته في سلّم الهيئة التدريسية، درجة درجة: فكان محاضراً في المعهد، فوكيل أستاذ، فأستاذاً للأمراض الباطنة وسريرياتها سنة اثنتين وثلاثين وتسعمئة بعد الألف. وفي سنة ثمان وثلاثين وتسعمئة بعد الألف، انتخب رئيساً لـ «المعهد الطبي العربي»، الذي أصبح فيما بعد «كلية الطب»، فرئيساً للجامعة السورية سنة ثلاث وأربعين وتسعمئة بعد الألف، مع احتفاظه بعمادة «كلية الطب». وبقي فيها حتى ست وأربعين وتسعمئة وألف، وعاد إليها ثانية سنة سبع وأربعين وتسعمئة بعد الألف، ليبقى فيها سنتين. وقد عُرف عنه في جميع المناصب الإدارية – العلمية، الحزم، والدأب على العمل، والحُنكة، والاستقامة، والسعي للارتقاء بالإدارة الموكلة إليه، والبعد عن التحيز والمجاملة؛ فأفضل العاملين هم أكثرهم علماً وعطاءً، وأصدقهم قولاً وفعلاً، وأشدهم التزاماً.

ولم تبعده تلك المناصب عن ممارسته لمهنته الطبية، ولا عن التدريس في ميدانها. فاشتهر في فنه، وبخاصة في قدرته على «تشخيص المرض تشخيصاً صحيحاً»[٢٦]، ووصف العلاج اللازم. وفي الوقت ذاته

= التكريتي نفسه.

(٢٦) عارف النكدي، في تقديمه للدكتور «حسني سبح» أثناء استقباله عضواً عاملاً في المجمع. المجلد ٢١، الجزء السابع والثامن ص ٣٧٦– و ع. التكريتي=

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عكف على تدريس الطب. وقد بدأ عمله التدريسي الطويل الذي استمر فيه أربعين عاماً تقريباً، في إلقاء محاضرات على تلميذات مدرسة القبالة والتمريض، فطلاب فرع طب الأسنان، فطلاب الطب البشري. وكان يتنقل بين قاعات التدريس في الثكنة الحميدية حيث يلقي محاضراته النظرية، التي اتسمت كما تذكر أجيال الطلبة الذين تلقوا العلم منه، بفكر علمي مطلع على كل جديد، وبتعمق وجدية وحزم[٢٧]، وبين قاعات «مستشفى الغرباء» أي «المستشفى الوطني»، حيث كان يرافق طلابه في الدروس العملية السريرية، مشخصاً المرض، وشارحاً، ومفسراً، ومداوياً، ومدرباً.

وكان حريصاً جداً على أن يعلّمهم الدقة في التشخيص، والأسلوب الصحيح الذي يجب أن يُتبع في هذا المجال[٢٨]. ومع أن معظم دروسه السريرية كانت في الأمراض العصبية، إلا أنها كانت في الواقع دروساً جامعة شاملة[٢٩]. وهكذا، ولأربعين عاماً، كان يقدم لطلاب الطب، العلم والخبرة، بنهج علمي، ووجدان حي. ولا يُشك أبداً بأنه قد ترك أثراً كبيراً في نفوس الأطباء الذين درسوا عليه، وأثمر عمله معهم، حباً لمهنتهم، وحفزاً لهم للبحث في مجالها، والسعي إلى الاختصاص في حقلها،

= «في ذمة الله»، مصدر سابق/٩.

(٢٧) د. عدنان التكريتي، مصدر سابق/٩.

(٢٨) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٢٩) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

«الاختصاص» الذي كان يقول عنه بأنه «سر النجاح»[٣٠]. وفي الوقت نفسه أثمر ذلك التدريس لدى المعلم ذاته، علماً معمّقاً، واتجاهاً قوياً نحو التعلم المستمر، ومتابعة كل ما يستجد في حقول الطب المتنوعة. وبذلك كان أستاذنا الطبيب الراحل، يعلّم ويتعلم، وفي آن واحد يربي ويرشد. فهو لم يفصل بين تعليم العلم الطبي البحت وبين متابعة تربية تلك الأجيال التي يعلمها ذلك العلم، وتوجيهها السليم نحو الحياة المتشعبة التي تنتظرها بعد تخرجها. فكان لا يني عن تذكير طلابه بأنهم يخطئون إذا ظنوا أن باب الدرس والتحصيل قد أغلق بمجرد تخرجهم، وأن الفحوص التي أجروها لنيل الإجازة في الطب هي نهاية المطاف، لأن هناك مدرسة أكبر هي «مدرسة الحياة» التي سيلجونها بعد التخرج والتي ستدوم مادامت الحياة. ففي هذه المدرسة سيكونون في امتحان دائم أمام كل مريض يأتيهم مستشفياً؛ وأن عليهم أن يتحلوا في مواجهة تلك الحياة بأمرين لا انفصام بينهما، وهما الأخلاق الفاضلة والعلم الصحيح المكين. وتُقدَّم الأخلاق على العلم، لأن هذا الأخير لا يجدي الطبيب نفعاً إذا كان مفتقداً للأخلاق الإنسانية الحميدة. وكان يلحّ عليهم بألا يكون هدفهم السعي نحو المادة، بل عليهم أن يمدوا يد العون دوماً للضعيف والبائس، والفقير والمحتاج، ودون تمييز بين الأجناس والأديان، إذ المطلوب منهم هو خدمة الإنسانية المتألمة. وأكد بأن عليهم أن يتابعوا القراءة، والتعلم،

---

(٣٠) مجلة المعهد الطبي العربي، مجلد ٤٩٢/٧؛ من خطاب له في توزيع الشهادات على طلاب «المعهد الطبي العربي بدمشق» في تموز سنة ١٩٣٠/صفر ١٣٤٩هـ.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمثابرة على الاطلاع وإلا نضب معين علمهم. ويجب ألا تأخذهم الخيلاء لما وصلوا إليه من مرتبة، فحياة العمل تتطلب جهداً متواصلاً وإقداماً، وإن ثمار جهودهم لا تعود عليهم وعلى أسرهم فحسب، وإنما يجب أن تعود أيضاً، وهذا الأهم، على الوطن والأمة، اللذين يتطلعان إليهم بعين ملؤها الأمل والرجاء. فليسع كل منهم أن يكون عضواً عاملاً لا عضواً مؤازراً، وأن يكون شيئاً مذكوراً لا أن يبقى على هامش الكتاب بل في متنه(٣١).

وإذا كان أستاذنا الراحل، طيّب الله ثراه، قد نجح في نقل العلم الطبي المتطور إلى طلابه بأسلوب جاد وحازم، وممزوج بالحث على الأخلاق الفاضلة، والاستمرار في التعلّم، فإنه قام بمهمة أكبر متضافرة مع ذلك التعليم، وهي السعي لتثبيت هذا العلم الطبي في أذهانهم، بتوفير مؤلفات طبية عربية يرجعون إليها ليستذكروا ما تعلموه في يومهم، ولتكون مصدراً دائماً بين أيديهم وحتى بعد تخرجهم. لقد اصطدم أستاذنا أثناء تدريسه، كما اصطدم جميع الذين علّموا في تلك المرحلة، بعدم وجود كتب أو مؤلفات عربية في أيدي الطلاب، ومن ثم فإن المعلومات كانت تملى عليهم إملاءً، مع ما في ذلك من معايب كثيرة للطالب والمعلم. فخطا خطوة هامة وشجاعة في مجال التعليم الطبي العربي، كان لها نتائجها الخصيبة، لا في ميدان الطب فحسب، وإنما في ميادين جميع

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(٣١) مجلة المعهد الطبي العربي، مجلد ١٨/١٣٢. من خطاب له في حفل توزيع الشهادات في الجامعة السورية سنة ١٩٤٣.

العلوم: فقد انكب بحماسة ولهفة على وضع تلك المؤلفات الطبية العربية، وابتدأها سنة ثلاث وثلاثين وتسعمئة وألف(١٩٣٣) بكتاب «موجز مبادئ علم الأمراض»، وكان لتلميذات القبالة والتمريض. وأتبعه بطبعة ثانية أضاف إليها ما هو ملائم لطلاب طب الأسنان، وفي العام ذاته أصدر كتاب «مبحث الأعراض والتشخيص» لطلاب الطب البشري. لقد آمن ومنذ عودته من أوربة وانخراطه في سلك التدريس، بأنه لابد من نقل علم الطب الغربي، بكلّ تطوراته الحديثة، إلى الطلاب العرب، وباللغة العربية. وآمن بعمق أن النضال في هذا السبيل هو النضال الحق، لأن العلم الحديث هو القادر على الارتقاء بالوطن السوري والوطن العربي إلى مراقي التقدم والازدهار، واستعادة أمجاد الحضارة العربية الإسلامية السابقة، ومواكبة الحضارة العالمية الحاضرة، ومواجهة تحديات العصر الصعبة. وهكذا انصرف، وخلال القسم الأعظم من حياته، لنقل علم الطب الغربي المتقدم إلى اللغة العربية. وسعى بدأب عجيب لتطويع اللغة العربية لمصطلحات ذلك العلم الغربي. وكان يقول بأن «اللغة العربية مع الاعتراف بأن ثمة اتجاهاً جديداً إلى إعادة المكان اللائق بها في الأبحاث العلمية الطبية، أرى أن يكون الاهتمام بها أكبر من ذلك، فالثقافة المراد تصديرها، ينبغي لها أن تُطبع بطابع البلاد، الذي يتجلى باللغة وحدها. وكل بلاد لا تماشي لغتها العلوم في ارتقائها لا تصلح لأن تكون مصدراً لتلك الثقافة؛ واللغة العربية لا ينقصها شرط من الشروط الواجب توافرها في اللغات

العلمية»[٣٢].

ولم يكن العمل سهلاً، إلا أنه بصبر وجلد يحسد عليهما، وبإرادته الصلبة التي تميز بها، تغلب على الصعاب. وكان أكثر ما اصطدم به أثناء تأليفه، هو المصطلحات الطبية الغربية، الجديدة بالطبع على اللغة العربية. فكان عليه أن يأخذ من اللغة العربية ما يقابلها معنى بالضبط والدقة، مع توخي ملاءمة تلك الألفاظ العربية لروح العصر، وأن تكون سهلة النطق، ولا يمجّها السمع، أو تثقل على الفهم. وكان عليه أن يبحث أيضاً في المفردات الطبية العربية السابقة، وأن ينتقي منها ما يراه منسجماً مع المصطلحات الجديدة. وفي الواقع «كان ما ثبَّت من تلك المصطلحات، ما نقله من غيره، ومنها ما اهتدى إليه باجتهاده، ومنها ما وضعه من ذات نفسه. وكان عمله هذا خدمة جلّى للعربية، ولعلم الطب، بل للعلوم عامة»[٣٣].

ولابد من الإشارة في هذا المجال، أن باب العمل في ميدان المصطلح العلمي العربي الطبي، قد سبق أستاذنا إليه عدد من المؤمنين باللغة العربية، وضرورة تمشيها مع علوم العصر، أكان ذلك في القاهرة، أم

(٣٢) من خطاب للأستاذ الراحل في مؤتمر القاهرة الطبي الثاني، نشر في مجلة «المعهد الطبي العربي» العدد ١٤، كانون الثاني سنة ١٩٣٩/ ٥٣.

(٣٣) من قول للأستاذ «عارف النكدي» في تقديمه للدكتور المرحوم «حسني سبح»، عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٤٦. مجلة المجمع، المجلد (٢١)، الجزء السابع والثامن/ ٣٧٥.

في دمشق، أم في بيروت أو بغداد[٣٤]. وفي دمشق بالذات، كان في الطليعة ثلاثة أساتيذ من كلية الطب[٣٥]. وهم الأساتيذ الدكاترة، «أحمد حمدي الخياط»[٣٦]، و«مرشد

(٣٤) د. حسني سبح: المعجمات الطبية وتوحيد المصطلح الطبي. مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. مجلد ٥٩ج٢/ ٢٣٠.

(٣٥) المصدر نفسه، ووردت هذه الحقيقة منسوبة إلى الدكتور سبح، على لسان رصيفه الدكتور ميشيل خوري في مجلة المجمع، المجلد ٤٦، ج٣/٥٨٥.

(٣٦) من أوائل الأطباء في دمشق ومن رؤسائهم. ولد في دمشق وتوفي فيها (١٣١٧-١٤٠١هـ/ ١٨٩٩-١٩٨١م)، تابع تخصصه في علم الجراثيم في فرنسة وألمانية، وكان يلم بعدة لغات. أنشأ أول مخبر للجراثيم بدمشق، ودرّس في المعهد الطبي العربي وكلية الطب لأكثر من أربعين عاماً. وكان نقيباً للأطباء. له عدة مؤلفات طبية عربية، وعمل في المصطلحات الطبية العربية. وضع مع الدكتور «مرشد خاطر» معجماً تابعه من بعده ابنه الدكتور «محمد هيثم الخياط». اشترك مع الدكتورين «مرشد خاطر» و«محمد صلاح الدين الكواكبي» في ترجمة معجم «كلير فيل» الفرنسي. كان عالماً بالتفسير والحديث، والفقه، واللغة العربية. انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق لكنه اعتذر.

- مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٥١/٦٥١-٦٥٩، حفل استقبال ابنه الدكتور هيثم الخياط عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٧٦.

- محمد عبد اللطيف صالح فرفور: أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري. دمشق ١٤٠٨هـ/١٩٨٧/١٠.

- عبد القادر عياش: معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين. دمشق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥/١٧٩ والمستدرك عليه/ ٤٨.

- عبد الغني العطري: حديث العبقريات. دمشق ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م/ ١٩٦-٢٠١

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

خاطر»[٣٧]، و«جميل الخاني»[٣٨].

– د. نزار أباظة ومحمد رياض المالح: إتمام الأعلام، بيروت ١٩٩٩ /٢٥.
– محمد خير رمضان يوسف: تتمة أعلام الزركلي مجلدان– بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨، المستدرك في المجلد الثاني/ ٢٤٨.

(٣٧) ولد من أسرة لبنانية سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٨، ودرس الطب في الجامعة اليسوعية، انتقل إلى دمشق ودرّس في «المعهد الطبي العربي»، وكان أستاذاً للجراحة. وقد أولع باللغة العربية. له أكثر من (١٥) خمسة عشر مؤلفاً في الطب. اشترك مع الدكتور «أحمد حمدي الخياط» بإنشاء معجم للمصطلحات الطبية، ولكنه توفي قبل إنجازه وذلك سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م، فقام الدكتور أحمد حمدي الخياط وابنه الدكتور هيثم الخياط بإكماله. أسند إليه إنشاء «مجلة المعهد الطبي العربي بدمشق»، وكان عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق.
– انظر ترجمته بقلم الدكتور «ميشيل خوري» في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٤٦، ج٣/ ٥٨١–٥٩٢.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣٨) محمد جميل الخاني، من أوائل الأطباء في دمشق، في الحقبة المعاصرة. مولده ووفاته بدمشق (١٣١٠–١٣٧١هـ/ ١٨٩٢–١٩٥٢م). درس في باريس العلوم الطبيعية والطب والرياضيات. كان طبيباً في الجيش العربي، وأستاذاً في المعهد الطبي العربي في دمشق. وانتخب رئيساً لنقابة الأطباء. كان له ولع باللغة العربية. صنف عدة مؤلفات في الطب، والطبيعة واللغة العربية، منها: «القطوف الينيعة في علم الطبيعة»، ثلاثة أجزاء، «والدر المتراصف في متن اللغة والمترادف». وكتب أبحاثاً في المجلات العربية والفرنسية. انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٤٠، وثُبّت فيه في ٢٨ شباط ١٩٤٢، واستقبل في ٢٦/٨/١٩٤٢، ولكنه استقال لأسباب خاصة في أيار ١٩٤٦، وصدر مرسوم بقبول استقالته تحت الرقم (٩٣) بتاريخ ١٦/٧/١٩٤٩.
–الزركلي، الأعلام، ٨ مجلدات (بيروت ١٩٧٩) ج٢/١٣٨.

ولقد استفاد أستاذنا من أبحاثهم، وأدلى بدلوه إلى جانبهم، وبقي مثابراً على العمل في هذا الحقل طيلة حياته، دون كلال أو ملل، حتى غدا مرجعاً رئيساً فيه، لا في سورية فحسب، وإنما في البلاد العربية الأخرى.

لقد قدم أستاذنا الراحل لعلم الطب العربي من المؤلفات ما يمكن أن يكون شبه موسوعة طبية عربية: ففي سنة خمس وثلاثين وتسعمئة وألف (١٩٣٥)، باشر بإصدار مجموعته الكبيرة لطلاب الطب البشري بعنوان «علم الأمراض الباطنة»، وتضمنت سبع مجلدات ضخمة، خصَّ كل واحد منها بشعبة من شعب «الطب الباطني». وقضى في تأليفها اثنين وعشرين عاماً، من عام خمسة وثلاثين وتسعمئة وألف إلى سنة ست وخمسين وتسعمئة وألف (١٩٣٥-١٩٥٦). وبدأها بأمراض الجملة العصبية، وأنهاها بأمراض الغدد الصم والتغذية والتسممات. وأضاف إلى هذه السلسلة، كتاب «فلسفة الطب أو علم الأمراض الباطنة». وشجع عمله هذا مدرسي كلية الطب وأساتذتها، ومدرسي وأساتذة العلوم الأخرى في الجامعة السورية (جامعة دمشق اليوم) على الاقتداء به. بل إنه هو نفسه عمل على دفع بعضهم في هذا الطريق عن طريق مشاركتهم التأليف. ولقد أطرى الطبيب الأستاذ «مرشد خاطر» هذا الاتجاه، أثناء تقريظه كتاب «موجز علم الأمراض الباطنة»، الذي ألفه أستاذنا الدكتور سبح مع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

= - بعض الوثائق من محفوظات أمانة سر المجمع العلمي العربي بدمشق في ملف الدكتور جميل الخاني.

المرحوم الدكتور «بشير العظمة»[٣٩](وهو من جزئين)، حيث قال: «لم يكتف الدكتور سبح بوقف نفسه على إعلاء شأن الطب، وتزيين خزائن الكتب العربية بمؤلفاته النفيسة، بل أراد أن ينفخ روح الجدّ والعمل والتأليف في زملائه ومساعديه، فوقع اختياره على شاب من أحدّ الشباب ذكاءً، وأشدهم جَلَداً، وأوسعهم علماً، وهو الدكتور «بشير العظمة»، الأستاذ المرشح للأمراض الباطنة في كلية الطب، ويد الأستاذ اليمنى في هذه الشعبة، فأدخله هذا المعترك، وشجعه على المضي في شق هذا الطريق الوعر، فكان هذا الكتاب. ويكفي القول عن هذا الكتاب بأنه تحفة نادرة سواء بإتقان اللغة، أو بجمال أبحاثه، أو بجودة طباعته ورسومه»[٤٠].

وفي نقد لبعض مؤلفات أستاذنا الراحل، علّق الدكتور الطبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣٩) من أطباء دمشق النابهين: وكان طبيباً للأمراض الصدرية، وسياسياً، وأديباً، وأستاذاً في كلية الطب. مولده ووفاته بدمشق (١٣٣١-١٤١٣هـ/١٩١٢-١٩٩٢م). له عدة مؤلفات في فنه ومنه «السل ومكافحته» و«أمراض جهاز التنفس». عيّن وزيراً للصحة أيام الوحدة السورية - المصرية، وألف الوزارة بعد الانفصال سنة ١٩٦٢. أسس «جمعية مكافحة السل». نال جائزة «توفيق شوشة» التقديرية سنة ١٩٩٢ بعد وفاته، وتسلمها ابنه نيابة عنه. له بعض مؤلفات أدبية، منها «مذكرات» و«حبل الهزيمة».

-عبد الغني العطري. مصدر سابق/ ١١٠-١١٧.

-أباظة ومالح: إتمام الإعلام، مصدر سابق/ ٥٣.

(٤٠) مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ٢٣، ج٢/ ٢٨٦-٢٨٧.

«أسعد الحكيم»[٤١] وهو من كبار الأطباء آنذاك بقوله: «فيه سهولة العبارة، وخيرة المصطلحات... وهو جامع لكل ما يحتاجه الطبيب الممارس، والطالب من المعلومات في هذا الفرع الطبي الحديث العهد باللغة العربية. وقد نهج فيه المؤلف نهج المؤلفات الفرنسية الحديثة: فبحث أولاً في كليات الأمراض العصبية من حيث الأسباب، والأعراض، والتشريح المرضي، والمداواة، وفحص المريض، ثم أتى على الجزئيات... وألمَّ بها إلماماً كافياً، ليس بالمطوّل ولا بالمقتضب، واختتم الكتاب بفهرسين: أحدهما للأبحاث والآخر للمواد، وبمعجمين للمصطلحات العلمية التي وردت في الكتاب، أحدهما من العربية إلى الفرنسية والثاني من الفرنسية إلى العربية، مما يسهل على المطالع سبيل البحث والمراجعة[٤٢]».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٤١) من كبار أطباء دمشق في حقل الأمراض النفسية. كان أستاذاً في كلية الطب، وعضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وعضواً سابقاً في الجمعية العربية الفتاة. له مقالات ومحاضرات منشورة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. ولد في دمشق وتوفي فيها (١٣٠٤-١٣٩٩هـ/ ١٨٨٦-١٩٧٩م) وكان إلى جانب كونه طبيباً، أديباً وله عدة روايات.

–محمد خير رمضان يوسف: تتمة أعلام الزركلي، مصدر سابق ج١/ ٧٠.

– مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. المجلد ٨/ ٤٢٠ والترجمة بقلم الأستاذ سليم الجندي. والمجلد ٥٤، ج٤/ ٦٩٥-٧١٩ وفيه كلمة الأستاذ المرحوم عدنان الخطيب في تأبينه، وكذلك مجلد ٦٥/ ١٧٧-١٧٩ ترجمته بقلم الدكتور محمد مروان محاسني عند استقباله عضواً عاملاً في المجمع في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٨٩.

(٤٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ١٤، الجزءان الثالث والرابع/ ١٦١-١٦٢.

وأضاف في مجال آخر قوله عن تلك المؤلفات بأنه «يتمشى فيها مع سير العلم ورقيه، كما أنه يراعي مقتضيات مصلحة الطالب والمراجع»(٤٣).

ولقد توّج مؤلفاته الطبية العربية تلك بحقل تأليفي جديد، قاده إليه عمله العلمي - اللغوي في تأليفه، وهو إنشاء معاجم طبية متخصصة كان يفتقد إليها الوطن العربي آنذاك، ومنها «معجم الألفاظ والمصطلحات الفنية لأمراض الجملة العصبية»، «ومعجم الأمراض الإنتانية والطفيلية»، «ومعجم أمراض التنفس». وعمل جاهداً في مراجعة «معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات» ونقده للدكتور الفرنسي «كليرفيل»، الذي قام بترجمته إلى العربية لجنة أخذت على عاتقها وضع معجم طبي شامل، يرمي إلى توحيد المصطلحات الطبية، ويكون مرجعاً يعتمد عليه؛ وتتألف من الأساتيذ الأطباء: الدكتور «مرشد خاطر»، و«محمد صلاح الدين الكواكبي»(٤٤)، و«أحمد حمدي الخياط». وقد عمل أستاذنا بدأب على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٤٣) المصدر نفسه، المجلد ٣٠/ ج٤/ ٦٥٤.

(٤٤) حلبي المولد والوفاة (١٣١٩-١٣٩٢هـ/١٩٠١-١٩٧٢م)، عالم في الكيمياء. تعلم بحلب ودمشق والآستانة، تخصص بالكيمياء الحيوية، وكان رئيس المخبر الكيميائي في «المعهد الطبي» بدمشق. انتقل إلى بغداد، وتولى التدريس في كلية الصيدلة فيها. وتابع عمله التدريسي في كلية الصيدلة بدمشق. له أكثر من عشرين مؤلفاً، منها «الدروس الكيمياوية» و«موجز الكيمياء الحيوية الطبية العملية» في ثلاثة أجزاء. وفي ميدان المصطلحات، له مؤلف «مصطلحات علمية». وانتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٣.

-الزركلي الأعلام (الطبعة الجديدة ١٩٧٩) ج٧/٩٧.

مراجعة المصطلحات العربية التي استخدمت في هذا المعجم، مصطلحاً مصطلحاً، مع التدقيق في معناه، واشتقاقه، وما تقوله المعاجم اللغوية العربية فيه، والمعجمات الطبية الأجنبية المختلفة في فحواه، ثم موازنته مع ما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة بشأنه، وما سبق أن شاع استعماله في كلية الطب بدمشق[٤٥]. وبلغ عدد تلك المصطلحات (١٤٥٣٤) أربعة وثلاثين وخمس مئةٍ وأربعة عشر ألف مصطلح. وأصدر دراسته المعمقة تلك في (٦٧) سبع وستين مقالة نشرت في مجلة «المجمع العلمي العربي بدمشق» خلال ثلاثة وعشرين عاماً، ابتداءً بالمجلد الرابع والثلاثين سنة تسع وخمسين وتسعمئة وألف (١٩٥٩) وانتهاءً بالمجلد السابع والخمسين سنة اثنتين وثمانين وألف (١٩٨٢). ثم جمعها في العام الأخير في كتاب بلغ عدد صفحاته خمسين ومئة وألفاً (١١٥٠)، تحت عنوان «نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات». ومع كل الجهد الذي بذله في هذا المضمار، فإنه نظر إلى عمله نظرة العالم الحق، عندما قال في آخره: «ولست أدّعي أني جئت فيما عرضت له بالقول الفصل، بل بأكبر ظني أني لو أتيح لي معاودة النظر بعد طول هذه المدة في هذا الذي

= - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٤٧، ج٤/٧٠٣-٧١٢ من ترجمة أعدها ابنه «نزيه الكواكبي».

- علي حيدر النجاري: الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي (١٩٠١-١٩٧٢) من بناة لغة العلوم. في مجلة العربي العدد ١٥٢/١٨٠.

(٤٥) د. حسني سبح: المعجمات الطبية وتوحيد المصطلح الطبي: مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. مجلد ٥٩، ج٢/٢٣٨-٢٣٩.

كتبت، لزدت أشياء واستدركت أشياء. إلا أني أرجو أن أكون بما صنعت، قد أسهمت إسهاماً ضئيلاً في وضع مصطلحات الطب، وأن أكون قد ذللت بعض المصاعب، لأن الطريق طويل، والحاجة إلى متابعة العمل، وتضافر الجهود فيه ستظل قائمة مادام العلم في تطور ونمو»[٤٦].

ولقد أسهم أستاذنا الراحل أيضاً، عضواً رئيساً في وضع «المعجم الطبي الموحد» الأخير، الذي أقرته «منظمة الصحة العالمية»، وأسهم فيه «مجلس وزراء الصحة العرب»، و«اتحاد الأطباء العرب»، و«منظمة الأليسكو». وبذلك يكون قد حقق قسطاً مما هدف إليه في حياته، وعمل له بشغف وعزم، وهو توحيد المصطلحات الطبية وانتقاؤها على أسس صحيحة.

وإلى جانب هذه التآليف الطبية الكثيرة، واللغوية الطبية الكبيرة، قدّم الأستاذ الراحل، طيّب الله ثراه، مقالات متعددة، نشر بعضها في مجلات فرنسية، وأكثرها في مجلات علمية عربية، كمجلة «المعهد الطبي العربي» التي غدت «المجلة الطبية العربية»، ومجلة «المجمع العلمي العربي بدمشق». وقد بلغ عددها (١٥٧) سبعاً وخمسين ومئة مقالة، كان نصيب «مجلة المعهد الطبي العربي» منها، (٤٨) ثماني وأربعين مقالة[٤٧]، ومجلة «المجمع العلمي العربي» (١٠٩) تسعاً ومئة مقالة. ولم تقتصر تلك

---

(٤٦) المعجمات الطبية وتوحيد المصطلح الطبي. مصدر سابق/ ٢٣٩.

(٤٧) د. عدنان التكريتي، المصدر السابق/٧، هامش (٩)، ومنها (٣٢) اثنتان وثلاثون مقالة طبية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقالات على النواحي الطبية، وقضايا المصطلحات واللغة العربية، والتعريب فحسب، وإنما تجاوزتها إلى أمور ثقافية أخرى، تدل على مثابرة على المطالعة المتنوعة، ومتابعة كل جديد في مختلف حقول المعرفة، كما تظهر منهجية علمية في معالجة الموضوعات المختارة وفكراً نقدياً. وقد ساعده على ذلك أسفاره إلى أوربة والبلاد العربية، واحتكاكه المباشر بالعالم الخارجي. ومن أبرز المقالات في هذا الميدان الثقافي العام، مقالته المطوّلة التي دوّن فيها ملاحظاته الدقيقة والقيّمة عن «الاتحاد السوفيتي»، عندما قام بزيارته له مرتين: الأولى سنة أربع وخمسين وتسعمئة بعد الألف، ولمدة شهر كامل، إثر دعوة «مجمع العلوم السوفيتي» للمجمع العلمي العربي بدمشق، للاطلاع على النشاط العلمي السوفيتي ومؤسساته العلمية والثقافية، وعلى حياة الشعب السوفيتي، وكانت من ٣١ تشرين الأول حتى الثلاثين من شهر تشرين الثاني ١٩٥٤م؛ والثانية سنة ست وخمسين وتسعمئة وألف، وفي الثلاثين من شهر تشرين الثاني، مرافقاً لسيادة رئيس الجمهورية السورية آنذاك، المرحوم «شكري القوتلي»[٤٨]

---

(٤٨) أول زعيم وطني سوري تولى رئاسة الجمهورية السورية. دمشقي المولد والأسرة (١٣٠٨-١٣٨٧هـ/ ١٨٩١-١٩٦٧م). عمل بنشاط في الحركة القومية العربية أيام الحكم العثماني، وفي الحركة الوطنية السورية تجاه الانتداب الفرنسي. انتخب في ١٩٤٣/٨/١٧ رئيساً للجمهورية، وفي عهده جلت فرنسة عن سورية سنة ١٩٤٥م. ثار عليه «حسني الزعيم»، وأكره على الاستقالة واعتقل، ثم انتخب رئيساً للجمهورية سنة ١٩٥٥م، وتنحى عن الرئاسة بعد إعلان الوحدة السورية - المصرية سنة ١٩٥٨م، وغادر دمشق بعد الانفصال ١٩٦١، واستقر =

بصفته طبيبه الخاص، وقضى خلالها أسبوعين فيه. وكانت تلك المقالة بعنوان «ما سمعت ورأيت في بلاد السوفييت»، ونشرت مسلسلة في مجلة «المجمع العلمي العربي بدمشق»[٤٩]. وكأني به قد أراد أن يدرج على خطى علمائنا الرحالة العرب السابقين، الذين كانوا يدونون كل ما يرونه في رحلاتهم التي يقومون بها، ليثبتوا لأنفسهم ما رأوه، وما سمعوه، ومن التقوا به من العلماء، والأدباء والساسة، وليفيدوا قارئيهم بما تزودوا به من معلومات. فلم يرد أن يحتفظ لنفسه فقط بالمعرفة التي حصل عليها من زيارتيه، بل أراد أن يُشرك بها كلَّ من يقرأ، وفي الوقت نفسه تبقى مصدراً هاماً مباشراً وموثوقاً للأجيال، عملاً بقول الشاعر: (البسيط)

وإنما العالمُ المِفضالُ عن ثقةٍ مَنْ علَّم الناسَ لا مَنْ وحدَه عَلِما

ومن المقالات الأخرى التي تدل على تحليل موضوعي نقدي، ونهج علمي موثق، مقالته عن المستشرق الفرنسي، وكبير مستعربي القرن العشرين، «لويس ما سينيون» الفرنسي، بمناسبة مرور مئة عام على ميلاده (١٨٨٢)، وذلك سنة اثنتين وثمانين وتسعمئة بعد الألف، تحت عنوان:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

= في بيروت، وتوفي فيها، ودفن في دمشق.

الزركلي: الأعلام الطبعة الأخيرة - دار العلم للملايين. بيروت ١٩٧٩، ٨أجزاء، ج٣/١٧٢-١٧٣.

(٤٩) مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد (٣١)، ج٣/ ٤١٦-٤٢٦ - ج٤/٥٨٦-٦٠١. المجلد (٣٢)، ج٣/٤٧٨-٤٩١ والمجلد (٣٣)، ج١/٨٠-٩٥، وج٢/٢٧٠-٢٧٧، وج٣/٤١٩-٤٢٣.

«خواطر وسوانح وعِبَر في إحياء ذكرى مستشرق»[٥٠]. وكان فيها تنبيه خفي إلى الدور الذي كان يؤديه بعض المستشرقين المتقربين من علماء العرب والمقربين منهم، لصالح دولهم الأوربية، على حساب الأوطان العربية.

وفي سنة (١٩٤٦) ست وأربعين وتسعمئة بعد الألف، ومع رحلته عبر الإدارة، والتدريس، والتأليف، والتطبيب، اختير عضواً عاملاً في «المجمع العلمي العربي بدمشق» وتم انتخابه في الثالث من كانون الثاني ١٩٤٦، وصدر المرسوم الجمهوري رقم (٨١) بتاريخ ١٩ كانون الثاني من العام نفسه بتثبيته. وكان آنذاك رئيساً للجامعة السورية، ليحل محل المرحوم الأستاذ «أديب التقي»[٥١]. وقد قدمه الأستاذ «عارف النكدي»[٥٢]، العضو العامل في المجمع، عند استقباله، بقوله: «خليق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥٠) المصدر نفسه، المجلد(٥٩)، ج٣/ ٤٤٧-٤٦٢، وج٤/٦٧٧-٦٩١.

(٥١) أديب وشاعر سوري (١٣١١-١٣٦٥ هـ/١٨٩٣-١٩٤٥م). نال إجازة الحقوق من الجامعة السورية. له عدة مؤلفات منها: سير العظماء، ونهضة اليابان السياسية والاجتماعية. وألف كتاباً عن «الشريف الرضي» كان يود أن ينال عليه درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة. عمل في تدريس اللغة العربية وآدابها في ثانويات دمشق.

– انظر ترجمته في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد (٢١)، الجزءان السابع والثامن/ ٣٦٩-٣٧٢، والترجمة بقلم الدكتور «حسني سبح».

(٥٢) ولد في عبيَّة في لبنان، ودرس في بيروت (١٣٠٤-١٣٩٥هـ/١٨٨٧-١٩٧٥م). وهو من كبار الأسر الدرزية في لبنان (آل نكد). نال ما يعادل إجازة =

بصاحب هذا المنصب العلمي الخطير، وهو يشرف على تثقيف أبناء الأجيال القادمة في دراستهم العليا، أن يكون في جملة أعضاء المجمع العلمي، ولاسيما متى اجتمع فيه من مزايا العلم وخدمته، والعمل في التأليف والتعليم ما اجتمع فيه»(٥٣).

وكما نذر نفسه للعمل الجاد في المجالات التي دخلها، فإنه اتبع النهج ذاته في المجمع مع أخوانه. فسعى بكل أمانة وإخلاص إلى تحقيق أهداف هذا المجمع. ولم يتوقف خلال أربعين عاماً عن متابعة قضية المصطلحات العلمية ولاسيما الطبية منها. وازداد إيمانه عمقاً باللغة العربية ودورها الفاعل في حياة كل العرب، وبمهام المجمع في الحفاظ عليها وتنميتها، والارتقاء بها، وصدّ كل هجوم مغرض عليها، وما أكثره! وكان في كل حفل يلقي كلمة فيه، وفي كل مناسبة علمية يدعى إليها، يؤكد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

= المحاماة. عمل في عدة مناصب قضائية في لبنان وسورية. وفي سورية بالذات كان رئيساً لمجلس الشورى، ومحافظاً لجبل العرب. كان يتقن العربية والفرنسية. أصدر في دمشق جريدة «الأيام». له مواقف سياسية عربية قومية مشرّفة. له عدة مؤلفات، منها «القضاء في الإسلام» و«بنو معروف في لبنان». اختير عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق.

- انظر ترجمته في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد (٥٠)، ج٢/٢٥٣-٣٠٢- والمجلد (٦٤)/ ٤٧٨-٥٢٦ بقلم الدكتور «إحسان النص» عند استقباله عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق، خلفاً للأستاذ «النكدي».

(٥٣) مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد (٢١)، الجزءان السابع والثامن/ ٣٧٤.

هذا الإيمان. وقد تبدى هذا واضحاً في كلمته التي ألقاها بمناسبة الاحتفال الخمسيني لمجمع اللغة، حيث قال: «لقد أثبت هذا المجمع خلال رحلته الطويلة والصعبة، بأنه ظل ملتزماً بالأهداف التي رسمها لنفسه. وأنه أكد في أذهان الناس وقلوبهم على السواء، أن اللغة العربية ليست شيئاً من الأشياء التي يمكن أن تؤخذ أو أن تُترك، ليست هي البِدْعَ الذي يمكن أن تُقبل عليه أو تنصرف عنه. ليست هي بقية من الماضي، ولا أطلالاً من أطلاله، وإنما هي هذا الجوهر الخالص الذي يصون حياة هذا المجتمع العربي من أن يذوب، والذي يحفظ وجوده من أن يتبدد، والذي يمد هذا الوجود بأسباب أصالته وتميزه... لقد أقر المجمع في أذهان الناس وقلوبهم، وسط كل العواصف السياسية والاجتماعية التي مرّ بها الوطن، وبعيداً عن التلون بها، أن العربية هي طريق هذا الجيل من الناس إلى وجوده السليم والصحيح المتفرد»(٥٤) ... «لقد نمت هذه اللغة، ووضعت فيها أسماء لمسميات حديثة العهد في حياتنا الحضارية، ومصطلحات في شتى الشؤون العلمية والفنية، وبذلك تجاوز عمل المجمع لغة الدولة إلى لغة الحياة والعلم... واجتازت هذه المسميات والمصطلحات امتحان الزمن، ومرت من مصفاته الدقيقة التي أكسبتها الطلاوة والذوق، وحسن الجَرْس في السمع، والوقع في الأذن، لتبقى بعد ذلك أبداً، ينتفع بها الناس ويتفاهمون. لقد كان المجمعيون، ومن حولهم

(٥٤) مجلة المجمع، المجلد ٤٥، ج١/٤-٥. من كلمة للدكتور حسني سبح في الاحتفال بمرور خمسين عاماً على تأسيس المجمع العلمي العربي بدمشق.

من أخواننا الجامعيين، هم الذين وضعوا كل هذه الآلاف من المصطلحات، في نطاق الطب، والصيدلة، والفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والحقوق، أو أحيوها، وأتاحوا بذلك للّغة العربية أن تكون لغة العلم والمعرفة... لقد طارد المجمعيون وأخوانهم من الجامعيين خرافة ضعف اللغة العربية عن أن تكون لغة العلم، وظهروا على الناس بطوائف ضخمة من الكتب العلمية في كل ضرب من ضروب المعرفة، وكانوا على سباق مع الزمن، فنجحوا في هذا السباق، وأكدوا عن هذا الطريق، أن لغة الثقافة لا يمكن أن تكون اللغة المفروضة من خارج الحياة العربية؛ فاللغة المفروضة كالأعضاء المزروعة مرفوضة، ومنتهية إلى الرفض، وما لم تكن لنا لغتنا، فلن تكون لنا ثقافتنا الأصيلة»[٥٥].

وفي سنة (١٩٦٨) ثمان وستين وتسعمئة وألف، انتخب رئيساً للمجمع وثُبِّت[٥٦]، تقديراً لخدماته الجلّى للعلم، واللغة العربية، ولسجاياه الفاضلة. وأعيد انتخابه مرة بعد مرة، وكل أربع سنوات، اعتزازاً بإدارته الحكيمة، وحافظ على منصبه المشرِّف هذا، حتى وافته المنية في آخر يوم من سنة (١٩٨٦) ست وثمانين وتسعمئة وألف، وهو في نشاطه المعتاد.

لقد ناضل وهو رئيس للمجمع، كما ناضل وهو عضو عامل، ومع إخوانه، لتكوين «اتحاد المجامع العربية»، ولتوحيد الجهود في صيانة اللغة

---

(٥٥) المصدر نفسه/ ١٠.

(٥٦) رقم المرسوم وتاريخه: ١٤٠٦، ١٣٨٨/٣/٣٠هـ/ ١٩٦٨/٦/٢٦. ونشر في الجريدة الرسمية في العدد(٣٣) تاريخ ١٩٦٨/٧/٣١/ ص ١١٠٨١.

والذبّ عنها. كما جهد لإقناع أعضاء تلك المجامع بضرورة اتخاذ العربية «لغة التعليم العالي» كما هو الحال في سورية. وعمل بكل طاقاته مع تلك المجامع لتوحيد المصطلحات العلمية، ومواكبة التطورات العلمية الغربية في كل مجال، وكان واعياً تماماً سرعة التطورات العلمية في كل باب، وكيف أن على المجامع اللغوية العربية مجابهتها بما تحتاجه من مصطلحات، وبصفة خاصة في حقل المعلوماتية والاتصالات. ونبّه أن عليها أن تستفيد منه أيضاً، وما يمكن للحاسوب أن يقدمه في هذا المجال(٥٧). وكان يؤكد أن تعريب العلوم الغربية «ليس طفرة أو عداء للغات الأجنبية، فليس هناك من ينكر ضرورة الاتصال، أقوى الاتصال، باللغات الأجنبية، ولكن ليكن اتصال الأقوياء بالأقوياء، لا اتصال الضعفاء بالأقوياء...» وأضاف: «ليس ما نقوله بدعاً من الأمر، وإذا كنا نتنكر للتاريخ ونتجاهل الماضي، فإننا لا نستطيع أن ننكر الحاضر وأن نجهله. ففي الحاضر الواقع أمثلة حية في الشرق الناهض: في اليابان وفي الصين، وفي الغرب الناهض، تعطي مثل هذا القرار كل مؤيداته السليمة الحقة، بل إن في جوارنا، في المنطقة المحتلة من فلسطين مثلاً آخر... إذ يعمل المحتلون على إحياء اللغة العبرية التي أوشكت أن تندثر، ليجعلوا منها لغة الحياة والعلم»(٥٨).

(٥٧) مجلة المجمع، المجلد ٥٩، ج٢/٢٤٢-٢٤٤ من مقال «المعجمات الطبية وتوحيد المصطلح الطبي».

(٥٨) المصدر نفسه، المجلد (٤٥)، ج١/١٢.

وأبدى اهتماماً واضحاً بـ «مجلة المجمع» التي هي صوت علمي من أصواته الهامة، وإحدى صلات الوصل بينه وبين الجماهير العربية المثقفة والعالمة، وبينه وبين العالم الخارجي الذي يقرأ العربية ويفهمها، لتبقى محافظة على مستواها العلمي الرصين، الذي قدره حق قدره العلماء العرب، والمستعرَبون، والمستشرقون بصفة خاصة. فتم رفدها بالدراسات والبحوث العلمية، واللغوية الجديدة، والأدبية، الوافدة من الأقطار العربية والبلاد الأجنبية. وظل باب النقد، والرأي العلمي مفتوحاً فيها، لما كان ينشر من نتاج لغوي وأدبي وتراثي وغيره في العالم العربي وخارجه.

ومنح المهمة الرئيسة من مهام المجمع، وهي «إحياء التراث»، ونشر الكنوز الثمينة من المخطوطات العربية والتعريف بها، بعد أن يتم تحقيقها تحقيقاً علمياً دقيقاً، حقَّها من العناية والرعاية، فنُشر من تلك المخطوطات ما يغني الثقافة اللغوية، وما يمد الدراسات الأدبية والتاريخية بمصادرها الأولى والرئيسة؛ ويمكن الرجوع إلى مجلة المجمع لتعرف ما نشر في كل سنة من السنوات. وعلى هذا الصعيد، استئنف العمل في نشر مخطوط «تاريخ دمشق» «لابن عساكر»، بعد أن كان قد توقف[٥٩].

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥٩) المصدر نفسه، المجلد (٤٩)، ٢٢٤-٢٣٠. ورد هذا ضمن التقرير السنوي للأمانة العامة للمجمع، عن أعمال المجمع، دورة ١٩٧٢-١٩٧٣، وفي مشروعاته لعام ١٩٧٣-١٩٧٤. ولقد أسهمت المرأة بجد ونشاط وإخلاص في هذا السبيل، إذ قامت الأستاذة «سكينة الشهابي» بالانكباب على تحقيق هذا السفر الكبير. فمن ثلاثة وعشرين مجلداً صدرت محققة من تاريخ العودة للنشر وحتى الوقت الحاضر (٢٠٠١م)، كانت حصة الأستاذة شهابي من ذلك التحقيق (١٥) خمسة عشر مجلداً.

ونالت «المكتبة الظاهرية» المرتبطة بالمجمع، قسطها هي الأخرى من الرعاية، فزودت بالجديد من المؤلفات لإفادة الباحثين والقراء من الجمهور.

ولم يُبْعِد عن ناظره الآثار والمؤتمرات الأثرية في العواصم العربية، لأنه من المعروف أن الانطلاقة الأولى لجمع الآثار والعناية بها في سورية، كانت من المجمع عند تأسيسه، وبقي أمر الاهتمام بها حتى استقل هذا الحقل في مؤسسة خاصة به(٦٠).

وبكلمة جامعة، سعى الأستاذ الراحل، وهو عضو عامل في هذا المجمع الموقر، وهو رئيس له، لتحقيق أهداف المجمع، بالتعاون مع أعضائه العاملين، وموظفيه، وفي تطويره ليستجيب للمتطلبات المتجددة. وبذل معهم جهداً كبيراً لإنشاء البناء الحديث الحالي له، بعد أن كان مقره في «المدرسة العادلية». ونجح مع أخوانه في توسيع ملاكه، ورفع سقوف الوظائف العلمية - الإدارية فيه، ووضع وإياهم مشروع «نظام أساسي جديد» يلبي الحاجات الجديدة للمجمع، ويعينه على تأدية مهماته بشكل أفضل. ولم يتوان عبر الندوات والمؤتمرات، والاتصالات المتنوعة التي قام بها، عن التواصل والتعاون الوثيق بينه وبين مختلف المؤسسات العلمية، والثقافية واللغوية، في سورية، والبلاد العربية، والإسلامية، والعالمية، حتى اكتسب المجمع سمعة زكية الأريج، في جميع الأوساط التي تم الاحتكاك بها.

---

(٦٠) مجلة المجمع، مجلد(٤٥)، ج١/٧.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد يكون من أعمال الأستاذ الراحل، التي تمجده، الجهود الشاقة التي بذلها ليتم إنشاء «مستشفى المواساة» في دمشق، متعاوناً مع ثلّة طيبة وخيّرة من أبناء دمشق. فقد جدّ بكل طاقاته ليجعل هذا المشروع الكبير يرى النور، في وقت كانت فيه دمشق تفتقر إلى وجود مثل تلك المؤسسات الصحية الكبيرة، التي يمكنها أن تهيئ للمواطنين سبل العلاج الطبي السليم والمتقدم. ويذكر الأستاذ الدكتور «أنس سبح»، أن والده كان يردد دوماً: «لو أردت أن أكتب ما قاسيته في سبيل إنشاء هذا المستشفى لكتبت مجلدات». وتقديراً لجهوده تلك انتخب ومن الجلسة الأولى للهيئة التأسيسية، سنة ثلاث وأربعين وتسعمئة وألف، رئيساً للهيئة الإدارية، وبقي قائماً عليها حتى الثاني عشر من شهر آب (أغسطس) سنة (١٩٧٥) خمس وسبعين وتسعمئة بعد الألف. وسعى خلال تلك المرحلة لضم ذلك المستشفى إلى الجامعة السورية، ونجح في ذلك سنة (١٩٥٦) ست وخمسين وتسعمئة وألف[٦١].

ومن الطبيعي أن يحمل الأستاذ الراحل، وتلك أعماله المشرّفة، الصفات الخلقية المتناغمة مع تلك الأعمال. فمن المعروف عنه أنه كان عظيم الثقة بنفسه، دؤوباً على العمل، لم يصرف نفسه عنه مهما كانت الظروف، وحتى الساعات الأخيرة من حياته. وكان شديد العقلانية، صلب

(٦١) انظر مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد (٢١)/٨٩-٩٥ حفل وضع الحجر الأساسي لمستشفى المواساة بدمشق - د. تكريتي: مصدر سابق/٩ ود. شاكر الفحام، مصدر سابق/ ١٦٩.

الإرادة، يعمل بصمت، وهمة، وعزم، وجَلَد. وقد أكد من عرفه وزامله أنه كان بسيطاً في حياته، بعيداً عن التكلف والتصنع، ينبذ المظاهر ويتعلق بالجوهر. وقد وصفه الأستاذ المرحوم «عارف النكدي»، عندما قدمه عضواً عاملاً في المجمع، بقوله: «لقد اشتهر بإخلاصه لفنه الطبي إخلاصاً يسمو به عن روح المتاجرة، وبالصراحة التي تبعده عما يقع فيه كثيرون من الرغبة في التبجح ومن الميل إلى الظهور. فأخلاقه أخلاق العلماء، وتواضعه تواضع من يعرف قدر نفسه وقيمتها، فلا يبالي بمظهر كاذب ولا دعوى فارغة»[٦٢].

ويؤكد ابنه أنه كان يخفي وراء وقاره وصرامته، عاطفة قوية، كانت تتجلى بصفة خاصة في محيط أسرته، ولاسيما مع أحفاده. ومع كل عقلانيته العلمية، كان متذوقاً للأدب والشعر، وكان يردد الكثير مما حفظه منه في المناسبات التي تستدعي ذلك. كما كان بحسب شهادة ابنه أيضاً، حاضر البديهة والنكتة، وتتبدى هذه في جلساته الخاصة مع أصدقائه، الذين عُرف بوفائه لهم.

وقد يعجب من يتتبع ما قام به الأستاذ الراحل من جلائل الأعمال، التي تخللتها وكانت منها أسفار كثيرة، لحضور المؤتمرات، والندوات المحلية والعربية والعالمية، والتي زخرت بكلمات ألقاها في كثير من المناسبات العلمية، والأدبية المتنوعة، كيف تسنى له أن ينجزها كلها على أحسن وجه. ولكن قد يبطل العجب، إذا تتبع دقائق حياته. فقد قال عنه

(٦٢) مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد (٢١)، الجزء السابع والثامن/ ٣٧٦.

زميله الدكتور «مرشد خاطر» عندما كان الأستاذ الراحل رئيساً للجامعة السورية: «بأنه كان لا يُضيع دقيقة واحدة من يومه إلا في العمل النافع المجدي، فهو ينظم ساعات عمله تنظيماً دقيقاً: فيقوم برئاسة الجامعة السورية، وما تتطلبه إدارتها الواسعة من الوقت بعد أن افتتحت فيها كليات أربع جديدة، ويرأس الدروس السريرية الباطنة في كلية الطب، ويلبي طلبات مرضاه الكثيرين، الذين يتهافتون على عيادته للاستفادة من علمه الوافر. ويصرف ساعات ليله وصباحه الباكر في التأليف والمطالعة، وهو يقوم بهذه الأعمال المرهقة مثابراً عليها منذ عدة سنوات وبدون ملل ولا كلال، فلا عجب إذا أتحفنا في كل مدة بثمرة يانعة من ثمار جده» (٦٣).

ويؤكد ابنه الدكتور الطبيب «أنس سبح»، هذا النهج الحياتي الدقيق والمنظم الذي استنه والده لحياته. وقد هيأت له الأجواء الأسرية هذا الانكباب النادر على العمل والانصراف الكلي له. إذ تقبلت أسرته المؤلفة من الزوجة وأربعة أولاد: اثنين من الذكور واثنين من الإناث، هذا النسق من الحياة، الذي تستند إلى مبدأ: لكل وقت عمل، ولكل عمل وقت. وبذلك توافر للأولاد بصفة خاصة الجو الملائم للنمو السوي، والنجاح في الدراسة والحياة. فابنه الكبير برع في الهندسة وتخرج دكتوراً فيها، وغدا أستاذاً مرموقاً في الجامعة الأمريكية ببيروت، وابنه الثاني اتبع خطوات أبيه في ميدان الطب، وغدا الأستاذ الطبيب اللامع في كلية الطب بدمشق، والفتاتان تابعتا دراستهما العالية، ووفقتا في العمل والحياة.

---

(٦٣) المصدر نفسه، المجلد (٢٣)، ج٢/٢٨٥.

إن تلك الجدية المنظمة في الحياة والعمل، التي قد تبدو قاسية ومتعبة، لم تمنع الأستاذ الراحل من الاستمتاع ببعض الراحة المنسقة أيضاً: فقد رتب زمناً للترويح عن النفس، ولقاء الأصدقاء: ففي كل يوم جمعة، كان يلتقي أخواناً له يشاركونه القنص، ويؤكد ابنه أنه كان صياداً ماهراً. وفي كل أسبوعين مرة، وفي يوم الخميس بالذات، ومساءً بعد الانتهاء من عيادته، كان يلتقي حلقة أخرى من الخلاّن، يتسامر وإياهم، ويقرؤون في سمرهم كتاباً، قد يكون تراثياً، ويحمل بصفة خاصة الدعابة والسرور. ومن المؤلفات المحببة إليه وإليهم كان كتاب «البخلاء» للجاحظ. وكان ضمن أفراد هذه الحلقة، «آل عبيد»، أصحاب المكتبة المشهورة بدمشق، ولعلهم كانوا يزودونه بالجديد من المطبوعات المفيدة وأخبارها. وقد نظم أحدهم قصيدة شعر في مدح الأستاذ الراحل، يحتفظ بها ابنه الدكتور «أنس» مؤطرة في عيادته. وهناك حلقة ثالثة من الرفاق، كان يلتقيها رحمه الله، وتضم بعض زملائه من الأطباء، وتنعقد بين الفينة والفينة، ويتداولون فيها همومهم المهنية، واهتماماتهم العامة[٦٤].

ولقد نال أستاذنا العليم، تقدير جميع الهيئات العربية والأجنبية التي اتصل بها عبر أعماله، وكوفئ على إنجازاته وجهوده الكبيرة بوفرة من الأوسمة: فقد منح «نوط الشرف السوري» (سنة ١٩٤٠)، و«وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى الممتازة» (سنة ١٩٥٥) و«نيشان

(٦٤) مقتبس من أقوال ابنه الدكتور «أنس سبح» في المقابلة التي جرت معه وأشير إليها سابقاً.

المعارف المصري من الطبقة الثانية» (سنة ١٩٣٩)، و«وسام المعارف الإيراني من الدرجة الأولى» (سنة ١٩٤٥)، و«وسام الجمهورية المصري من المرتبة الثانية» (سنة ١٩٥٨)، و«وسام الكوكب الأردني من الدرجة الثانية» (١٩٥٦) (٦٥).

ومن مظاهر التشريف الأخرى التي حظي بها، اعترافاً بجميل صنعه وعلمه، اختياره عضواً في عدد من المؤسسات العلمية واللغوية: فكان عضواً مراسلاً في «مجمع اللغة العربية في القاهرة» (سنة ١٩٥٦)، فعضواً عاملاً فيه (سنة ١٩٨٦)، وضُمَّ عضواً في «المجمع العلمي الهندي» (سنة ١٩٨٦)، وعضواً مؤازراً في «المجمع العلمي العراقي» (١٩٦٩)، وعضو شرف في «مجمع اللغة العربية الأردني» (سنة ١٩٨٥)، وعضواً في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت في الأردن» (سنة ١٩٨٤)، وعضواً في الاتحاد الدولي لداء السكري (١٩٨٠)، وعضواً في «أكاديمية نيويورك للعلوم» (سنة ١٩٨٢)، وعضواً في «مجلس الأمناء لجهاز التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الإسلامية في تونس» (سنة ١٩٨٣)، وعضو شرف في «الجمعية السورية لتاريخ العلوم» (معهد التراث العلمي العربي - جامعة حلب) (١٩٨٤) (٦٦).

---

(٦٥) من ترجمة مكتوبة لحياة الدكتور حسني سبح قدمها موجزة ابنه الدكتور أنس سبح، وبخطه وحصلتُ على نسخة منها وهي واردة في نهاية هذه الدراسة.

(٦٦) د. شاكر الفحام. فقيد المجمع. مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، العدد (٦٢)/ ص١٧٤.

تلك شذرات من سيرة سلفي، أحد كبار شيوخ الطب والتعريب في عصره. وإنها لسيرة حافلة بالعلم، والعمل، والعطاء، والإيمان اللامحدود بلغتنا العربية ودورها في حياتنا القومية، وفي صيرورتنا المستقبلية. وإنني لأعترف أن ما طرحته فيها، هو كما قال أحد كبار أدبائنا القدماء «نقطة من يمّ، وحصاة من ثَبير، وقليل من كثير، والنبيل من قاس الشيء بنظيره، واستدل على الكثير بيسيره». واسمح لي أيها الحفل الكريم أن أختم هذه السيرة العطرة، بثلاثة أبيات من عشرة، أَبَّن بها الرصيف الأستاذ الجليل الدكتور «عبد الكريم اليافي»، أستاذنا الكبير، عندما رحل عن هذه الدنيا في الواحد والثلاثين من شهر كانون الأول سنة ست وثمانين وتسعمئة وألف (١٩٨٦)، قائلاً: (الوافر)

نؤبِّنه (وأقول نترجمه) ونُكْملُ ما بناه ... ويَعْصِرُ حبَّةَ القلبِ الخُشوعُ
مضى عَبِقَ الشمائلِ والمزايا ... طَوالَ العُمْرِ يَحْمَدُه الجميعُ
مآثرُه كثيرٌ ليس تُحصى ... ففي الجنّاتِ مَنزلُه رفيعُ

وأجمل التحايا لكم، والسلام عليكم.

ود. أنس سبح: ترجمة حياة الأستاذ الدكتور حسني سبح (بخط يده، غير مطبوعة ولا منشورة).

ترجمة حياة المرحوم الأستاذ الدكتور حسني سبح في سطور

بقلم ابنه الدكتور «أنس سبح»:

-ميلاده في دمشق سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م

- وفاته في دمشق في ٢٩ ربيع الثاني ١٤٠٧هـ/ ٣١ كانون الأول ١٩٨٦م.

الدراسة:

-تلقى تعليمه في مدرسة خاصة وفي «مكتب عنبر» بدمشق.

-١٩١٣ انتسب بعد مسابقة إلى «المكتب الطبي العثماني» في دمشق.

-١٩١٩ تخرج طبيباً من «المكتب الطبي العثماني» في دمشق وبيروت، ومن «المدرسة الطبية العربية» في دمشق.

-١٩٢٥ حاز على شهادة الدكتوراه في الطب (الإجمالي - الكولكيوم) من جامعة لوزان في سويسرة.

- سافر عدة مرات إلى أوربة للاطلاع، فزار باريس في السنوات ١٩٢٤ و١٩٢٩، و١٩٣٢، ١٩٣٧، و١٩٤٧، وبرلين في السنتين ١٩٢٨ و١٩٣٨، ولندن ١٩٤٧.

المناصب التي شغلها في كلية الطب والجامعة:

-١٩٢٠ «عيّن معاوداً في «المعهد الطبي العربي» (كلية الطب فيما بعد).

-١٩٢٣ عيّن مساعداً في «المعهد الطبي العربي»، ودخل في عداد الهيئة التدريسية.

-١٩٣٢ أصبح أستاذاً للأمراض الباطنة وسريرياتها في «المعهد الطبي العربي».

-١٩٣٨ انتخب عميداً لكلية الطب.

-١٩٤٣ عيّن رئيساً للجامعة السورية (جامعة دمشق) للمرة الأولى مع احتفاظه بكرسي التدريس في كلية الطب.

-١٩٤٦ سُرِّح من رئاسة الجامعة وعمادة كلية الطب والتدريس.

-١٩٤٧ أعيد تعيينه رئيساً للجامعة السورية للمرة الثانية.

-١٩٤٩ استقال من رئاسة الجامعة ومن التدريس.

-١٩٥١ عُيِّن أستاذاً للأمراض الباطنة وسريرياتها في كلية الطب.

-١٩٦٠ أحيل على التقاعد ومددت خدمته حتى آخر السنة.

-١٩٦١ مددت خدمته التدريسية خمس سنوات متتابعة.

-١٩٦٦ عُيِّن أستاذاً لأمراض الغدد الصم والسريريات الطبية بالتعاقد سنتين متتاليتين.

-١٩٦٧ انقطع عن التدريس في كلية الطب في ١٩٦٧/٧/١.

خدماته في مجمع اللغة العربية:

-١٩٤٦ انتخب عضواً عاملاً في «المجمع العلمي العربي» بدمشق (مجمع اللغة العربية اليوم).

-١٩٦٨ انتخب رئيساً لمجمع اللغة العربية لأربع سنوات، وأعيد انتخابه مرة بعد مرة حتى وفاته في ١٩٨٦/١٢/٣١.

نشاطاته الأخرى:

-رأس «جمعية المواساة السورية» (٢٠ أيار ١٩٤٣)، التي بنت مستشفى المواساة، وبقي رئيساً لها حتى ١٩٧٥/٨/١٢.

المناصب العلمية التي شُرِّف بها:

-١٩٥٦ انتخب عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية في القاهرة.

-١٩٦٩ اختير عضواً مؤازراً في المجمع العلمي العراقي.

-١٩٨٠ انتخب عضواً في الاتحاد الدولي لداء السكري.

-١٩٨٢ انتخب عضواً في أكاديمية نيويورك للعلوم.

-١٩٨٣ انتخب عضواً في مجلس الأمناء لجهاز التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الإسلامية (الكسو) (تونس).

-١٩٨٤ انتخب عضواً في «المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية» (مؤسسة آل البيت) - الأردن.

-١٩٨٤ منح عضوية الشرف في الجمعية السورية لتاريخ العلوم (معهد التراث العلمي العربي - جامعة حلب).

-١٩٨٥ انتخب عضو شرف في مجمع اللغة العربية الأردني.

-١٩٨٦ انتخب عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة.

-١٩٨٦ انتخب عضواً في المجمع العلمي الهندي.

الأوسمة التي كوفئ بها:

-١٩٣٩ نيشان المعارف المصري من الطبقة الثانية.

-١٩٤٠ نوط الشرف السوري.

-؟ وسام الاستقلال. (نقلاً عن ابنه الدكتور أنس سبح).

-١٩٤٥ وسام المعارف الإيراني من الدرجة الأولى.

-١٩٥٥ وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة.

-١٩٥٦ وسام الكوكب الأردني من الدرجة الثانية.

-١٩٥٨ وسام الجمهورية المصري من المرتبة الثانية.

مؤلفاته المطبوعة:

- أطروحة باللغة الفرنسية: نمو الغشاء البشري المشيمي في الإنسان. باريس ١٩٢٥.

-المؤلفات باللغة العربية:

١- معجم الألفاظ والمصطلحات الفنية لأمراض الجملة العصبية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢– معجم الألفاظ والمصطلحات الفنية للأمراض الإنتانية والطفيلية.

٣– معجم الألفاظ والمصطلحات الفنية لأمراض جهاز التنفس.

٤– مبادئ الأمراض الباطنة.

٥– موجز مبادئ علم الأمراض (طبع ست مرات).

٦– مبحث الأعراض والتشخيص (طبع خمس مرات).

٧– فلسفة الطب (طبع مرتين).

علم الأمراض الباطنة في سبعة أجزاء:

٨– الجزء الأول: أمراض الجملة العصبية.

٩– الجزء الثاني الأمراض الإنتانية والطفيلية.

١٠– الجزء الثالث: أمراض جهاز التنفس.

١١– الجزء الرابع: أمراض جهاز الهضم.

١٢– الجزء الخامس: أمراض جهاز الدوران.

١٣– الجزء السادس: أمراض جهاز البول وأمراض الدم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٤– الجزء السابع: أمراض الغدد الصم والتغذية والتسممات.

١٥– موجز علم الأمراض الباطنة (في جزئين) كان أحد المشاركين.

١٦– موجز أمراض الجملة العصبية (طبع مرتين).

١٧– أمراض الغدد الصم والتغذية والتسممات (طبع ثلاث مرات).

١٨– نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات.

١٩– المعجم الطبي الموحد (أحد المشاركين في وضعه).

٢٠– (١٥٧) مئة وسبع وخمسون مقالة متنوعة:

نشر (٤٨) ثمان وأربعون منها في مجلة المعهد الطبي العربي، والمجلة الطبية العربية، و(١٠٩) تسع ومئة مقالة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق.

التقرير السنوي عن أعمال المجمع[1]

في دورة عام ٢٠٠٠م

أولاً: مجلس المجمع

عقد مجلس المجمع في المدة من ١/٩/١٩٩٩م إلى ١٣/١٢/٢٠٠٠م أربع عشرة جلسة درس فيها ما عُرِض عليه من موضوعات؛ وكان أبرز ما تمَّ في هذه الجلسات:

– جدَّد المجلس تأليف لجان المجمع وفق رغبات السادة الأعضاء في تحديد اللجان التي سيشاركون في أعمالها.

– جدَّد المجلس انتخاب الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد أميناً عاماً للمجمع.

– اطلع المجلس على خطط عمل لجان المجمع لعام ٢٠٠٠م، وأقر ما جاء فيها مع إضافة بعض التعديلات على بنودها. وقد تم فعلياً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) قرر مجلس المجمع في جلسته الثامنة المنعقدة بتاريخ ٢٢/١٢/١٩٩٩م الأخذ ببداية السنة الميلادية بداية لكل دورة مجمعية جديدة، وترك ما كان متبعاً من بدء الدورة المجمعية في الأول من شهر أيلول من كل عام، وهو اليوم الذي يلي انتهاء العطلة السنوية للمجمع. وسيشمل تقرير هذا العام الأشهر الأربعة الأخيرة من عام ١٩٩٩م إضافة إلى عام ٢٠٠٠م كلّه.

تنفيذ بعض بنود هذه الخطط كإقامة ندوة (اللغة العربية والتعليم في رحاب المجمع، وإدخال مصطلحات الفيزياء الموجودة في كتب الجامعات السورية الحاسوب تمهيداً لتوحيدها في لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة. في حين تتابع بعض لجان المجمع عملها الذي بدأته، كالبحث في معجم الألوان الذي قامت به لجنة المعجمات، ودراسة السوابق واللواحق والدوامج التي قامت به لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة.

ويحاول المجمع تذليل الصعوبات التي تعترض تنفيذ بنود خطط عمل بعض اللجان، من نقص الموارد المالية، وقلة عدد الخبراء والباحثين.

- بحث المجلس في الترتيبات التي قام بها المجمع في الإعداد لإقامة ندوة:"اللغة العربية والتعليم" بالتعاون مع وزارتي التعليم العالي والتربية في المدة من ٢٢ إلى ٢٥ تشرين الأول ٢٠٠٠م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- درس المجلس قواعد الإملاء المحالة عليه من لجنة الأصول، وبحث في الملاحظات التي قدمها بعض السادة الأعضاء حولها، وأرجأ اتخاذ قرار نهائي بشأنها إلى أن يتقدم بقية السادة الأعضاء بملاحظاتهم.

- ألف المجلس لجنة من السادة: الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد، الأمين العام للمجمع، والأستاذ الدكتور محمد زهير البابا، والأستاذ الدكتور عادل العوّا، والأستاذ جورج صدّقني مهمتها دراسة كتاب السيد وزير التربية حول الأرقام العربية والأرقام الهندية وانتهت اللجنة إلى الرأي الآتي:

١- الحفاظ على سلسلة الأرقام الهندية واستخدامها وتعليمها في جميع مراحل التعليم.

٢- التوصية بتعريف الطلاب الأرقام العربية في مرحلة مبكرة من التعليم إلى جانب الأرقام الهندية وليس بدلا منها.

- اطلع المجلس على تقرير السيدين رئيس المجمع ونائبه حول مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة، في دورته السادسة والستين التي عقدت في المدة من ٣ إلى ٢٠٠٠/٤/١٧م، وعلى توصيات مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية الذي عقد بتاريخ ٢٠٠٠/٤/١٨م، بعد أن شاركا في فعالياتهما، وأوصى بنشر التقرير والتوصيات في مجلة المجمع.

- كلف مجلس المجمع اللجنة الإدارية إعداد مشروع تحديث قانون المجمع وفق مبادئ حددها لها، واطلع على المشروع الذي أعدته اللجنة وناقشته، وعلى التعديلات التي أدخلتها استجابةً لما ارتأته وزارة التعليم العالي، وما أقره مجلس الوزراء. ورفع المشروع في صورته النهائية إلى رئاسة الجمهورية لاستكمال إصداره.

- انتخب المجلس أعضاء مراسلين للمجمع من: السعودية، والعراق، وتونس، والمغرب، ولبنان، والكويت، واليمن، ومصر، وسورية في جلسته الثانية عشرة لعام ٢٠٠٠م المنعقدة بتاريخ ٢٠٠٠/١١/١٥م، وصدر قرار السيد وزير التعليم العالي باعتماد انتخابهم.

- بحث المجلس في ترشيح أعضاء عاملين للمجمع، وقد تقدم بعض السادة الأعضاء بترشيحاتهم، وما زال المجلس يتابع البحث في هذا الموضوع.

- اطلع المجلس على توصيات الندوة الدولية التي نظمها المجلس

الأعلى للغة العربية في الجزائر، في المدة من ٦ إلى ٨/١١/٢٠٠٠م.

- اطلع المجلس على البحوث التي أرسلت إليه من جهات مختلفة لقراءتها وإبداء الرأي.

- اطلع المجلس على الدعوات الموجهة إليه للمشاركة في الندوات والمؤتمرات العربية والعالمية، وترشيح أعضاء من المجمع لتمثيله في بعض اللجان، واتخذ بشأنها ما رآه مناسباً من قرارات. وأهم هذه الدعوات:

الدعوة إلى ندوة المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر، الدعوة إلى ندوة معهد الدراسات والأبحاث للتعريب في الرباط، الدعوة إلى مؤتمر اتحاد مجالس البحث العلمي العربية، الدعوة إلى مؤتمر المجمع العلمي العراقي، الدعوة إلى ندوة قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة دمشق، (أسئلة التعريب ورهاناته في التعليم العالي في المغرب وسورية) التي ستعقد في المغرب وترشيح الدكتور عبد الكريم اليافي للمشاركة في أعمالها، الدعوة للترشيح لجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، الدعوة للترشيح للجائزة التقديرية للثقافة العربية لعام ١٩٩٩-٢٠٠٠م من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو)، الدعوة للترشيح لجائزة نوبل في الآداب لعام ٢٠٠٠م، الدعوة لحضور الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لرحيل رائدة النهضة النسائية العربية عادلة بيهم الجزائري، الدعوة للمشاركة في ندوة قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة حلب، دعوة الاتحاد الأكاديمي في بروكسل، بلجيكا، للمشاركة في الاجتماع السنوي للجمعية العامة للاتحاد، وترشيح الدكتور

عبد الله واثق شهيد، الأمين العام للمجمع، ممثلاً عن المجمع في هذا الاجتماع، الدعوة لحضور الاحتفال بمرور خمسين عاماً على رحيل عضو المجمع الأستاذ عارف النكدي، الدعوة لتسمية ممثل عن المجمع في اللجنة الوطنية لتنميط الأسماء الجغرافية، وترشيح الأستاذ جورج صدّقني ممثلاً عن المجمع فيها، الدعوة إلى ندوة المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، الدعوة للترشيح لجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، الدعوة للترشيح لجائزة السنوية للمجلس العام لكاتالونيا، الدعوة للترشيح لجائزة نوبل في الآداب لعام ٢٠٠١م.

ثانياً– أعمال لجان المجمع :

١– اللجنة الإدارية: عقدت اللجنة الإدارية في المدة من ١/٩/١٩٩٩م إلى ١٧/١٢/٢٠٠٠م ستاً وثلاثين جلسة بحثت فيها شؤون المجمع ودار الكتب الظاهرية، واتخذت عدداً من القرارات الإدارية والمالية المتعلقة بهما، كما قررت

– إهداء مجلة المجمع وبعض مطبوعاته إلى عدد من الباحثين والمؤسسات العلمية العربية والأجنبية، وشراء مجموعة من الكتب التي أغنت مكتبتي المجمع ودار الكتب الظاهرية.

– ورشحت العاملين المناسبين لدورات مختلفة وردت إليها كتب بشأنها من مؤسسات ومراكز وهيئات رسمية.

– ووافقت على تثبيت عدد من العاملين الوكلاء، وتعيين عاملين آخرين في المجمع ودار الكتب الظاهرية.

- ودرست التقرير السنوي عن أعمال المجمع في دورته المجمعية ١٩٩٨-١٩٩٩م ووافقت على طباعته وأحالته على مجلس المجمع.

- ووافقت على قرار لجنة المكتبة تجليد الدوريات العربية والأجنبية في دار الكتب الظاهرية لحفظها من التلف.

- وأدرجت اسم المجمع مشاركاً في معرض التوثيق القومي لعام ٢٠٠٠م، وكلفت ممثلاً عن المجمع التنسيق مع إدارة المعرض.

- واتخذت الترتيبات اللازمة في الإعداد لإقامة ندوة «اللغة العربية والتعليم» بالتعاون مع وزارتي التعليم العالي والتربية في المدة من ٢٢ إلى ٢٥ تشرين الأول ٢٠٠٠م.

- وأعدت اللجنة مشروع تحديث قانون المجمع، فأضافت موادَّ جديدة إليه، وأجرت تعديلات على بقية المواد، وأرسل المجمع بعد إقراره في المجلس نسخة منه إلى السيد وزير التعليم العالي، لرفعه بعد موافقته عليه إلى رئاسة مجلس الوزراء حيث أُقِر ورفِع إلى السيد رئيس الجمهورية لاستكمال أسباب صدوره.

- ووافقت اللجنة على نقل مكررات مجلتي المجمع واللسان العربي من الظاهرية إلى مكتبة المجمع، وإعداد مجموعات كاملة.

- وقررت اللجنة إجراء الصيانة و الإصلاحات اللازمة لمجموعة التكييف المركزي في المجمع وتمديداتها لتكييف مستودعي الكتب فيه على الوجه المناسب من الحرارة والرطوبة، كما قررت، إقامة مظلات لسيارات المجمع.

٢- لجنة المجلة والمطبوعات:

بلغ عدد جلسات اللجنة ثلاث عشرة جلسة عُقدت ما بين ١٩٩٩/٩/١٢ و٢٠٠٠/١٠/١ درست فيها المقالات المرسلة إليها، لنشرها في المجلة، فقبلت منها ما هو صالح للنشر فأخرجته في الجزأين الأول والثاني من المجلد الخامس والسبعين، واستبعدت منها ما لا يناسب خطة المجلة. وخصَّصت الجزأين الثالث والرابع من المجلد المذكور لنشر بحوث ندوة (**إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده وإشاعته**) (التي أقيمت من ٢٥حتى ١٩٩٩/١٠/٢٨)

أما المطبوعات فقد اطلعت اللجنة على كتب أرسلت في تواريخ مختلفة من مطبعة دار البعث تتضمن الكلفة التقديرية لكل من المجلد ٤٩ والمجلد ٥١ والمجلد ٥٢ من كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، من أجل تسعيرها، فوافقت اللجنة على أن يضاف إلى الكلفة مكافأة المحقق المقدرة بـ ١٠٠٠ ليرة عن كل ملزمة، وأجور التنضيد، ثم إحالتها على اللجنة الإدارية لتسعير كل كتاب في حينه.

واطلعت اللجنة على الكتابين المحالين عليها من قبل لجنة المخطوطات وإحياء التراث، فقررت دفعهما للتنضيد في مطبعة المجمع وهما:

١- رسائل الأستاذ الرئيس محمد كرد علي إلى الأب أنستاس ماري الكرملي، حققها وقدم لها وعلق عليها الأستاذ حسين محمد عجيل.

٢– تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر، المجلد التاسع والخمسون تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي.

الكتب التي نجز طبعها وهي في مستودع المجمع:

١– تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر الجزء ٤٩ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي.

٢– تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر الجزء ٥١ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي.

٣– رسائل الأستاذ الرئيس محمد كرد علي إلى الأب أنستاس ماري الكرملي، تحقيق الأستاذ حسين محمد عجيل.

الكتب التي ما تزال في التنضيد:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١– تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٥٩.

الكتب التي في مطبعة دار البعث:

١– تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٥٢.

٣– لجنة المخطوطات وإحياء التراث:

عقدت لجنة المخطوطات وإحياء التراث في المدة من ١/٩/١٩٩٩م إلى ١٧/١٠/٢٠٠٠م أربع جلسات كان مما تمَّ فيها ما يلي:

– الاطلاع على المجلد التاسع والخمسين من كتاب (تاريخ مدينة دمشق) للحافظ ابن عساكر، بتحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، والموافقة على طباعته بعد تدقيقه من قبل الأستاذين الدكتور عبد الوهاب حومد، والدكتور محمد زهير البابا.

– الاطلاع على كتابي: «أبنية كتاب سيبويه» للزُّبيدي، بتحقيق الدكتور أحمد راتب حمُّوش، و «استدراك الغلط الواقع في كتاب العين» للزُّبيدي، بتحقيق الدكتور صلاح الفرطوسي، والموافقة على طباعتهما، بعد أن قدم الدكتور محمد الدالي تقريرين مفصَّلين حولهما.

– الموافقة على إعادة طبع ديوان «ابن النقيب» بتحقيق الدكتور عبد الله الجبوري، بناءً على طلبه، وكان المجمع قد نشره له في عام ١٩٦٣م.

– الاطلاع على كتاب «متشابه القرآن» للكسائي، بتحقيق الدكتور محمد حسين آل ياسين، واقتراح الكتابة إلى الدكتور آل ياسين للاستفسار منه عن سبب عدم عودته إلى مخطوطة (باريس) التي ذكرها في مقدمة التحقيق، وذلك بناءً على ما جاء في تقرير الدكتور محمد الدالي حول الكتاب.

٤ – لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة:

عقدت لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة في هذه الدورة المجمعية أربع عشرة جلسة كان مما تم فيها:

– وضع مقترحاتٍ حول استخلاص المبادئ الأساسية في وضع المصطلحات وسبل توحيدها ونشرها مما توصلت إليه الندوات

والمؤتمرات السابقة في الأقطار العربية (المغرب، الأردن، السودان، سورية).

- الإعداد لندوة (إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وسبل توحيده وإشاعته) المنعقدة في المدة الواقعة من ٢٥-٢٨ تشرين الأول عام ١٩٩٩م في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق، والاتفاق على إنفاذ القرارات والتوصيات الصادرة عنها.

- العمل على توحيد المصطلحات العلمية في كتب الجامعات والمعاهد في الجمهورية العربية السورية، والبدء بتوحيد مصطلحات الفيزياء، والعمل على تأليف «معجم الفيزياء». وقد تم إدخال مصطلحات الفيزياء في كتب الجامعات السورية في الحاسوب.

- عرض مشروع المعجم الطبي المقدم من منظمة الصحة العالمية، ويتألف من : المعجم الطبي الموحد، ومعجم طب الأسنان الموحد، ومعجم الصيدلة الموحد. وهو يمكّن المستخدم من الحصول على جميع الكلمات العربية المقابلة لمصطلح من المصطلحات الأجنبية الواردة في كل معجم على حدة مرتبة بالتتالي.

وقد اقترح أعضاء اللجنة تطوير البرنامج ليكون ثلاثي اللغات، ويتضمن تعريفاً للمصطلحات، إضافة إلى تأليف لجنة مصغرة لمتابعة هذا الموضوع.

- عرض مشروع المصطلحات العلمية والفنية الصادرة عن مجمع اللغة العربية في القاهرة، ويقوم على إيراد المصطلحات الأجنبية وبطاقة

تعريف لكل منها.

- اقتراح تزويد قاعة المصطلح وألفاظ الحضارة بعددٍ من المعجمات والموسوعات المتخصصة مما هو غير متوافر فيها.

- ناقشت اللجنة اقتراح تقسيم لجنة المصطلح مبدئياً إلى سبع لجان فرعية بصورة مبدئية تختص كل واحدة منها بمجموعة من العلوم نظراً لتباين معنى المصطلح الواحد من علم إلى آخر على أن يزيد عددها إذا اقتضى الأمر. وتتألف كل لجنة من بعض أعضاء لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة وغيرهم من أعضاء المجمع وعددٍ من الخبراء المختصين ممن تختارهم اللجنة. وهذه اللجان هي:

١- لجنة العلوم الرياضية والمعلوماتية

٢- لجنة العلوم الفيزيائية والكيماوية

٣- لجنة العلوم الهندسية والتقانة: وتضم الهندسة الميكانيكية والكهربائية والالكترونية والاتصالات

٤- لجنة العلوم الطبيعية والزراعية: وتضم علم الحيوان، وعلم النبات، وعلم الأحياء، والجيولوجية، وعلم البيئة، والزراعة، والطب البيطري.

٥- لجنة العلوم الصحية: وتضم الطب البشري، وطب الأسنان، والصيدلة.

٦- لجنة العلوم القانونية والاقتصادية: وتضم القانون والشريعة والإدارة والاقتصاد والتجارة.

٧- لجنة العلوم الإنسانية: وتضم الآداب والفلسفة، والتاريخ،

والجغرافية، وعلم السكان، وعلم الاجتماع، والأخلاق، والتربية، وعلم النفس، والأنتربولوجيا والفنون.

تمت الموافقة على هذا الاقتراح على أن يحال على مجلس المجمع

اقترحت اللجنة قيام المجمع بوضع معجم يضم أكبر عدد ممكن من السوابق واللواحق والدوامج المستخدمة في وضع المصطلحات العلمية في الوقت الحاضر لما لذلك من أهمية في فهم معنى المصطلح. وقد تم جمع ما صدر من دراسات حول هذا الموضوع وتوزيعه على السادة الأعضاء لدراستها، وتقديم اقتراحات بشأنها، وتبني الآراء المناسبة التي تعبر عن رأي المجمع.

ورأت ضرورة الاهتمام بالنقاط الآتية:

بحث معاني الحروف.

قضية الصيغ الصرفية.

الاعتماد على معجم مقاييس اللغة.

الاطلاع على كيفية استعمال العرب مصطلحاتهم، وكيفية اعتمادهم على المصطلحات الأجنبية.

وتم الاتفاق على متابعة العمل في هذا الموضوع ضمن خطة اللجنة للدورة المجمعية ٢٠٠١م.

٥-لجنة النشاط الثقافي

عقدت لجنة النشاط الثقافي في الدورة المجمعية [من ١/٩/١٩٩٩م حتى١٨/١٢/٢٠٠٠م] ست عشرة جلسة

في عام ١٩٩٩م:

عُقدت ندوة «إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وسبل توحيده وإشاعته» في المدة من ٢٥ إلى ٢٨ تشرين الأول ١٩٩٩م، في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق، والتي أقامها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالتعاون مع مجمع اللغة العربية بدمشق، وبرعاية السيد رئيس الجمهورية وقد أقيم حفل افتتاح الندوة في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ١٩٩٩/١٠/٢٥ م في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد الوطنية، وحضر الحفل السيد الدكتور محمد زهير مشارقه نائب رئيس الجمهورية ممثل راعي الحفل، والسادة أعضاء القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية وأعضاء القيادة القطرية والوزراء والسفراء العرب، ورئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، وأعضاء من مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ورئيس مجمع اللغة العربية بدمشق وأعضاء المجمع، وجمهور من الباحثين والمدعوين.

ومن الجدير بالذكر، أن هذه الندوة عقدت على مدى الأيام الأربعة التي استغرقتها سبع جلسات في قاعة المحاضرات بمجمع اللغة العربية، وألقي فيها ستة وعشرون بحثاً، وفي ختام الندوة توجه السادة المشاركون بالندوة بالشكر الجزيل إلى اتحاد المجامع ومجمع اللغة العربية بدمشق والباحثين على جهودهم العظيمة، كما رفعوا أسنى آيات التقدير والإكبار إلى سيادة الرئيس حافظ الأسد رحمه الله لرعايته الكريمة التي شملت أعمال هذه الندوة.

في عام ٢٠٠٠م:

١- اجتمعت لجنة النشاط الثقافي في الجلسة الأولى من هذا العام بتاريخ ٢٢/١/٢٠٠٠م، وأقرَّ السادة الأعضاء إقامة ندوة عنوانها: «اللغة العربية والتعليم» وذلك بالتعاون مع وزارتي التعليم العالي والتربية وحدد موعدها ما بين ٢٢ إلى ٢٥ تشرين الأول ٢٠٠٠م

٢- في يوم الأحد ٦/٢/٢٠٠٠م، اجتمع أعضاء لجنة النشاط الثقافي وممثلو وزارتي التعليم العالي و التربية، كما حضر الاجتماع ممثلون عن جامعة دمشق وجامعة حلب وجامعة البعث وجامعة تشرين.

٣- وافق السادة الأعضاء على ورقة العمل التي قدمها الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص والتي تضمنت محاور الندوة والأمور الأساسية المتعلقة بها، كما أضاف السادة الأعضاء إلى هذه الورقة بعض التعديلات.

٤- وافق السادة الأعضاء في الجلسة الرابعة من العام ٢٠٠٠م على إرسال كتب إلى السيدين وزيري التعليم العالي والتربية من أجل تعيين أسماء الباحثين المشاركين في الندوة وإرسال كتب إلى أساتذة الجامعات في دمشق وحمص وحلب واللاذقية من أجل المشاركة في الندوة وإرسال البحوث في المدة المحددة.

٥- عقدت ندوة «**اللغة العربية والتعليم**» برعاية السيد رئيس الجمهورية في المدة من ٢٢ إلى ٢٥ /١٠/ ٢٠٠٠م في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق بالتعاون مع وزارة التعليم العالي ووزارة التربية.

وقد اشتملت هذه الندوة على ستة محاور وهي:

– **المحور الأول** : المناهج (الواقع والآفاق)

– **المحور الثاني** : أساليب تدريس العربية

– **المحور الثالث** : معلّم العربية ومدرّسها.

– **المحور الرابع** : الكتاب المدرسي والكتاب الجامعي.

– **المحور الخامس** : تدريس العربية لغير المختصين ولغير الناطقين بها

– **المحور السادس**: العوامل الخارجية المؤثرة في تعليم العربية وتعلّمها

وقد أقيم حفل افتتاح ندوة «اللغة العربية والتعليم» في الساعة الحادية عشرة من صباح الأحد ٢٢/١٠/٢٠٠٠م في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد الوطنية، وحضر الحفل السيد الدكتور محمد زهير مشارقه نائب رئيس الجمهورية، ممثل راعي الحفل، كما حضر بعض أعضاء القيادة القطرية والقيادة المركزية، ولفيف من الوزراء والسفراء العرب ورئيس مجمع اللغة العربية بدمشق وأعضاء المجمع وصفوة مختارة من الباحثين والعلماء وأساتذة الجامعات، وألقيت في هذا الحفل عدة كلمات هامة، وأعقب الحفل معرض لكتب اللغة العربية التي تدرّس في مختلف المراحل التدرّيسيه، وكتب تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

وقد عقدت هذه الندوة على مدى الأيام التي استغرقتها سبع جلسات في قاعة المحاضرات بمجمع اللغة العربية، وألقي فيها واحد وعشرون بحثاً .

وفي ختام الندوة : توجه المشاركون في الندوة بالشكر الجزيل إلى

مجمع اللغة العربية بدمشق وإلى وزارة التعليم العالي وإلى وزارة التربية وإلى الباحثين جميعاً لجهودهم العظيمة في الندوة كما رفع المشاركون في الندوة آسنى آيات التقديروالإكبار إلى سيادة الرئيس الدكتور بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية لرعايته الكريمة التي شملت أعمال هذه الندوة .

٦- لجنة الأصول:

عقدت لجنة الأصول في هذه الدورة المجمعية (من ١/٩/١٩٩٩م حتى ١٨/١٢/٢٠٠٠م) ست جلسات، كان مما تم فيها ما يلي:

مراجعة شاملة لقواعد الإملاء التي تم الاتفاق عليها.

مناقشة المباحث المتعلقة بكتابة الألف اللينة، والمباحث المتعلقة بالزيادة والحذف في الحروف، كما تابعت اللجنة مناقشة المباحث المتعلقة بالفصل والوصل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إقرار قواعد الإملاء وإحالة المباحث المتعلقة بقواعد الإملاء على مجلس المجمع لمناقشتها والبحث فيها.

٧- لجنة المعجمات:

بلغ عدد جلسات لجنة المعجمات في المدة ما بين ١/٩/١٩٩٩م ولغاية ٣١/١٢/٢٠٠٠م عشر جلسات، تم فيها ما يلي:

١- وضع خطة عمل من قبل الأستاذ الدكتور إحسان النص رئيس اللجنة تتضمن:

أ. أن تقر إدارة المجمع الاستعانة بالخبراء العلميين المختصين من

أجل إعداد معجم الألوان.

ب. أن يجمع معجم الألوان بين العلم والتراث.

ج. أن ترتب المادة اللونية وفق اسم اللون لا الجذر

٢- تعيين أسماء الأساتذة الخبراء الذين ارتأى السادة الأعضاء مشاركتهم في إعداد معجم الألوان وهم :

أ) - الأستاذ الدكتور محمد فوزي عوض لتقديم بحث عن الألوان في الفيزياء

ب) - الأستاذ الدكتور محمد أنور الخطيب لتقديم بحث عن الألوان في النباتات.

ج) - الأستاذ الدكتور محمد أبوحرب لتقديم بحث عن الألوان في الحيوانات وخاصة الفقاريات والحشرات.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

د) - الأستاذ الدكتور محمد برهان عطائي لتقديم بحث عن الألوان في المعادن والأحجار الكريمة والصخور والتُّرب.

هـ) - الأستاذ الدكتور إلياس الزيَّات لتقديم بحث عن الألوان في الفنون.

٣- قدم الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص نموذجاً عن اللون الأبيض من أجل الاستئناس به في إعداد معجم الألوان.

٤- النظر في مشروع الذخيرة اللغوية الذي أعده الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، وقد رأت اللجنة أنه ذو فائدة عظيمة للتراث العربي، وبحاجة إلى تمويل ضخم لتنفيذه، والعمل على عقد ندوة موسّعة من أجل دراسته، والبدء بإعداد المعاجم السبعة المذكورة فيه.

٥- وصول البحوث المتفق عليها وهي:

أ. الألوان في الفيزياء للدكتور محمد فوزي عوض

ب. الألوان في المعادن والصخور والأحجار الكريمة للدكتور محمد برهان عطائي.

ج. الألوان في عالم الحيوان للدكتور محمد أبو حرب.

د. الألوان في النباتات للدكتور محمد أنور الخطيب.

٦- الاتفاق على ما يلي:

أ. تحديد تعويضات الخبراء

ب. وضع عدة نماذج للألوان لاختيار ما يناسب المعجم

ج. فتح باب المشاركة أمام باحثين آخرين للعمل في المعجم

د. إدخال المعلومات في الحاسوب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨- لجنة المكتبة:

بلغ عدد جلسات لجنة المكتبة في الدورة المجمعية ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م اثنتي عشرة جلسة عقدت بين ١٩٩٩/٩/١م و ٢٠٠٠/١٢/٣م وبحث فيها واقع مكتبتي المجمع والظاهرية فكان مما أنجزته الأعمال التالية:

١. متابعة استرداد الكتب المستعارة، فأعيد للمكتبة بعض الكتب وبقيت كتب أخرى بذمة أصحابها، تسعى اللجنة لإعادتها إلى المكتبة.

٢. تجليد الكتب والدوريات العربية والأجنبية: تابعت اللجنة ما

بدأته سابقاً من تجليد الكتب المعرضة للتلف كما وضعت خطة لتجليد الأعداد المكتملة من كل دورية في المجمع والظاهرية للحفاظ عليها.

٣.تعديل مدة الإعارة في نظام الإعارة للسادة الأعضاء فأصبحت شهراً كاملاً بدل خمسة عشر يوماً.

٤.مشروع إدخال فهرسة الكتب في الحاسوب: بدأ العمل بوضع مشروع لأتمتة فهارس الكتب في مكتبتي المجمع والظاهرية، وبدأ تنفيذه في المكتبة الظاهرية، وسيبدأ في المجمع في أوائل العام القادم.

٥.ترشيح بعض العاملين في المجمع والظاهرية لاتباع الدورات التي تقيمها مكتبة الأسد في علوم المكتبات وقد التحق بهذه الدورة كل من : حنان الشعار – طهران صارم – بسمة رحيم – ندى وسوف، ورشح السيد ماجد فندي للالتحاق بالدورة الجديدة.

٦.إجراء جرد شامل لمكتبة المجمع وتسليم أمانة المكتبة للأستاذ خير الله الشريف.

٧.شراء كتب من معرض الكتاب في مختلف المجالات وقد بلغ عدد الكتب المشتراة لهذا العام ١٢٠ كتاباً لمكتبة المجمع و٥٠ كتاباً للمكتبة الظاهرية.

ومجموعة من المعجمات باللغة الإنكليزية وعددها خمسة.

٨.مراسلة بعض دور النشر العالمية للحصول على معاجم أجنبية علمية متخصصة والموسوعة الإسلامية باللغتين الفرنسية والانكليزية.

ثالثاً – دار الكتب الظاهرية:

أ – الكتب والمطبوعات: بلغ عدد الكتب المسجلة في سجلات الدار /٧٥٩١١/ كتاب اشتري منها في هذه الدورة /٥٥/ كتاباً، وأهدي للدار منها /١٥٦/ كتاب.

وبدئ بفهرسة الكتب على الحاسوب الذي زودت به الدار في الدورة السابقة، وتم تجليد /٤٧٠/ كتاب.

كما بلغ عدد المجلات والدوريات العربية الواردة إلى الدار في هذه الدورة /٣٠٥/ عدد موزعة على /٤٠/ عنواناً.

ب – رواد الدار: بلغ عدد المشتركين في المطالعة في الدار في هذه الدورة/٤٣٧/ مشترك وبهذا يكون المجموع الكلي للمشتركين /٢٧٩٨/ مشترك.

ج – احتياجات الدار:

– الإسراع في أعمال صيانة المدرسة العادلية التابعة للدار وترميمها لإعادة فتح قاعتي الباحثين والدوريات العربية، والإفادة من الغرف الأخرى في هذه المدرسة.

– تجهيز قاعتي المطالعة في الظاهرية بمقاعد ومناضد جديدة بعد أن تلف معظم ما فيهما من أثاث وإصلاح الأثاث المكتبي في غرف العاملين في الدار.

– تجديد أثاث العادلية بعد أن أتلفه انهيار جزء هام من البناء.

- استخدام النظام الحديث في التدفئة والتبريد في مستودع الكتب النادرة.

وقد حظيت هذه المشروعات بموافقة الدولة ورصد لتنفيذها في الموازنة الاستثمارية لعام ٢٠٠١ من المال المبلغ اللازم.

رابعاً - ندوات المجمع ومشاركاته:

عقد في رحاب المجمع في هذه الدورة ندوتان؛ الأولى بعنوان "إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وسبل توحيده وإشاعته." وقد أقامها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالتعاون مع مجمع اللغة العربية بدمشق في المدة من ٢٥/١٠ إلى ٢٨/١٠/١٩٩٩؛ والثانية بعنوان «اللغة العربية والتعليم» أقامها المجمع في المدة من ٢٢ إلى ٢٥/١٠/٢٠٠٠ بالتعاون مع وزارة التعليم العالي، ووزارة التربية.

وقد فصلنا الحديث عنهما ضمن أعمال لجنة النشاط الثقافي في هذا التقرير.

خامساً- مطبوعات المجمع:

أصدر المجمع في هذه الدورة المجمعية الجزأين التاسع والأربعين والحادي والخمسين من كتاب «تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، وكتاب «رسائل الأستاذ الرئيس محمد كرد علي إلى الأب أنستساس ماري الكرملي» حققها وعلّق عليها الأستاذ حسين محمد عجيل.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

سادساً– مكتبة المجمع:

دخل مكتبة المجمع في هذه الدورة /١٣٢٢/ كتاب باللغة العربية منها /١٠٤٧/ كتاب إهداء ومنها /٢٧٥/كتاب شراء. وأصبح عدد الكتب العربية في المكتبة /٢٣٨٥٥/كتاب.

ودخل المكتبة /٨٥١/كتاب أجنبي أهدي إلى المجمع منها /٨٤٦/ كتاب من جهات مختلفة، واشتري الباقي، ودخلها هدية أيضا/٦٤/ مجلة أجنبية.

وأهدي إلى المكتبة /١٧٥/ عنوان مجلة ودورية عربية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سابعاً – موازنة المجمع:

أولاً: موازنة عام ١٩٩٩م.

آ– مجموع الاعتمادات المخصَّصة (الجارية والاستثمارية) لعام ١٩٩٩م كاملاً:

١٣،٨٦٠،٠٠٠ + ٢،٥٠٠،٠٠٠= ١٦،٣٦٠،٠٠٠ ليرة سورية.

ب– مجموع ما أنفق في الأشهر الثمانية الأولى من عام ١٩٩٩م العائدة للدورة السابقة:

٥،٠٩٤،٠٩٧ + ٢٢٢،٣٠٠= ٥،٣١٦،٣٩٧ ليرة سورية.

ج– مجموع ما أنفق في الأشهر الأربعة الأخيرة من عام ١٩٩٩م العائدة لهذه الدورة:

٤،٥٣٧،٠٢٢ + ١،١٨٤،٩٥٧ = ٥،٧٢١،٩٧٩ ليرة سورية .

د- مجموع ما أنفق في عام ١٩٩٩م كاملاً:

٥،٣١٦،٣٩٧ + ٥،٧٢١،٩٧٩ = ١١،٠٣٨،٣٧٦ ليرة سورية.

هـ - مجموع الوفر في موازنة عام ١٩٩٩م:

١٦،٣٦٠،٠٠٠ - ١١،٠٣٨،٣٧٦ = ٥،٣٢١،٦٢٤ ليرة سورية.

و - النسبة المئوية للإنفاق في عام ١٩٩٩م:

٦٧,٤٧ /

ثانياً: موازنة عام ٢٠٠٠م.

آ - مجموع الاعتمادات المخصَّصة (الجارية والاستثمارية) لعام ٢٠٠٠م:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٣،٣٥٥،٠٠٠ + ٢،٥٠٠،٠٠٠ = ١٥،٨٥٥،٠٠٠ ليرة سورية.

ب- مجموع ما أنفق من الموازنة في عام ٢٠٠٠م كاملاً:

٩،٦٩٣،١٤٦ + ١،٤٢١،٢٨٠ = ١١،١١٤،٤٢٦ ليرة سورية.

ج - مجموع الوفر في موازنة عام ٢٠٠٠م:

١٥،٨٥٥،٠٠٠ - ١١،١١٤،٤٢٦ = ٤،٧٤٠،٥٧٤ ليرة سورية

د - النسبة المئوية للإنفاق في عام ٢٠٠٠م:

٧٠,١٠ /

بزيادة ٢,٥٣ / عن عام ١٩٩٩م

ومن بعض أسباب عجز المجمع عن إنفاق موازنته:

تأخر صدور هذه الموازنة، كما يتضح ذلك من الإنفاق في عام ١٩٩٩م، إذ تجاوز ما أنفق في الأشهر الأربعة الأخيرة من السنة مجموع ما أنفق في الأشهر الثمانية الأولى من السنة.

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عرض كتاب

الإمارة الأيوبية في حلب

(٥٧٩ _ ٦٥٨هـ)

(١١٨٣ _ ١٢٦٠م)

"La Principauté Ayyoubide d' Alep."

للمؤلفة: آن _ ماري إديه. Anne _ Marie Eddé

وقد صدر في شتوتغارت _ ألمانيا ١٩٩٩

Franz Steiner Verlag, Stuttgart

سلسلة دراسات إسلامية: الجزء الحادي والعشرون.

عدد الصفحات: ٧٢٧ صفحة، ويتضمن خريطة وعدة صور.

ربى المعدني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تناولت المؤلفة في هذا الكتاب دراسة تاريخ مدينة حلب في المدة ما بين عامي ٥٧٩/ ١١٨٣ _ ٦٥٨/ ١٢٦٠، وانصب جهدها على دراسة التطور الطبوغرافي لحلب والتاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي وذلك بالاعتماد على النصوص التاريخية والنقوش الأثرية وعلم المسكوكات لتكون معرفة شاملة عن الأوساط الحلبية المختلفة.

ولاهتمامها بالمرحلة الأيوبية سببان:

الأول: مرتبط بتوفر المصادر الغزيرة التي تتناول تلك المرحلة، وتتحدث عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

الثاني: أن عصر الأوج والذي تشكل الإمارة الأيوبية جزءاً مهماً منه يفسح المجال أمام عملية تطور التبادلات الاقتصادية والثقافية ويقدم لنا صورة واضحة عن النشاط العمراني والتقدم المدنسي الذي وصل أثره لنا ويسمح بفهم الوقائع فهماً جيداً.

كما أن المرحلة الأيوبية لم تثر اهتمام المؤرخين الغربيين كثيراً كما هو حال المرحلتين الفاطمية والمملوكية، وتقارن الكاتبة في مقدمة الكتاب بين عملها هذا وكل ما سبقه من مؤلفات عن مدينة حلب ولاسيما ما يتعلق بالإمارة الأيوبية وتعدّها قليلة، ولعل أبرزها كتاب جان سوفاجيه عن تاريخ حلب وتقارن بين ما اعتمده من وثائق وما تناوله من أحداث ومعلومات، وتركز على تجدد المعلومات المتاحة لها واعتمادها على الخرائط والنقوش والنصوص التاريخية أكثر من المصادر الغربية والإسلامية التي استند إليها غيرها من الباحثين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن التاريخ الذي ترغب الكاتبة في دراسته ليس تاريخ حلب فقط بل تاريخ الإمارة كلها، ويشكل الكتاب دراسة موسعة لعلاقة الأمراء الحلبيين بجيرانهم ودورهم في الأحلاف التي وحدت ومزقت بالتناوب الأيوبيين والفرنجة والأرمن والسلاجقة والزنكيين.

وكان لموقع مدينة حلب المتميز دورٌ هام في مواجهة الغزو القادم من الشرق حيث كانت تشكل خط دفاع فعّال يصد هجمات الخوارزميين والمغول ويقف في وجه توسعهم.

يذكر الكتاب العوامل التي ساهمت في بسط سيطرة حلب على

الأقاليم المجاورة وسياستها الداخلية والخارجية والأوساط الاجتماعية والثقافية التي ترتبط بالسلطة والاقتصاد من أمراء وتجار وموظفين.

وبما أن الأيوبيين بسطوا سيطرتهم على سورية ومصر فقد أدى ذلك إلى تعمق الفكر الصوفي في العالم الإسلامي وكان لانتشار مؤلفات محيي الدين بن العربي الأثر الكبير في تطور الفكر الصوفي والفلسفي في حلب.

ويمثل الكتاب محاولة جادة لفهم تاريخ شمال سورية في القرن الثالث عشر الميلادي.

أقسام الكتاب حسب الموضوعات التي تناولها:

يقسم الكتاب إلى قسمين رئيسيين ويضم كل منهما فصولاً متعددة:

يتناول القسم الأول التاريخ السياسي للإمارة بشكل تفصيلي.

_ **الفصل الأول:** يستعرض الكتاب الأحداث السياسية والتاريخية في المدة من عام ٥٧٥/ ١١٨٣ إلى عام ٦١٣/ ١٢١٦ وهي نهاية عهد صلاح الدين حيث خضعت حلب لحكم ابنه الظاهر غازي، ويفصل الحديث عن تلك المدة منذ خضوع حلب لسلطان صلاح الدين وتسلم الظاهر غازي حكم شمال سورية واشتراكه في الحروب التي خاضها صلاح الدين وما تعرض له من مقاومة وتأييد، وما تبع ذلك من أحداث بعد وفاة صلاح الدين ووضع ولاية حلب وامتدادها الجغرافي وحدودها الطبيعية.

ومع ظهور الملك العادل شقيق صلاح الدين ازداد التنافس على إرثه بين الشقيق والأبناء وواجه الظاهر غازي صعود نجم عمه الملك العادل

وازدياد قوته وتخلل ذلك عقد حلف بين الزنكيين في شرق الفرات ضد العادل.

يتعرض الكتاب للسياسة الداخلية للظاهر ولا سيما في عامي ١١٩٤– ١١٩٥م والمصاعب الداخلية التي واجهته وعلاقة حلب بالفرنجة في تلك المدة، والسياسة الحذرة التي انتهجتها حلب مع جيرانها وأبرزهم الأرمن والفرنجة والسلاجقة.

ـ **الفصل الثاني**: يتحدث الكتاب في هذا الفصل عن عهد العزيز بين عامي ٦١٣/ ١٢١٦ و٦٣٤/ ١٢٣٦ وهي مرحلة الصراع على حلب بين أبناء صلاح الدين: الأشرف والكامل، والذي تزامن مع التوسع السلجوقي باتجاه حلب وما نتج عنه من نتائج خطيرة ثم أصبح الجيش الحلبي تحت إمرة الأشرف وتمت إعادة توزيع الولايات الأيوبية. وبعد تولي العزيز السلطة، اتبع سياسة حذرة استمرت حتى وفاته.

ثم تلاه عهد الناصر يوسف الثاني من عام ٦٣٤/ ١٢٣٦ إلى عام ٦٥٨/ ١٢٦٠ حيث تغير توجه السياسة الأيوبية في حلب وحصل تقارب مع الأشرف تزامن مع اقتراب الخطر السلجوقي وحدث تبادل دبلوماسي بين حلب والسلاجقة وتلاحقت الأحداث مع ازدياد الخطر الخوارزمي الذي بدأ بزحفهم إلى الغرب، وفصّلت المؤلفة القولَ عن حملاتهم في سورية ومواجهة الأيوبيين لهم في حلب.

وبدأ الناصر يوسف الثاني بعقد الأحلاف وإقامة الاتصالات مع القاهرة، وتتحدث المؤلفة عن عهده بشكل مفصل حيث حكم الجزيرة السورية وحاول توحيد سورية والتوجه سياسياً إلى مصر.

أما الأعوام من ٦٤٨/ ١٢٥٠ إلى ٦٥٨/ ١٢٦٠ فهي التي أطلقت عليها المؤلفة لقب **«السنوات الصعبة»** لما تخللها من أحداث أليمة بدأت بمحاولة الناصر تحقيق التوازن في سياسته بين المماليك والفرنجة، وما تلا ذلك من تصادم مع المغول ثم سقوط بغداد في أيديهم عام (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م) ثم الانحدار الأيوبي في حلب أمامهم عام ٦٥٨/ ١٢٦٠ ونتائج هذا الحدث ثم استعراض أسباب انهيار الإمارة الأيوبية وأثر ذلك في تاريخ المنطقة.

أما القسم الثاني من الكتاب فقد خصص لدراسة المؤسسات والاقتصاد والمجتمع:

يستعرض الكتاب عوامل سلطة الأمير والأسس التي تقوم عليها سلطة الدولة، كما يصف حفلات الأمراء الأيوبيين وطريقة تقلد السلطة ونظام الوصاية وما يتمتع به الأمير من حقوق أهمها: حق الولاية وحق إصدار الأوامر ومعاقبة المخالفين لها وحقوق إدارية أخرى.

وأفردت المؤلفة قسماً خاصاً للحديث عن الأسرة الحاكمة وأسلوب الحياة الأميرية وكيف أصبحت حلب ملاذاً للأسرة الأيوبية، وتقاليد الزواج داخل هذه الأسرة وتوزع الأبناء والأحفاد.

وبما أن محور هذا الفصل هو سلطة الدولة، فلابد من الحديث عن عماد هذه السلطة ووسيلتها للدفاع وحماية الأرض ألا وهو الجيش ونظامه الدقيق الذي تشرحه الكاتبة بالتفصيل وتتحدث عن وحدات الجيش والوظائف العسكرية الهامة مثل: الوالي والأتابك وأمير القلعة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والنائب والحاجب وغيرها، كما تتحدث عن مدى الفعالية العسكرية التي تظهر في الحملات الخارجية وصد الهجوم القادم الذي يهدد الدولة.

ويتفرع عن دراسة نظام الجيش دراسة المجتمع العسكري وأصول المحاربين حيث تفصل الكاتبة بين المحاربين من أصولٍ حرة كالأكراد والأتراك والمحاربين الذين كان يطلق عليهم المماليك وكانوا قلةً في حلب إذا ما قورنوا بأمثالهم في مصر.

كما تناولت الكاتبة موضوع الإيجار وقانون الاقطاع والمشاكل المرتبطة به وما للفرد من حقوق وواجبات فيه، وأنهت الحديث عن الجيش باستعراض التقنيات العسكرية والأسلحة المستخدمة وأساليب القتال وخطط المعارك.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم انتقلت للحديث عن الإدارة المدنية: وأهمها الوزارة والدواوين التي تضم ديوان الجيش والمال والخاتم وما يتفرع عن ذلك من نظام الضرائب المفروضة.

ولنقل البريد أساليب متنوعة أشهرها: الحمام الزاجل والخيول، وإقامة محطات على الطرق لتسهيل مهمة حامل البريد.

الحياة الدينية والثقافية: تتحدث المؤلفة عن نظام التعليم والمدارس والكتّاب وحلقات المساجد التي تعد من أهم أماكن التعليم في ذلك الوقت.

أما العلوم المتداولة فكان أشهرها بلا شك علوم القرآن الكريم

والفقه واللغة العربية والحساب، وكانت العلاقة بين المعلم والتلميذ تقوم على أساس متين من الاحترام.

وتنوعت الأنشطة العلمية والأدبية، فقد كانت حلب قبلة رجال العلم والأدب كما تذكر الكاتبة نقلاً عن «ابن العديم» الذي تعد مؤلفاته من أهم مصادرها.

وحظي الشعر بمكانة متميزة في المجالس العامة والخاصة ويشترك في نظم الشعر والنثر جميع الفئات على اختلاف ثقافتها.

أما العلماء ويقصد بهم هنا: الأطباء والفلكيون والرياضيون، فقد كانت حلب تضم القليل منهم إذا ما قورنت بدمشق والقاهرة وكان جلُّ الاهتمام العلمي ينصب على العلوم الدينية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذكرت الكاتبة أشهرهم: عالم الرياضيات والفلك مهذب الدين محمد بن محمد بن برهان الطبري وجمال الدين محمد بن العديم وغيرهم.

ونتيجة لدراسة الحياة الدينية والثقافية: لاحظت الكاتبة انتقال العلم ضمن الأسرة من الأب إلى الابن وبين الأقارب.

خُصص الفصل الأخير من الكتاب للحديث عن النشاط الاقتصادي في أنحاء الإمارة أي في القرى والمدن وبدأ بدراسة الزراعة وعمادها الأساسي ألا وهو الماء: وأهم مصادره هي الأنهار والمياه الجوفية، وتم إنشاء شبكة ري من القنوات والخزانات لتجاوز مشكلة قلة المياه.

وتنوعت المنتجات الزراعية واشتهرت حلب بالزيتون والحنطة والشعير والذرة والأرز وتحدثت الكاتبة عن النباتات الطبية والصناعية والزيتية والخضار والفواكه، وتربية الحيوانات والرعي في حلب، مع ملاحظة وجود الغابات في الشمال.

ومن أهم مظاهر الحياة الاقتصادية: التجارة والحرف المتنوعة ولابد من الإشارة إلى أن حلب كانت تشكل بموقعها الجغرافي المتميز نقطة التقاء الطرق التجارية العالمية وأبرزها طريق الحرير الذي كان يمر بحلب ويربط آسيا بأوربا، كما ارتبطت حلب مع البندقية بعلاقات متميزة، وازدهرت التجارة وتم تبادل المنتجات، وبرزت طبقة التجار والبائعين واشتهرت بعض الأسواق التي كانت تتمتع بنظام خاص مع وجود قانون الحسبة، كما تميزت حلب بوجود الخانات الكثيرة التي كانت تؤدي عدة مهام.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنهي المؤلفة كتابها بالحديث عن ولاية حلب من النواحي الإدارية والمدنية وتحاول العثور على وثائق دقيقة لإحصاء عدد سكان الولاية في تلك المدة، والتقسيمات الإدارية المتبعة وهي: الأعمال والنواحي والمدن.

وأضافت إلى الكتاب خريطة هامة تمثل شمال سورية ومنطقة الجزيرة في القرن الثالث عشر ومجموعة من الصور لأشهر قلاع حلب ومساجدها ومآذنها ومقاماتها الشهيرة وبعض المدارس والبوابات.

وقد رجعت المؤلفة إلى مصادر مختلفة: عربية وأجنبية وسريانية وأرمنية وفارسية. ومما يحمد لها أنها سمت تلك المصادر التي عادت إليها في دراستها القيمة.

الكتب والمجلات المهداة
إلى مكتبة مجمع اللغة العربية
في الربع الأول من عام ٢٠٠١م

أ - الكتب العربية

خلود العقاد

- **أتفرج على الكوكب: أقاصيص شعرية/** محمود عبد الواحد - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.
- **أساطير وحكايات زنجية إفريقية/** ترجمة موريس جلال- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠.
- **أسرار الأميرة دي كادينيان: قصة من الحياة الباريسية... /** بلزاك؛ ترجمة ميشيل خوري- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩- (روايات بلزاك؛ ٢٠).

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

- **الاقتصاد الدولي /**ترجمة د. إبراهيم يحيى الشهابي- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩- (دراسات اقتصادية؛ ٣٠)- قسمان.
- **أنا فيلليني/**ترجمة عارف حديفة- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩- (الفن السابع؛ ٢٥).
- **الانتظار وقصص أخرى معاصرة /**ترجمة ندى عبد الفتاح الكيلاني- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.
- **الإنسان والجفاف/**ترجمة ميشيل خوري- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩- (دراسات فكرية؛ ٥٠).
- **أنو سيميليا «الحلم»: مسرحية عالمية /** ترجمة صخر يوسف الحاج حسين- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩- (مسرحيات عالمية؛ ٤٥).

- **الباب الموصد: قصص قصيرة عالمية**/ترجمة علي إبراهيم أشقر– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

- **بناء الرؤية: كتابات ولقاءات حول السينما** /ترجمة أبية حمزاوي– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩– (الفن السابع؛ ٢٨).

- **بوح بغداد، نافذة للمطلق: مجموعة شعرية** /فائز العراقي– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩– (من الشعر العربي؛ ٧٧).

- **التاريخ العام للاشتراكية من الأصول إلى عام ١٨٧٥** / ترجمة د. أنطون حمصي– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩– الجزء الأول في قسمين– (دراسات فكرية؛ ٤٧).

- **التحديات الكبرى: الحياة والدين والدولة** / ترجمة محمود منقذ الهاشمي– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩– (دراسات فكرية؛ ٥٢).

- **تراتيل الكاهنة ووصايا الريش: شعر** /زليخة أبو ريشة– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠– (من الشعر العربي؛ ٧٨).

- **تراثنا وفجر العلم الحديث** /وائل بشير الأتاسي– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩– (دراسات علمية؛ ٣٦).

- **التقنية والعلم كأيديولوجيا** /ترجمة د. إلياس حاجوج– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩– (دراسات علمية؛ ٣٩).

- **التنمية والتخطيط الإقليمي**/د. صفوح خير– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠– (دراسات اجتماعية؛ ٤١).

- **تيرانو بنديراس: رواية الأرض الحارة** /ترجمة علي إبراهيم أشقر– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠– (روايات عالمية؛ ٧٦).

- **حكايات العروض: دراسة في أوزان الشعر** /ميشيل أديب– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

- **حكايات وأساطير عن ولادة مدينة روما** /ترجمة ميساء الحفار– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

- **الدق على مقام البحر: قصص**/ محمد أبو خضور– دمشق: وزارة

الثقافة، ٢٠٠٠- (قصص وروايات عربية؛ ٩٣).

- الدكتور عزت الطباع: رجل وعصر/ تأليف وإعداد دارم الطباع- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠.

- ربوع محافظة اللاذقية بين الماضي والحاضر والمستقبل/د. عماد الدين الموصلي- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

- رسالة الأديب / بقلم د. زكي مبارك- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩- (إحياء التراث العربي؛ ١٠٨).

- الرواية العربية من الكتاب إلى الشاشة/جان ألكسان- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩- (دراسات ووثائق سينمائية؛ ١).

- زينب فواز: رائدة من أعلام النهضة العربية الحديثة ١٨٤٦-١٩١٤/ زينب نبوه بحبوح- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠.

- الشراع: قصص عربية/ ممدوح عزام- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

- صُداح: أناشيد للأطفال / سامر كحل- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩- (من الشعر العربي؛ ٧١).

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

- الصورة- الزمن/ترجمة حسن عودة- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩- (الفن السابع؛ ٢٩).

- الطفل والكتاب: دراسة أدبية ونفسية/ترجمة مها حسن بحبوح- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩- (دراسات اجتماعية؛ ٤٠).

- عالم الإسلام: وقائع الموسمين الثقافيين لدائرة التراث العربي والإسلامي/مجموعة من الباحثين- بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٩.

- عالم دون كاميليو الصغير /ترجمة علي باشا- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩- (روايات عالمية؛ ٦٧).

- العقل في القرن العشرين / ترجمة د. فاطمة الجيوشي- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠- (دراسات فلسفية؛ ٥٥).

- **غاز الشرف: قصص عالمية /** ترجمةأحمد الإبراهيم– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

- **فصول في الشعر /** د. أحمد مطلوب– بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٩.

- **قصة الطاقة الذرية: دراسة علمية/** ترجمة محمد سالم النابلسي– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩– (دراسات علمية؛ ٤٠).

- **قصة ماتيا: رواية عالمية /** ترجمة صالح علماني– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩– (روايات عالمية؛ ٧٥).

- **قصص /** ترجمة صالح علماني– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

- **قلب كلب: رواية عالمية/** ترجمة د. نوفل نيوف– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠– (روايات عالمية؛ ٧٧).

- **قوة آشور /** هاري ساكز؛ ترجمة عامر سليمان– بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٩.

- **كاكي عبقري زمانه: قصص للأطفال /** ترجمة فادية الحموي– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠– جزآن.

- **كتابي العلمي عن الألوان/** ترجمة ندى الكيلاني– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

- **لغة الضاد، دائرة علوم اللغة /** مجموعة من الباحثين– بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٩– الجزء الثاني.

- **لوحات مرحة: قصص للفتيان/** ترجمة علي إبراهيم أشقر– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

- **مختارات للعود مع البيانو /** إعداد عسكر علي أكبر– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠.

- **المسالك والممالك /** أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبه؛ إعداد وتقديم خير الدين محمود قبلاوي– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩– (المختار من التراث العربي؛ ٨١).

- **مستقبل العلاج النفسي: معالم علاج نفسي عام /** ترجمة د. سامر جميل رضوان- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩- (دراسات علمية؛ ٣٨).

- **مع آغاتا في استانبول: قصص /** ترجمة علي إبراهيم أشقر- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

- **المقامات الكلاسيكية الشرقية وسيلة لتحقيق تربية موسيقية وجمالية للدارسين /** عسكر علي أكبر؛ ترجمة ماجود دحدول- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠.

- **النحات مظهر برشين: حياته وأعماله /** د. محمود شاهين- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠- (دراسات فنية؛ ٣).

- **ندوة البحث العلمي في المجالات الاجتماعية في الوطن العربي /** المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية- دمشق: وزارة التعليم العالي، ١٩٩٩.

- **وقائع الحلقة النقاشية: سر الحياة بين الفلسفة والعلم /** مجموعة من الباحثين- بغداد: المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠٠.

- **وقائع مؤتمر الاتجاهات الحديثة في الثقافة المعاصرة/** مجموعة من الباحثين- بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٩.

- **وقائع ندوة كتب الأنساب مصدراً لكتابة التاريخ /** مجموعة من الباحثين- بغداد: المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠٠.

- **وقائع ندوة النخيل/** مجموعة من الباحثين- بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٩.

- **وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسي/** مجموعة من الباحثين- بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٩.

- **وقائع ندوة الوحدة العربية ضرورة حضارية /** مجموعة من الباحثين- بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٩.

- **يمامة الكلام: شعر/** ميخائيل عيد- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠- (من الشعر العربي؛ ٧٩).

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب – المجلات العربية

هالة نحلاوي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الاسبوع الأدبي	٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧	٢٠٠٠	سورية
	٧٣٥، ٧٣٨، ٧٤٠		
التراث العربي	٨٠ (عدد خاص)	٢٠٠٠م	سورية
الحياة الموسيقية	٢٢ (عدد خاص)	٢٠٠٠	سورية
دراسات تاريخية	(٦٩– ٧٠)	١٩٩٩	سورية
صوت فلسطين	٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥	٢٠٠٠	سورية
الضاد	٥، ٦ (عدد خاص)، (٧و ٨)، ٩، ١٠	٢٠٠٠	سورية
عالم الذرة	٦٩، ٧٠	٢٠٠٠	سورية
الفكر السياسي	(٩و ١٠)	٢٠٠٠	سورية
مجلة بحوث جامعة حلب	(العلوم الطبية: ٣٦) ١٩٩٧		سورية
المجلة البطريركية	(١٩٧و ١٩٨)	٢٠٠٠	سورية
مجلة جامعة البعث	مج ٢٢ (الآداب والعلوم		سورية
	الإنسانية: ١) ٢٠٠٠م		
	مج ٢٢ (العلوم الهندسية: ٢) ٢٠٠٠م		
مجلة جامعة تشرين	مج ٢١ (العلوم الأساسية: ٨) ١٩٩٩		سورية
للدراسات والبحوث العلمية	مج ٢١ (العلوم الهندسية: ٨) ١٩٩٩		
مجلة جامعة دمشق	مج ١٦ (الآداب والعلوم الإنسانية		سورية
	والتربوية: ٢) ٢٠٠٠		
	مج ١٦ (العلوم الاقتصادية		
	والقانونية: ١) ٢٠٠٠		
	مج ١٥ (العلوم الزراعية) ١٩٩٩		
	مج ١٦ (العلوم الصحية: ١) ٢٠٠٠		
	مج ١٦ (العلوم الهندسية: ١) ٢٠٠٠		
مجلة طب الفم السورية	١	٢٠٠٠	سورية
مجلة مجمع اللغة العربية	مج ٧٣ (ج٢) ١٩٩٨م		سورية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
مجلة المعلومات	من ١٥٨- ١٧٦ (٢٠٠٠)، عدد خاص (١٩٩١- ٢٠٠٠)، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩ (٢٠٠١)		سورية
المعرفة	٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧	٢٠٠٠	سورية
المعلم العربي	(٢و ٣) عدد خاص	٢٠٠٠	سورية
الموقف الأدبي	٣٥٢، ٣٥٦	٢٠٠٠م	سورية
النشرة الاقتصادية لغرفة تجارة دمشق	٣	٢٠٠٠	سورية
نضال الفلاحين	١٧	٢٠٠٠	سورية
أنباء	٢٢	٢٠٠٠م	الأردن
الأنباء	من ٨٠٤ – ٨١٤	٢٠٠٠	الأردن
البيان	٤ (مج ٢)	٢٠٠٠م	الأردن
دراسات	مج ٢٧ (العلوم الإدارية: ١، ٢) ٢٠٠٠، مج ٢٧ (العلوم الإنسانية والأجتماعية: ١) ٢٠٠٠، مج ٢٧ (العلوم التربوية: ١،٢) ٢٠٠٠، مج ٢٧ (علوم الشريعة والقانون: ١) ٢٠٠٠		الأردن
الدواء العربي	١	٢٠٠٠م	الأردن
الشريعة	٤١٦، ٤١٧	٢٠٠٠م	الأردن
كشاف المواسم الثقافية لمجمع اللغة العربية الأردني	١- ١٧	١٩٨٣- ١٩٩٩	الأردن
المنارة	مج ٥ (العلوم الاجتماعية/ الاقتصاد: ١) ٢٠٠٠م، مج ٥(العلوم الانسانية والاجتماعية: ٣) ٢٠٠٠م، مج ٥ (الشريعة والقانون: ٢) ٢٠٠٠م		الأردن
اليرموك	٦٨	٢٠٠٠	الأردن
آفاق الثقافة والتراث	(٢٧و ٢٨)، (٢٩و ٣٠)	٢٠٠٠م	الإمارات
مجلة كلية الدراسات	١٩	٢٠٠٠م	الإمارات

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الإسلامية والعربية			
أخبار المكتبة	٢٠	٢٠٠٠	السعودية
جذور	مج ٢ (٤/ ٢٠٠٠)		السعودية
الراوي	٦	٢٠٠٠	السعودية
عالم الكتب	٦ (مج ٢١)	٢٠٠٠م	السعودية
	مج ٢٢ (١و ٢) عدد مزدوج	٢٠٠٠-٢٠٠١م	
العرب	(٣، ٤)، (٥، ٦)، (٧، ٨)، (٩، ١٠)/ سنة ٣٥، (١، ٢)/ سنة ٣٦	٢٠٠٠	السعودية
علامات في النقد	مج ١٠ (ج ٣٧، ٣٨/ ٢٠٠٠)		السعودية
مجلة الحج	ج (٨و ٩و ١٠)، (١١و ١٢)/ سنة ٥٥، (١و ٢ و ٣)/ سنة ٥٦	٢٠٠٠م	السعودية
المجلة العربية	٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤ (٢٠٠٠)، ٢٨٥ (٢٠٠١)		السعودية
مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية	مج ٦ (١) عدد خاص	٢٠٠٠م	السعودية
المركز	١٢، ١٤	١٤٢٠هـ	السعودية
نوافذ	١٣، ١٤	٢٠٠٠	السعودية
الأستاذ	مج ١٤ (١و ٢)	١٩٦٦-١٩٦٧م	العراق
مجلة المجمع العلمي	مج ٤٧ (ج١/ ٢٠٠٠م)		العراق
البيان	٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥ (عدد خاص)/ ٢٠٠٠، ٣٦٦ (٢٠٠١)		الكويت
حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية	الحولية ٢١ (١٤٩، ١٥٠، ١٥١)	٢٠٠٠-٢٠٠١م	الكويت
مجلة العلوم	٩ (مج ١٦)	٢٠٠٠	الكويت
الأبحاث	٤٧	١٩٩٩	لبنان
الدراسات الفلسطينية	٤٣	٢٠٠٠	لبنان
الشراع	من ٩٤٥- ٩٥٠، من ٩٥٢- ٩٦١، ٩٦٢ (عدد خاص)، ٩٦٣، ٩٦٤/ ٢٠٠٠، ٩٦٥، ٩٦٦ (٢٠٠١)		لبنان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
	٨٥، ٨٦ (مج ٨)	٢٠٠٠م	
أخبار التراث العربي	٢، ٣ (مج ٣٧)	٢٠٠٠	مصر
التمويل والتنمية	آذار، نيسان، أيار،	٢٠٠٠	مصر
رسالة اليونسكو	حزيران، تموز، آب		مصر
	٢٦ (١٩٩٩)، ٢٧ (٢٠٠٠)		
مجلة كلية دار العلوم	مج ١٦	١٩٧٠م	مصر
مجلة معهد المخطوطات العربية	نيسان، أيار، حزيران،	٢٠٠٠	مصر
نشرة الإيداع	تموز، آب		مصر
		١٩٩٨	
البيليوغرافيا الوطنية المغربية	٢٠، ٢١	٢٠٠٠	المغرب
نشرة إخبارية	(ج) ١، ٤، ٩، ١٠،		المغرب
السمير	١٢، ١٤ (١٩٣١)، ٢، ٤ (١٩٣٢)		أميركا
	٢٣ (١٩٣٣)		
	٣ (٢٤)، ٤ (٢٥)	١٤١١هـ	
تراثنا	١ (٥٧)، ٢ (٥٨)	١٤٢٠هـ	إيران
	٣و ٤ (٥٩و ٦٠)		
	مج ٣٥ (٣)	٢٠٠٠م	
الدراسات الإسلامية	٥٠ (١٩٩٩م)، ٥١،		باكستان
النشرة الإخبارية لمركز	٥٢ (٢٠٠٠م)		تركيا
الأبحاث للتاريخ والفنون	٢ (مج ٢٦)	١٩٩٨	
المعلومات– المعلوماتية–	١ (مج ٢٧)	١٩٩٩	فرنسا
الاتصالاتية	٢١	٢٠٠٠م	
إسلامية المعرفة	١، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨ (مج ١٣)	٢٠٠٠م	ماليزيا
آفاق الهند	١٠ (مج ٣٢)	٢٠٠٠م	الهند
صوت الأمة			الهند

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتب والمجلات الأجنبية

سماء المحاسني

1-Books:

- IL Capolavoro Di lotto in Monte San giusto E IL Vescovo Bonafede / Por Antonio Giordano.- Roma, 1999 , illustrated.

(Publ of Accademia Nazionale Dei lincei).

- Challenges and Opportunities of WTOfor Escwa Member Countries in Selected Sectors/ by Escwa .- New york, 1999 .-

- Consultations Tripartites / par BIT .- Genève , 2000 .

- Dizionario Italiano - Arabo / par Kalifa M. Tillisi .- New ed ., Beirut , 1997 .

- l'évaluation des acquis Scolaires / par Unesco .- paris , 2000 , illustrated .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

- Fifty poems of Hafiz / by Arthur , J . Arberry .- Cambridge , 1947 ,- 187 p.

- la formation Permanente am xxi^{e} Siécle : l' éuolution des roles du Personnel enseignamt/ par BIT .- Genève , 2000 .

The German Education System since 1945 , outlines and problems / by christoph Fuhr .- Bonn , 1997 .

- Guide Pratique de la liberté Syndicale / par David Tajgman .- Genève : BIT ., 2000 .

- Japanese Civilization in the Modern World , XIV : information and Communication / ed . by umesao tado .- Osaka , 2000 .- Series: Senri Ethnological Studies , No . 52 .

- l'impact dans le domaine Social et du travail de la

mondialisation dans le Secteur de la fabrication du matériel de Transport / par BIT - Genève , 2000 .

AL - Muin , Diccinario Espanol - Arabe / par yussof M . Reda .- Reprinted ed . , Libanon , 1996 - Peinture et Ecriture 3 Frontières EcLatées , Collection Traverses / Sous la Direction de Montserrat Prudon .- Paris : Unesco , 2000 , illustrated. - Poverty Reduction Pol icies in Jordan and Lebanon : An Overview / by Ramla Khalidi Beyhum .- Newyork , 1999

(Publ . of United Nations).

- Proceedings of The Expert group Meeting on trade and Environment in Escwa Member Countries / by Escwa (UN) .- Newyork , 1999.

- Theatre year - Book 2000 , Theatre in Japan / by Japan centre .- Tokyo , 2000 , illustrated .

- Yearbook of Labor Statistics , 1999 / By International Labour office .- Geneva , 1999 .

(In thee Languages , English , french and spanish).

-York Dictionary Of Banking and Finance/ by P. H. Collins .- Libanon : yorkpress, 2000 .

(9. 000 Terms Clearly Defined).

- York Dictionary of Human resources & Personnel Management .- Libanon : York Press, 2000 .

(Contains a Supplement).

- York Dictionary of Law / by P. H . Collin .- Libanon: York Press , 2000 .

- York Dictionary of Medicine / by P . H . Collin .- Libanon : York Press , 2000 .

(Contains illustrations).

- York Dictionary of Personal Computing and The Internet/ by S . M . H . Collin .- Libanon: York Press , 2000 .

(With illustrations).

2 - Periodicals:

- Acta Orientalia , Budapest .
Nos . : (1) , (2) , (3-4) , VOL . 52 , 1999
Publ. by : Academiae Scientiarum Hungaricae
- Ars Orientalis .
Supplement (1) , 2000
Publ. by : The Department of The History of Art , University of Michigan .
- Boletin De la Academia Argentina De Letras .
No . (251- 252) , Tomo LXIV , 1999 .
- Le Courier Unesco , Paris .
No . Juillet / Aout 2000
- Deutschland , Magazine on Politics , Culture and Science. No. (3) June / July , 2000
- Developments , The International Development Magazine . Issue (10) , Second Quarter , 2000
Published by : Information Department , London , England .
- Hamdard Islamicus , Quarterly Journal of Studies and Research in Islam , Pakistan .
No . (1) , Jan .- March , 2000
- Ibla , Revue de l' Instiut des Belles lettres Arabes .
No . (185) , 2000 - 1 .
Publ . in Tunis .
- International Family Planning Perspectives .
No . (2) , 2000.
A Publication of The Alan Guttmacher Institute , new York , U S A .
- le Museon , Revue D' Etudes Orientales , Louvain - la - Neuve .

Fasc . (1-2) , Tome 113.
- Museum International , unesco .
Nos . : 203 , 204 , 1999
- Oriens , Moscow .
No . (1) , 2000
- Orient , Report of The Society for Near Eastern Studies in Gapan .
Vol . XXXV , 2000
- Orientlia Suecana .
VOL . XLVIII , 1999
Publ . by: Department of Asian and African Languages , Uppsala University , Sweden .
- Patrimoine Mondial , Unesco .
No . (14) , 2000
- Perspectives , revue Trimestrielle d'éducation Comparée , Unesco.
No . (4) , 1999.
- Review of Internationel Affairs , Yugoslavia .
Nos. : 1084 , 1095 , 2000 .
(A Monthly Journal Published by the FPI International Politics).
- Revue Internationale Du Travail , Genèue .
No . (1) , 2000
- Sources , Unesco .
Nos .: 124 , 125 , 2000
- Travail , le Magazine De l'oit.
Nos. : (34) , (35) 2000
Published by : BIT, Geneve.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com